وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيـــــــل: M.HM/01/13

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ وسيط

# العلاقات الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)

أعداد الطالب:
محمد الصديق بن صالح

**تاريخ المناقشة: 2016/04/11**

**لجنة المناقشة:**

| الرقم | الاسم واللقب | الرتبة | المؤسسة | الصفة |
|---|---|---|---|---|
| 01 | محمد الشريف سيدي موسى | أستاذ محاضر – أ – | جامعة البليدة 02 | رئيسا |
| 02 | مفتاح خلفات | أستاذ محاضر – أ – | جامعة محمد بوضياف المسيلة | مشرفا ومقررا |
| 03 | عاشوري قمعون | أستاذ محاضر – أ – | جامعة حمة لخضر الوادي | ممتحنا |
| 04 | عبد السلام همال | أستاذ محاضر – ب – | جامعة محمد بوضياف المسيلة | ممتحنا |

**السنة الجامعية: 2015م/2016م**

بسم الله الرحمن الرحيم

# قائمة المختصرات

**مج:** مجلد.

**ج:** الجزء

**ع:** العدد

**ص:** الصفحة

**دط:** بدون طبعة

**دت:** بدون تاريخ

**م دن:** بدون مكان النشر

**دن:** بدون ناشر

**ق م:** قبل الميلاد

**م:** ميلادي

**ت:** توفي

**هـ:** هجري

**P:** page

**تح:** تحقيق

**تر:** ترجمة

**در:** دراسة

**تع:** تعليق

**مر:** مراجعة

**نش:** نشر

**تق:** تقديم

**جم:** جمع

**شر:** شرح

# مقدمة

تعتبر العلاقات بين شمال إفريقيا وجنوبها من أهم العلاقات عبر التاريخ ولقد كان لهذه الأخيرة آثار في جل الميادين، وخاصة بعد الفتح الإسلامي إذ أن اتصال العرب والمسلمين المغاربة بشعوب الصحراء وما وراءها بلاد السودان الغربي، كان بمثابة إنعاش للشعوب السودانية من خلال حركة القوافل التجارية والدعاة الفاتحين الذين حملوا معهم بذور حضارة نمت وترعرعت في مدن صحراوية مهمة، مثلت محطات التقاء التجار والدعاة والفقهاء والعلماء مثل: أُودغست وسجلماسة وتنبوكتو وجني ومالي وغيرها. وقد شكل هذا الاتصال وهذه العلاقات جسورا حضارية مبنية بين دول شمال الصحراء وجنوبها وخاصة المغرب الأوسط في الفترة بين القرنين (**7هـ-9هـ/13م-15م**)، أي في العهد الزياني حيث عرف فيها تطورا اقتصاديا وثقافيا لمدن وحواضر هامة بسب موقعه المتميز الذي يتوسط المغرب الإسلامي مما دفع سلاطين الدولة إلى تشجيع التجارة لتسويق منتجات دولتهم والاستيراد من بلاد السودان الغربي، في وقت وصلت إليه الحركة الفكرية الثقافية في المغرب الأوسط مبلغا عظيما من التقدم والازدهار.

وما لبثت أن تحوّلت تلكم الحواضر في المغرب الأوسط إلى منارات تمد مختلف البقاع المجاورة بالإشعاع الحضاري والحركية الفكرية والثقافية فكان لها شأن عظيم، الشيء، الذي جعل منها قبلة العلم والعلماء، وأرضا تنبت المعرفة وتخرِّج طلاب العلم الذين أصبح منهم علماء أرسوا الإسلام ونشروه في بلاد السودان الغربي، وشادوا صرح الحضارة في أنحاء هذا الامتداد الجغرافي من إفريقيا، وقد لمع من هؤلاء العلماء محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي لم يأل جهدا في التعليم والإرشاد والدعوة وإثراء الحركة الفكرية والثقافية في بلاد السودان الغربي.

وإن كان الفتح الإسلامي قد تعددت وسائله بين الجهاد بالسيف ونقل تعاليم الشريعة عن طريق العلاقات التجارية مع قوافل التجار، فإن الفتح في بلاد السودان الغربي، كان فتحا علميا دون التقليل من تأثير التجار في حملهم للإرث الفكري والحضاري من المغرب

الأوسط إلى السودان الغربي فجهد علماء المغرب الأوسط في تحقيق التواصل بين شمال الصحراء وجنوبها هو جهد غير يسير ويشهد له التاريخ بذلك.

وقد اكتسى موضوع العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي أهمية كبيرة عند الباحثين، وذلك لما مثلته حواضر المغرب الأوسط من إشعاع حضاري امتدت قوته إلى بلاد السودان الغربي، ليلقي بظلاله عليها، ويغير من حركية النماء في جوانب عدة.

ومن هذا المنطلق بحث الأستاذ مبخوت بودواية في جانب العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في رسالته:" **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**"[1]. وقد أبرز البحث مدى ترسُّخ العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال الحكم الزياني، لاسيما ما اختص بالجانب الثقافي والتجاري. كما تعرض الأستاذ نصر الدين بن داود في بحثه الموسوم بـــ"**بيوتات العلماء بتلمسان من القرن (7هـ-10هـ/13م - 16م)** "[2] إلى المكانة العلمية والفكرية لمدينة تلمسان التي بلغت شأوا عظيما خلال الفترة المذكورة، كما ركزت الرسالة على الأعلام من ذوي الباع العلمي والفكري من أهل تلمسان. وفي جزئية أخرى، نجد الأستاذ عبد القادر حسون تطرق في بحثه المعنون بـــ:" **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633هـ-961هـ/1235م-1554م)**"[3] إلى وجهة أخرى من العلاقات بين دويلات المغرب الأوسط والأندلس من حيث الحياة العلمية في القطرين، وكذا سبل الاتصال بينهما.

ولعل هذه البحوث في مجملها تطرقت إلى وضعية المغرب الأوسط وعلاقاته مع الجوار الممتد عبر الصحراء متمثلا في السودان الغربي، وكذا الجوار الواقع خلف البحر الأبيض المتوسط والمتمثل في الأندلس، إلاّ أنّ الحركة الثقافية والفكرية في المغرب

---

[1]- رسالة دكتوراه دولة، مرقونة، في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005-2006م.

[2]- رسالة دكتوراه دولة مرقونة، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان (1430-1431هـ/2009-2010).

[3]- عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، (633هـ-961هـ/1235م-1554م)، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (1428هـ-1429هـ/2007م-2008م).

الأوسط وامتدادها إلى السودان الغربي لا تزال تستحق البحث والحفر في حيثياتها من حيث الفعل التأثيري للفكر والثقافة.

وبناء على ما كان فإن الإشكالية التي تطرح هي:

ماهي الآثار الفكرية والثقافية لعلاقات المغرب الأوسط بالسودان الغربي ما بين القرنين (**7هـ-9هـ/13م- 15م**)؟

ليندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة تساؤلات فرعية وهي:

أ- ما هي الوسائل والعوامل التي تحكمت في بناء العلاقات الفكرية والثقافية بالمغرب الأوسط والسودان الغربي؟

ب- إلى أي مدى ساهم علماء المغرب الأوسط في تأطير الحركة الفكرية والثقافية في السودان الغربي؟

ت- إذا كان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز علماء المغرب الأوسط الذين حفلت بهم بلاد السودان الغربي، فما هو أثره على الحركة الفكرية والثقافية ببلاد السودان الغربي؟

ث- ماهي انعكاسات الاتصال الفكري الثقافي بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وماهي ميادين الحراك الفكري والثقافي؟

هذه الإشكالية وما يدور حولها من تساؤلات سنحاول الإجابة عنها من خلال موضوع بحثي الذي وسمته بـــ: "**العلاقات الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ما بين القرنين 7هـ - 9هـ/13م- 15م**"

ومن نافلة البحث العلمي أن تكون هناك أسباب ودوافع تحرك تفكير الباحث اتجاه بحثه، وقد كان هناك مجموعة من الأسباب جعلتني أحمل أعباء هذا الموضوع متمثلة فيما يلي:

- إملاءات الانتماء الجغرافي التي وجهتني في تاريخ المنطقة وما جاورها.
- الوقوف على مظاهر العلاقات الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي واقتفاء العوامل المتحكمة في مجرى هذه العلاقات ومدى ازدهارها.

– الكشف عن أواصر التواصل والتقارب الفكري الذي يمثل حلقة بالغة الأهمية لكل من المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال قرنين من الزمن.

– الحاجة المعرفية للبحث في تاريخ الجزائر الفكري والثقافي خلال العصر الوسيط.

– أما اختياري للفترة الزمنية المحددة ما بين القرنين (**7هـ–9هـ/13م–15م**) فقد حكمتها الاعتبارات الآتية:

**أولا** – ازدهار الحضارة في المغرب الأوسط خاصة في حاضرة تلمسان إبان هذه الفترة والتي كانت مركز ثقل المغرب الأوسط بما مثلته من ريادة فكرية وثقافية تحت الحكم الزياني.

**ثانيا** – دور العلماء في ربط العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، وبروز أسماء لامعة كان لها الأثر الكبير في هذا المضمار، أبرزها الإمام المغيلي.

**ثالثا** – شهدت هذه الفترة صعود حواضر في القطرين؛ فمن جانب المغرب الأوسط تلمسان وبجاية والقلعة...، ومن جانب السودان الغربي تمبوكتو وجني وكوكو....

وفي الأخير لا يفوتني أن أذكر ما اعترضني من صعوبات طيلة فترة جمع المادة العلمية التاريخية التي كانت شحيحة في أغلبها، ومرد ذلك في تقديري يعود إلى قلة المصادر التاريخية التي تتناول المغرب الأوسط وعلاقته بالسودان الغربي، لاسيما ما تعلق منها بالجانب الفكري والثقافي، وكل ما جمعته منها كان عبارة عن شذرات مبثوثة وإشارات حاولت تطويعها بغية مقاربة الحقيقة والإمساك بخيوط البحث.

## المنهجية:

اتبعت في هذا البحث منهجا علميا، يقوم على الوصف والتحليل والاستنتاج والاستقراء، وتوثيق النصوص، ومقارنتها، وذلك بإخضاعها لأدوات البحث العلمي تلافيا للوقوع في مطبات قد تنحرف بالبحث عن مساره العلمي وتضعه في سكة تجانب الحقيقة.

وللإجابة عن هذه الإشكالية والتساؤلات المنبثقة عنها قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول فحمل عنوان "**الموقع الجغرافي والسياق التاريخي للمغرب الأوسط والسودان الغربي**"، ناقشت فيه الحدود الاصطلاحية والمجال الجغرافي للمغرب الأوسط والسودان الغربي متعرضا في ذلك لما أورده مؤرخو العرب في مصادرهم، كما تناولت السياق التاريخي والحضاري المُشكِّل للمغرب الأوسط والسودان الغربي الذي انطوى على الظروف السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية للأوضاع السائدة في تلك الفترة التاريخية.

وفي الفصل الثاني الذي عنونته بـ: "**عوامل الاتّصال الفكري والثقافي بين المغرب الأوسط والسودان الغربي بين القرنين (7هـ-9هـ/13م-15م)**"، حاولت فيه إبراز العوامل المتحكمة في العلاقات وأوجه الاتصال الحضاري المتبادل بين كلا الإقليمين، ومدى ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط وتأثيرها في بيئة السودان الغربي المشجعة للتواصل الحضاري.

أما الفصل الثالث فقد خصصته لـ: "**تجليات التأثير الفكري والثقافي للمغرب الأوسط في السودان الغربي**" مبرزا العلوم والعلماء الفاعلين في الحركة الفكرية والثقافية، وميادين الحراك الفكري والثقافي.

وأخيرا خاتمة استعرضت من خلالها أهم النتائج والاستنتاجات التي تم الوصول إليها في نهاية البحث. وقد زودت هذا البحث بمجموعة من الملاحق بغية إثراء البحث ودعم جانبه التوثيقي.

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل **مفتاح خلفات** الذي أحاطني بالرعاية والاهتمام طيلة الفترة التي استغرقتها لإنجاز هذه المذكرة، ولم يبخل علي بملاحظاته وتوجيهاته في هيكلة البحث وإخراجه في صورة لائقة، فله مني فائق الشكر والاحترام وكريم الثناء.

## تقييم وتحليل مصادر ومراجع البحث:

تنوعت مصادر البحث لتشمل كتب التراجم والطبقات وكتب الرحالة والجغرافيين وكتب التاريخ العام وكتب النوازل والكتب الخاصة بتاريخ السودان الغربي، إلى جانب عدد من الدراسات التي اهتمت بموضوع العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال العصر الوسيط، لذا فقد ارتأيت تقسيمها إلى ست مجموعات:

## المصادر والمراجع:

### - <u>كتب التراجم والطبقات:</u>

تعد مصدرا أساسيا للعلاقات الثقافية خاصة ما تعلق بحركة العلماء ورحلاتهم، فالترجمة للأعلام تمكن الباحث من تقصي حياتهم والتعرف على الأوضاع والظروف المحيطة بهم، وقد استوفت كتب التراجم والطبقات جوانب من حياة العلماء وسيرهم، وفي هذا السياق أفادت هذه المصنفات البحث خاصة في فصله الثالث ونذكر منها:

- كتاب **البستان في ذكر الأولياء وعلماء تلمسان**[1]، لابن مريم المديوني التلمساني **(كان حيا عام 1025ه/1611م)** اشتمل المؤلف على تراجم الأولياء وعلماء مدينة تلمسان، وما يؤخذ عليه تلك المبالغات والأخبار التي أطنب في الحديث عنها أحيانا فيما يتعلق بالجانب الصوفي.

- كتاب **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**[2]، لأبي زكريا يحي ابن خلدون **(ت780ه/1379م)**، من أهم مصادر الدولة الزيانية في أوج ازدهارها ويمدنا بتفاصيل عن حياة بعض علمائها الذين يشكلون أهم الدعامات الأساسية للنهضة الثقافية في الدولة.

---

[1]- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، 1336ه- 1908م.

[2]- ابن خلدون يحيى أبو زكريا بن محمد بن محمد (ت 780ه): بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، م1، مطبعة بيارفونطانا، ط1، الجزائر، 1903م.

## 1- كتب الرحالة والجغرافيين:

يشيع عند الكثير بأن الرحلات هي عبارة عن تنزه وترويح عن النفس يصدر عن شخص ليكتب عن ما لقيه في رحلاته هاته، ولكن الدراسات والبحوث تفند هذا الزعم، فمصنفات الرّحالة والجغرافيين هي في مضمونها معارف تزخر بمعلومات عن جوانب من حياة العلماء ونشاطهم التعليمي وعلاقاتهم بطلبتهم والكتب المتداولة كما تصور جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن أهمها:

- كتاب **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**[1]، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لصاحبه أبي عبيد الله ابن عبد العزيز البكري **(ت 487هـ/1094م)** نجد فيه تحديد المواقع الجغرافية، ووصفا دقيقا للمدن المغربية والمدن السودانية، واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وما فيها من غرائب وسير أهلها فهي من أهم ما كتب عن بلاد السودان الغربي كما يتحدث البكري عن دخول الإسلام إلى مدن هذه البلاد وعن ممالكها الإسلامية.

- كتاب **رحلة ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م) المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**[2]، وتعد رحلته إلى بلاد السودان الغربي سنة **1352م** من أهم الرحلات وسجلات حافلا بالملاحظات أمدتنا بالكثير من المعلومات عن التأثير المغربي على بلاد السودان الغربي.

- كتاب **وصف إفريقيا**[3]، للحسن الوزان **(ت 957هـ/نحو 1550م)** المعروف بليون الإفريقي الذي زار منطقة السودان الغربي في القرن السادس عشر الميلادي، فكان

---

[1]- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

[2]- دط، شر وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، دت.

[3]- الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، ج2، تح محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

لشهادته أهمية كبرى أعطى من خلالها صورة واضحة عن حواضر السودان الغربي وجوانب من الحياة فيها، بالإضافة إلى تحدثه عن المدن المغربية كتلمسان ووهران...

## 2- كتب التاريخ العام:

وقد كان للبحث روافد معرفية وعلمية أثرت مضامينه وجعلته ينفتح على المرحلة التاريخية بما حوته من كم معرفي ينم عن مقدار أصحابها في تناول ما اعترضهم من حوادث، كما أنهم استدركوا عن الأمم وكذلك كانت لهم رؤية استشرافية جعلتهم يتبوؤون مكانة ترشح تآليفهم وتصانيفهم لأن يؤخذ منها ويستشهد بما جاء فيها.

ويمكن أن نعدد أهمها وأبرزها:

- كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**[1]، لعبد الرحمان بن خلدون **(ت 808ه/1406م)** والذي يعتبر من أهم مصادر القرن **(8ه/14م)** لأن صاحبه أثراه بما جادت قريحته أثناء رحلاته وما جمعه من أحوال العامة، وأخبار السلاطين والملوك.

- كتاب **تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**[2] لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني المشهور باسم الحافظ التّنسي **(ت 899ه/1499م)** كتبه للسلطان الزياني محمد المتوكل، تتمثل أهميته في وصفه بما كانت عليه الدولة من منجزات عمرانية وحركة ثقافية رغم بعض المبالغة في المديح والتعظيم.

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان (ت808ه/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الطباعة الخديوية،1867.

[2]- أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني مشهور باسم الحافظ التّنسي (ت 899ه/1494م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر العقبان في بيان شرف بني زيان، تح محمود آغا بوعياد، دط، المؤسسة الوطنية للفنون والطباعة، الجزائر، 2011.

## 3- كتب النوازل:

لهذه المصادر أهمية علمية من حيث إنها تمد الباحث في ميدان التاريخ بنظرة عن الحياة الاجتماعية والدينية والنشاطات التجارية والفلاحية التي كانت تمارس من قبل المجتمع آنذاك، وكذا تمكن من أخذ نظرة على القضايا والإشكاليات الفقهية الحادثة التي كانت تشكل سجالا فقهيا بين العلماء، وقد كان لها الحضور المعرفي في بحثي منها:

- كتاب **المعيار المعرب والجامع عند فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**[1]، لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي **(ت 914هـ/1508م)**، فهو مصدر مهم لما جمعه من فتاوى الفقهاء اتجاه قضايا أثيرت داخل المجتمع كقضية يهود توات.

- كتاب **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**[2]، للعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني **(ت 909هـ/1504م)** يستعرض أحداث اليهود ونشاطهم الديني ونفوذهم السياسي لدى الإدارات والحكام بالمغرب الأقصى والأوسط وبناء الكنائس، حتى أصبحوا يشكلون خطراً على المسلمين ومصالحهم. وهذا ما دفع المغيلي إلى كتابة رسالة مصباح الأرواح في أصل الفلاح، والتي أرسلها إلى الإمام السنوسي وابن غازي، ورغم تخصصها بقضية اليهود، وهي كذلك رسالة أخلاقية وفيها توجيهات مختلفة في الحفاظ على الأخلاق والشخصية الإسلامية التي اعتراها وهن في هذه الفترة، التي تدهورت فيها أحوال المغربي عامة.

## 4- الكتب الخاصة بتاريخ السودان الغربي:

تؤكد الدراسات التاريخية أهمية المصادر العربية في كتابة تاريخ بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط لأنها لا تجد أمامها من المصادر السودانية المحلية ما يمكن الاعتماد عليه إلا القليل، وخاصة ما يتعلق بفترة موضوع هذه الدراسة ومن أهم ما أُلِّف نجد:

---

[1]- الونشريسي أحمد (ت 914هـ/1507م): المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، ج2، تح مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

[2]- محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1504م): مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ط1، تحقيق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

- كتاب **تاريخ السودان**[1]، لعبد الرحمان السعدي (**ت 1066هـ/ 1653م**)، وهو مصدر مهم للباحثين في تاريخ السودان ومماليكه فهو يحوي الأحداث التاريخية وتراجم العلماء والملوك والأمة والقضاة المغاربة والمشارقة والسودانيين، وهذا المؤلف يعالج أجزاء من تاريخ السودان المتمثل في إمبراطورية سينغاي.

- وكتاب **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**[2]، لصاحبه محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (**ت 1219هـ/ 1805م**) ترجم فيه للعلماء المغاربة والسودانيين المالكين.

- كتاب **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**[3]، لصاحبه أحمد بابا التنبكتي (**ت 1063هـ/ 1627م**) وقد اعتمدت عليه في التعريف ببعض الفقهاء والعلماء الذين كان لهم دور كبير في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب الأوسط والسودان الغربي.

- كتاب **كفاية المحتاج في معرفة من لبس الديباج**[4]، لأحمد بابا التنبكتي وهذا المصنف عبارة عن تهذيب واختصار للكتاب الأول.

**- المراجع:**

حاولت الدراسات أن تقف على تاريخ المغرب الإسلامي، بما في ذلك المغرب الأوسط، كما تطرقت في الآن نفسه إلى إفريقيا، وبالتالي السودان الغربي الذي يقع ضمن هذا النطاق، لتنطلق من السياقات المختلفة التي ساهمت في تَخلُّق البعد الحضاري بما يحويه من تجليات فكرية واقتصادية واجتماعية وعمرانية...، ولهذا كان لبحثي نصيب منها مُساهِمَة بذلك في صناعة أفكار الموضوع، ومن أهمها:

---

[1]- عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي: تاريخ السودان، مطبعة بردين، باريس،1981.

[2]- البرتلي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح محمد ابراهيم الكتاني، محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981.

[3]- أحمد بابا التنبكي: نيل الابتهاج لتطريز الديباج،ج1، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ط1، طرابلس، 1989.

[4]- التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، تح الأستاذ محمد مطيع، دط، مطبعة نضالة، المغرب، 2000.

– كتاب **تاريخ إفريقية الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20**[1] لصاحبه يحي بوعزيز الذي كان دراسة قيمة عن تاريخ السودان من تحديد للموقع الجغرافي إلى دراسته سياسيا. يتطرق إلى المماليك الإسلامية التي قامت فيه كما اهتم بصفة خاصة بدراسة الإمام المغيلي الفعال في بلاد السودان الغربي.

– كتاب **حوار الإمام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، كتاب تاريخ توات (أبحاث في التراث)**،[2] لأحمد أبا الصافي جعفري وهذا الكتاب تظهر قيمته من خلال عنوانه فقد قدم للباحثين مادة تاريخية هامة عن الإمام المغيلي ودوره البارز في بلاد السودان الغربي على مختلف الأصعدة.

– كتاب **تلمسان في العهد الزياني**،[3] لصاحبه عبد العزيز فيلالي الذي يعطينا معلومات قيمة عن عاصمة الدولة الزيانية وعلمائها.

## - المراجع الأجنبية:


- Said Bouterfa: Les manuscrits du Tauat le sud algerien, collection Kitb tabulae n01, Edition Barzakh,2005.

- Oskar Lenz، Tombauctau voyage au Maroc au Sahara et au Soudan,Tome2

Libraire،Hacheltr، Paris، 1887


[1]- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقية الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2001.

[2]- أحمد أبا الصافي جعفري: حوار الإمام المغيلي (ت 909هـ/ 1503م) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، كتاب تاريخ توات (أبحاث في التراث)، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2008.

[3]- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 2002.

# الفصل الأول

# الموقع الجغرافي والسياق التاريخي للمغرب الأوسط والسودان الغربي

**أولا- المغرب الأوسط**

**1- الحدود والمجال**

**2- السياق التاريخي والحضاري**

**ثانيا- السودان الغربي**

**1- الحدود والمجال**

**2- السياق التاريخي والحضاري**

يعمل التوصيف الجغرافي على تحديد المجال والحدود التي ينطلق منها في بناء مفهوم السيادة الذي بدوره سيحدِّد الإطار المصطلحي للكيان الذي أقيم على هذه المساحة الجغرافية وموازاة مع هذا التحديد الإقليمي يظهر الجانب التاريخي الذي يتحد مع الجانب الجغرافي مبرزين المعالم التكوينية التي منها يأخذ المدلول الطابع الفلسفي والسياسي لأسس المنظومة السلطوية التي تبسط نفوذها على مجال جغرافي معين، وبالتالي سيتعين وفقا لطبيعة النظام مسمى هذا الكيان على حسب السياق التاريخي الذي أوجده.

## أولاــ المغرب الأوسط:

### 1 – الحدود والمجال:

إنّ ما يُلاحظ في التعريف بالمغرب[1] الأوسط وتحديد مجاله الجغرافي على غرار المغربين؛ الأدنى والأقصى.

---

1 – تعريف مصطلح المغرب: تعددت التسميات لهذا المجال الجغرافي عند المؤرخين عبر المراحل التاريخية وهذا التعدد والاختلاف راجع إلى الظروف السياسية التي مرت بها هذه المنطقة، فقد أطلق بعض الباحثين على بلاد المغرب اسم إفريقيا الصغرى، لأنها تمثل جزءا منفصلا عن أوروبا الغربية، كانفصال آسيا الصغرى عن أوربا الشرقية، وسكانهم اللاجئون من فلسطين (بلاد الشام) فهم يختلفون اليوم بعض الاختلاف عن عرب الجزيرة العربية.

فمصطلح " ليبيا " قد أطلق على المنطقة وهي من استعمالات الإغريق ويعنون بها الجزء الشرقي من ساحل شمال إفريقيا. أما عبارة " إفريقية" فقد أطلقها الرومان على ما هو الأن تونس وشرق الجزائر تقريبا، ثم أطلق العرب القادمون من المشرق كلمة "المغرب" على شمال إفريقيا، وهكذا كان هناك ثلاثة أقاليم لبلاد المغرب وهي: الشرق، والوسط والغرب وبعبارة أخرى المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وفي وقت لاحق استعمل الباحثون عبارة " الممالك البربرية " للدلالة على كيان سياسي تحكم منطقة شمال إفريقيا كلها، لكن هذا التعبير حل محله تعبير أخر هو " بلاد المغرب " الذي يحتضن المنطقة الواقعة من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي، ثم أطلقت كلمة المغرب فقط على المغرب الأقصى وكلمة المغرب الأوسط على الجزائر وكلمة المغرب الأدنى على تونس بالإضافة إلى موريتانيا غربا وليبيا شرقا، ومنذ القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي ظهر في الميدان الإداري إلى جانب مصطلح إفريقية. يُنظر أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص: 13.

مصطلح المغرب الذي يدل منذ عصر الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما على الجزء الغربي من الدولة الإسلامية وبالتدريج بدأ التمايز في إطار مصطلح المغرب بين الأجزاء القريبة من المشرق والبعيدة عنها، وهكذا ظهرت مصطلحات جزئية تجمعها كلمة المغرب الثلاثة الأدنى، الأوسط والأقصى، فالأدنى وقد يعرف بإفريقية يمتد تقريبا من طرابلس إلى بجاية، والأوسط من بجاية إلى نهر ملوية وراء تلمسان والأقصى يمتد من ملوية حتى طنجة، أما ما وراء طنجة أو العدّوة، فهي شبه جزيرة إيبريا أو الأندلس. موسى لقبال وأخرون: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العثماني، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 13.

ينظر أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 13. وينظر موسى لقبال وآخرون: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العثماني، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، ص 13.

والمراد بلفظ "المغرب" هو كلّ ما يقابل المشرق من البلاد، فقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله فجعله البعض يشمل البلاد التي تقع بعد أرض مصر إلى السواحل المحيط الأطلسي وتتسع لتشمل أرض الأندلس. ينظر عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي مج، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م، ص 13. ومولوريس لومبار: الإسلام في مجده الأول من القرن (3 إلى 5 ه)، تر وتع: إسماعيل العربي، ط1، منشورات دار الوفاق الجديدة، المغرب، 1990م، ص 79.

فإنّ المؤرخين يتجهون في ذلك اعتمادا على الحواضر[1].

[1]- فالمقديسي يقول: «... وقد جعلنا المغرب مع الأندلس.. غير أنا الأندلس فنكورها، فأول كورة من قبل مصر برقة ثم إفريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة، ثم فاس، ثم السوس الأقصى، ثم جزيرة إصقلية تقابل إفريقية والأندلس...» ينظر المقديسي أبو عبد الله محمد بن احمد (ت 378هـ/989م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة منبولي، القاهرة، 1991م، ص 216. وقد ذكر الإصطخري (ت 346هـ/957م) عن بلاد المغرب قوله: «... وأما بلاد المغرب فهو نصفان يمتد على بحر الروم نصف من شرقه ونصف من غربه، فأما الشرقي فهو برقة وإفريقية وتاهرت، وطنجة والسوس وزويلة وما هي أضعاف هذه الأقاليم، وأما الغربي فهو الأندلس وقد جمعتها في التصوير فأما الجانب الشرقي، فإن الذي يحيط به شرقية حدّ مصر...» الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت 346هـ/957م): المسالك والممالك، دط، دار صادر، بيروت، 2004، ص36.

بينما يرى ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/1374م): « أنّ حد المغرب هو من ضفة النيل الإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحدّه مدينة سَلاَ، وينقسم أقساما قسم من الإسكندرية إلى إطرابلس وهو أكبرها وقسم من اطرابلس وهي بلاد الجريد ويقال أيضا بلاد الزاب الأعلى، ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها إلى مدينة تيهرت ويليها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها سَلا وهي آخر المغرب». ينظر ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/1374م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تح ومر ج.س كولان، أليفي يروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص05.

من خلال قراءة المصادر التي ذكرت المجال الجغرافي لبلاد المغرب نلاحظ أنه امتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي ومنها إلى بلاد الأندلس أصبح لفظ إفريقية غير كاف لتجديد هذا المجال الواسع لذلك بدأ هذا اللفظ يتقلص شيئا فشيئا وأخذ لفظ المغرب في الظهور ليصبح مدلول إفريقية قاصرا على الإقليم الذي تتوسطه القيروان والذي يمتد من طرابلس شرقا حتى بجاية أو مليانة غربا، كما ميّز الجغرافيون العرب الأقاليم البعيدة من بلاد المغرب فأطلقوا عليها لفظ المغرب الأقصى، وفي نفس الوقت ظهر مصطلح المغرب المتوسط. ينظر محمد حسن الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها، علاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ- 296هـ)، دار القلم، ط3، الكويت، 1987م، ص ص12- 13.

وهذا ما جاء عند البكري (ت 487 هـ)، وأصبح وادي ملوية الخط الذي يفصل بين المغربين هذا من الجهة الغربية أما من الشمالية البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق بجاية وتمثل الصحراء الكبرى الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط التي سهلت قيام علاقات تجارية وثقافية بين المغرب الأوسط منذ عهد الرستميين وجيرانهم في السودان الغربي لتوفرها على الواحات ومنابع المياه، وبالكلام عن عهد إمامة بني رستم الإباضية كانت حدود الدولة هي حدود دولة الجزائر الغربية الحالية وبدون إقليمي تلمسان والزاب وكانت تمتد إلى الجبل الغربي بليبيا حيث قبيلة نفوسة، فكان أهل الجبل يؤدون الخراج إلى سلطة تاهرت، ولا نعرف أن الدولة الرستمية قد انضمّت أو تحالفت مع الدولة الأغلبية في القيروان الذين كانوا يمثلون الخلافة العباسية السنية، رغم أن عناصر السكان كانت زناتية في الغالب فإن بعض الزناتية (مغراوة، وبني يفرن) لم يكونوا على وفاق مع الرستمين حتى ظهرت الدولة الفاطمية الشيعية والتي تعاونت مع قبيلة كتامة بالجزائر فعملت على الإطاحة بالدولتين الإباضية والأغلبية معا. ينظر أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1... المرجع السابق، ص160. هذا ما يفسر صعوبة تحديد الإطار الجغرافي لدول المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بالإضافة إلى الطابع القبلي والبدوي الذي كان سائدا في تلك الفترة صعَّبت الثبات على حدود معينة فالكيانات السياسية التي قامت في بلاد المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة كان مجالها الجغرافي خاضعا إلى التبعية الروحية المتمثلة في الدعوى للإمام في المنبر إلى الخراج والضريبة والتي تمثل خضوع القبائل لتلك التنظيمات السياسية.

والتي كانت من أهمها مدينة تلمسان،[1] حاضرة المغرب الأوسط، فقد كانت مركزا للإشعاع الحضاري والازدهار في مناح عديدة من الحياة طيلة ردح من الزمان امتد من القرن **7ه / 13م** إلى القرن **9ه / 14م**، وفي هذا السياق يقول البكري **(ت487ه)** في وصف تلمسان فيقول عنها: «... وهي مدينة ميسورة في سفح الجبل... ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرّة... وهذه مدينة تلمسان... قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومسجد جامع وأشجار وإنها عليها طواحين... وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر... ولم تزل تلمسان دار العلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس... »[2].

ويستفاد مما ذكرته المصادر الجغرافية أن المغرب يشمل ثلاثة أقسام حسب قربه وبعده من مركز الخلافة؛ فكان مغربا أدنى ومغربا أوسطا ومغربا أقصى، فالمغرب الأدنى، ويسمى أيضا بإفريقية[3]. وكانت عاصمته مدينة القيروان أيام حكم الأغالبة، ثم المهدية أيام الفاطميين ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم.

أما المغرب الأوسط ويشمل بلاد الجزائر وكانت عاصمته مدينة تيهرت في عهد الدولة الرستمية وفي أيام الدولة الزيرية الصنهاجية صارت العاصمة مدينة آشير التي تسمى حاليا بنيه بالقرب من مدينة الجزائر، ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع الهجري، وأخيرا صارت جزائر بني مزغنة، وهي مدينة الجزائر الحالية، وهي العاصمة حتى اليوم. والمغرب الأقصى ويعتبر امتدادا للمغرب الأوسط لميوعة الفواصل التي بينهما، ولذا نجدهما في معظم العصور التاريخية يكونان دولة واحدة، ويعتبر نهر ملوية هو الحد الفاصل بينهما وهو حد

---

1- تلمسان: مدينة عظيمة قديمة، دار مملكة لأمم سالفة، وهي في سفح جبل، أكثر شجره الجوز، كانت تعرف أيام الرومان باسم "بوماريا" واسمها باللغة البربرية "تاجرت"، ولكنها عرفت أيام يوسف بن تاشفين باسم "تلمسان" وقد عمرها يوسف وأنشأ مسجدها الجامع وأحاطها بسور وجعلها من مراكز العلم والحضارة في المغرب الأوسط، ينظر الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900ه/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص 135.

2- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487ه): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص ص(76،77).

3 - كان يشمل جمهورية تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر.

غير ثابت[1]. وعن تحديد المغرب الأوسط يقول ابن خلدون **(ت 808هـ/1406م)**: « فهو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن ومديونة ومغيلية وكومية ومطغرة ومطماطة ثم صار من بعدهم لبني وماتوا وبني يلمومي ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين، قاعدته لهذا العهد تلمسان وهي دار ملكه».[2]

ولم يكن تحديد مصطلح المغرب الأوسط من السهولة بما كان في المصادر، ولعل ذلك راجع أصلا إلى المصطلح نفسه وظهوره المتأخر؛ إذْ لم يكن المغرب الإسلامي مقسّما تقسيماته الثلاثة إلاّ بعد مرور ما يزيد عن القرنين، ليظهر مصطلح المغرب الأوسط مع القرن الثالث هجري ويشيع استخدامه، فالقضية تعود إلى التقادم الزمني والإفرازات الناتجة عن التراكمات والأحداث التي مرّ بها المغرب الإسلامي برمتّه، ومع ذلك تبقى محاولة ابن خلدون مرجعا في ضبط المصطلح وتحديد المجال الجغرافي. أما ابن عبد ربه الحفيد **(ت 602هـ)** فقد قال عن المغرب الأوسط ما يلي: «... وفيه مدن كبيرة، وقاعدتها مدينة تلمسان ومن واد مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد التي ذكرنا في البلاد الساحلية، مثل مدينة وهران ومليلة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل، وهي مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة... وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر... ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة... »[3].

أما القلقشندي **(ت 821هـ)** فقد سلك في تحديده للمغرب الأوسط مسلك من يعرِّفه بحواضره قائلا عن مملكة تلمسان «... وهي مملكة المغرب الأوسط... أما حدودها فمن الشرق حدود مملكة إفريقية وما أضيف إليها من جهة الغرب وحدّها من الشمال البحر الرومي وحدّها من الغرب حدود مملكة فاس... وَحَدُّهَا من الجنوب المفاوز الفاصلة بين المغرب وبلاد السودان... وأن حدّها من جهة الغرب واد ملوية الفاصل بينها وبين

---

1– أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 10.

2– ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، 6 /134.

3– كاتب مراكشي من كتاب القرت السادس الهجري: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نش وتع، سعد زغلول عبد الحميد، دط، در الشؤون الثقافية العامة، العراق،1985، ص(176).

المغرب الأقصى إلى واد مجمع في جهة الشرق الفصل بينها وبين إفريقية... ».[1]

ومن خلال هذه النصوص نجد أن حدود المغرب الأوسط عموما في هذه العصور كانت متغيرة وغير ثابتة بسبب التقلبات السياسة وقوة وضعف دويلاته التي طحنتها العصبيات والمصادمات فيما بينها، ومحاولة كل دولة السيطرة على أكبر مجال.

## 2 – السياق التاريخي والحضاري:

شهد المغرب عموما تداول عدة إمبراطوريات[2] احتلت رقعته الجغرافية وأقامت حضارات صبغتها بصبغتها الخاصة، ولم يكن للسكان الأصليين من البربر خيار إلاّ

---

1– أبي العباس أحمد القلقشندي (ت821هـ/1418م): كتاب صبح الأعشى، ج5، دار الكتاب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص(149).

2– انقسم تاريخ أهل المغرب إلى أربعة عهود: عهد ما قبل الرومان إلى عام (146 ق.م) وهو تاريخ تدمير قرطاج، وكانت الغلبة لروما على قرطاج، ثم عهد السيطرة الرومانية الذي انتهى سنة (430م) بالاحتلال الوندالي ثم البيزنطي، والذي انتهى بالفتح الإسلامي في منتصف القرن السابع الميلادي، ثم التاريخ الإسلامي الذي بدأ من عام 27 للهجرة وهو العهد الذي وعى فيه السكان دورهم وتمتعوا بحريتهم ولو بشيء من الفوضى، فقد عرفوا الوحدة أحيانا والتفرق أحيانا، لكن الإسلام والثقافة العربية استطاعا أن يكوِّنا منهم الوحدة الفكرية من المحيط إلى بغداد والحجاز وبلاد الشام، أما المرحلة الرابعة وهي المرحلة الحديثة. ينظر أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 20.

ولقد تعاقبت عبر التاريخ عدة حضارات على المغرب الأوسط (الجزائر) وهذا ما اكتشفه "أورامبورغ" من خلال الحفريات التي قام بها، وكذلك الآثار التي اكتشفت في معسكر دلَّت بأن الجزائر هي مهد العنصر البشري المتحضر وذلك قبل 500 ألف سنة، إذ وجدت عدة آلات وأدوات تدلُّ على تقدم الجزائري في تلك العصور القديمة. ينظر الطيب بن نادر: الجزائر حضارة وتاريخ (الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف)، دار الهدى، دط، الجزائر، 2008م، ص 10. لنصل إلى العهد القرطاجي في الجزائر، حيث انتشرت الحضارة البونيقية واللغة البونيقية بواسطة التجار الذين كانوا ينقلون البضاعة والمدَنِية في آن واحد، وعن طريق الجنود الذين كانوا يتعلمون الفنون الحربية فتعودوا بالعادات البونيقية وتخلقوا بأخلاق الفينيقيين ثم نشروها في أحيائهم عند رجوعهم إلى جبالهم الراسيات، وهكذا انتقلت اللغة البونيقية وكان القوم يكتبون بها في عهد ماسينيسا حيث عُثر على بعض المنقوشات لتلك اللغة. ينظر عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي: تق ومر أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003م، ص 47. ليأتي العهد الروماني الذي بقي عدَّة قرون في شمال إفريقيا لكنهم اهتموا خلالها بالزراعة أكثر من أي ثروة أخرى، لأنهم يعتبرون المنطقة مخزن غذائهم من الحبوب، أما بالنسبة للحياة الحضارية فالقول بأن روما أعطت للمغاربة فرصة الكلام باللاتينية وليترقوا بها إلى فئة الحَضَّر كلام باهت لأن الحديث باللغة غير التعلُّم والكتابة بها، فقد كانوا يستعملون اللاتينية في المدن الشمالية للتعامل مع المستوطنين وكسب عيشهم كعبيد. ينظر أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، 1/ 36. ثم جاء الوندال في القرن الخامس الميلادي خربوا ودمروا المدن والقرى، واستولوا على كل نفيس حتى أصبح يُضرب بهم المثل في الفساد والتدمير، وقد شقَّ البربر عصا الطاعة في وجوه الوندال وانتزعوا منهم موريتانيا ونوميديا، فاغتنم البيزنطيون فرصة انحطاط النفوذ الوندالي بالمغرب وأرسلوا جيوشهم وانتصروا عليهم وأسروا حاكمهم سنة (534م)، هكذا تقلص ظل الوندالين ليحلَّ محلهم البيزنطيون. ينظر أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، 36/1. وبقي الحال على ما هو عليه إلى غاية الفتح الإسلامي.

المواجهة لهذه الموجات الاستدمارية التي كانت تهدد كيانهم في كل مرّة، وبقي هذا الحال إلى غاية الفتح الإسلامي، لتليه مرحلة جديدة تميزت بالمدّ والجزر، ومما لا شك فيه أن دراسة حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تعتبر مهمة صعبة للغاية تحتاج إلى المعرفة الواسعة وتفحُّص المصادر العربية القديمة التي تحتاج بدورها إلى غربلة وإحصاء جديدين بهدف تصنيف المعلومات التاريخية. وهناك حقيقة لابد من الإشارة إليها هي أن معظم الأبحاث والدراسات التي أُلفت عن تاريخ المغرب في ظل الإسلام تتسم بالنظرة العمومية، فقد حمل الفاتحون المسلمون الحضارة العربية الإسلامية التي قامت على دعامتين كبيرتين هما العربية والإسلام، فاللغة العربية هي الأداة التي عبَّرت فيها هذه القوة الحضارية عن نفسها في حين كان الإسلام القوة الروحية التي أكسبت شخصيتها ومُثلها وفلسفتها ونظرتها إلى الحياة، فإن الفتح الإسلامي للمغرب لم يكن مجرد حدث سياسي وعسكري فحسب، إنما كان حدثا حضاريا ومنهج حياة، ونظام وأسلوب عمل غيَّر مسيرة المجتمعات وحررها.[1]

ولما أتمَّ عمرو بن العاص فتح مصر ودان له أهلها بالطاعة والجزية، التفت إلى برقة وسيَّرَ إليها جنده بقيادة عقبة بن نافع الفهري، فَوَاقَعَهُمْ بها، ثم قصدوا زويلة فاستولى عليها وبثَّ منها سراياه في بقية البلاد، وهكذا فتحت بلاد إفريقية بعد فتح مصر،[2] وقد كان لهذا الفتح أهمية كبيرة، تكمن في استكشاف المنطقة وضمان برقة قاعدة أمامية كنقطة ارتكاز للانطلاق إلى ما جاورها.[3]

---

1- صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007،ص ص 09-10.

2- عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1990، ص 29.

3- موسى لقبال وآخرون: المرجع السابق، ص ص 15-16.

أسلم البربر على يد عقبة بن نافع لمـــّا كان له الحجة بالكتاب والسيف،[1] وقد أخذوا بعد ذلك يدخلون في الإسلام رويدا رويدا، إلاَّ من كان منهم قد تحصَّن بالجبال، بقي على عاداته القديمة، حتى أن البعض منهم قد أدخلوا على الإسلام عند اعتناقهم إياه كثيرا من معتقداتهم وعاداتهم، أو أنهم ألبسوا تقاليدهم لبوس الإسلام، حتى جاءت البعثة العمرية،[2] ليتعلم البربر أصول الديانة الإسلامية فكانوا عمدة في انتشارها، ورسوخ العقيدة في أدمغة السكان الأصليين. أما العربية فإنها سايرت الإسلام خطوة بخطوة، وانتشرت بانتشاره في ربوع المغرب. وقد تميّزت الدولة الأموية بانتصارها للعرب، فنفرت الأمم الإسلامية الجديدة من هذه المعاملة القاسية والبربر من جملة من نفر، وقد كان سوء المعاملة غلطة سياسية مذمومة العاقبة محمولة على كاهل بني أمية أضعاف ماهي محمولة على كاهل البربر، دفعت سكان المغرب إلى النزوع إلى مذاهب الخوارج.

فأقاموا أحزابا سياسية في ثوب مذاهب دينية ترتكز على الاجتهاد وتهدف إلى الاستقلال الداخلي،[3] فلم يكن لبني العباس المفر في خلافتهم، بعد أن أيقظوا الروح الشعوبية (القومية) في أقطار الإسلام من إعطاء الاستقلال الداخلي للولايات غير العربية الواحدة تلو الأخرى، ومنها ولاية إفريقية. من هنا ظهر النظام اللامركزي في دولة بني العباس، وتسلم بنو الأغلب الحكم في بلاد المغرب سنة **(184هـ)**، فكانت الدولة الأغلبية دولة عربية مسلمة بأوسع معاني الكلمة، رشيدة الأمر، حكيمة السياسة، وكان منهجها في الحكم إدماج البربر في العرب، وتحويل نشاطهم إلى الخارج، والتعالي عن مناوأة البلاد

---

1– لم نذكر تفاصيل الفتح ومجرياته والمعارك التي حدثت طيلة الفتح حتى استقراره وقادته، لأن موضوع دراستنا ينحصر بين القرنين السابع والتاسع الهجريين.

2– البعثة العمرية هي البعثة التي أرسلها عمر بن عبد العزيز (99–101 هـ) إلى بلاد المغرب، وهي عشرة من التابعين العلماء لتعليم الناس تعاليم دينهم.

3– عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2003، ص ص 106–108.

المنفصلة عنها، كالمغرب الأقصى والأندلس، بل ركزت على توسيع الفتح في قارة أوروبا، فكانت بذلك المثل الأعلى لعظمة الدولة الإسلامية في الخارج.[1]

وهذا ما يفسر ظهور دويلات مستقلة في المغرب الأوسط وأولها الرستميون.

## أ- الرستميون:

تمكن الرستميون من تأسيس دولتهم على يد عبد الرحمان بن رستم، وتمت مبايعته بالإمارة سنة (**144هـ/761م**)، ثم بالإمامة سنة (**160هـ/776م**)[2]، حيث يقول عنه ابن خلدون (**ت 808هـ/1406م**): «وكان عبد الرحمان بن رستم من مسلمة الفتح وهو من ولد أمير الفرس بالقادسية، وقدم إلى إفريقية مع طوالع الفتح فكان بها، وأخذ بدين الخارجية والإباضية منهم»[3] واتخذ الرستميون من تيهرت عاصمة لهم. لكن لم تعرف هذه الدولة حدوداً ثابتة (مستقرة) وأية محاولة لوضع حدود لها إنما يكون من باب التقريب فقط، لكن يرى أغلب المؤرخين أن الدولة الرستمية بسطت نفوذها في كل المغرب الأوسط ماعدا تلمسان التي كانت تابعة لدولة الأدارسة، ومنطقة الزاب التي كان أمراء الأغالبة يسيطرون عليها، بل كان ينضوي تحت حكم الرستميين كل من جزيرة جربة وبلاد الجريد، وجبل نفوسة وجنوب طرابلس، وهكذا امتدت إلى مناطق شاسعة من المغرب الإسلامي،[4] وقد استمر الحكم في ذرية عبد الرحمان بن رستم إلى أن أزيلت على يد داعية العبيدين أبي عبد الله الشيعي، وذلك في شهر شوال سنة (**296 هـ**).[5]

---

1- عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص ص 201-204.

2- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962: ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 33.

3- ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، 6/ 158 - 159.

4- عبد الحميد حاجيات وآخرون: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007،ص ص 44-45.

5- سالم عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية،، السعودية، 2003، ص 245.

ازدهرت الحياة الفكرية والثقافية في أحضان الدولة الرستمية، حيث عنى الرستميون بالعلم، وشجعوا العلماء، « وقد تشكلت الروافد الفكرية في ظل المذهب الإباضي الذي تشرّب أفكاره من المشرق، حيث حملها جماعة من المغرب تلقت تعليمها على يد داعية الإباضية الأكبر أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وبدأت في نشر ثقافة المذهب الإباضي ضمن حلقات تدرس علم الأصول والفروع والسِّيَر والتوحيد والشريعة وآراء للفرق وعلوم اللغة والفلك والرياضيات، وكانت هذه الحلقات بمثابة المدارس التي تلقن طلبتها العلوم النقلية والعقلية في آن واحد، كما كانت مركزا لتعريب البربر وتحضيرهم»[1].

وازدهرت دولة بني رستم ثقافيا حتى أصبحت تيهرت عاصمة للمذهب الخارجي يقصدها الخوارج من جميع الأرجاء، وغدت بذلك مركزا ثقافيا يضاهي بغداد وقرطبة، فعرف أهل المغرب الأوسط الثقافة ونبغوا فيها خصوصا الثقافة الدينية[2].

وقد نبغ في ظل الدولة الرستمية علماء، حتى أن أخت الإمام أفلح برعت في علم الحساب والفلك والتنجيم، وهذا دليل على المشاركة الواسعة في الحياة العلمية والفكرية التي شملت النساء كما برزت مراكز علمية ضمن الحيز الرستمي ومن أهمها العاصمة تاهرت[3].

وللرّستميين اهتمام بالكتب والمصنفات وإقامة المكتبات، ومن أشهرها مكتبة المعصومة بتاهرت، التي كانت تضم نحو **300** ألف مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون، وقد خُرِّبت هذه المكتبة على أيدي الفاطميين بعد أن أخذوا منها ما اهتموا به من كتب الرياضيات والفلك والهندسة والطب[4].

---

1- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس – 160هـ – 296هـ)، دار القلم، ط3، الكويت 1987م، ص 235-236.

2- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت، ص ص 27-38.

3- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية (دت)، ص489.

4- المرجع نفسه، ص 490.

واهتم الرستميون بما يعين حياتهم الاقتصادية، ويرسخ لهم الازدهار والنماء الحضاري، وأوّل استراتيجياتهم في ذلك اختيارهم لموقع عاصمتهم المتمثلة في تاهرت، التي كانت تتوافر فيها صفات تجعل منها نموذج العاصمة السياسية والاقتصادية، يقول ابن عذارى (**ت 712هـ**) عن مدينة تاهرت: «وهي غيضة بين ثلاثة أنهار،...»[1] وهذا ما جعلها ترقى إلى مصاف الحواضر الإسلامية الكبرى، فشابهت وقاربت قرطبة وبغداد ودمشق، وكان بها من القصور العالية، والمنازل الرفيعة والعمارات والمساجد، والمنتزهات وما يشبه منتزهات هذه البلاد[2]. ولم يكن ذلك التنظيم الاقتصادي والنماء الذي ميّز تاهرت حكرا على عاصمة الرستميين، فقد كشف الباحثون عن بعض آثار سدراتة حيث استقروا (الرستميون) بعد تاهرت فأثبتت وجود مدينة حضرية وسط الصحراء متميّزة بالبنايات الصلبة، والزخارف المتنوعة، وكانت تضم قصورا ومنازل وبساتين كما وجد الأثريون أنه كان لها علاقة قوية مع إفريقيا والسودان، فكانوا يأتون بالتبر من غانة ونواحيها ليسكّوا منه سكتهم، ولعلهم كانوا يصنعونه أو يتعاملون به مع الجيران[3]، وقد ساهم مناخ تاهرت ووفرة مياهها وموقعها الجغرافي في توسع الرستميين اقتصاديا، وزيادة إنتاجهم الزراعي الذي تأثر بخصوبة الأرض وغزارة الأمطار، وعزّز كل هذا ممارسة النشاط التجاري والمبادلات الاقتصادية في داخل الدولة وخارجها، فقد صارت مركزا تجاريا هامّا بين نهاية التل وحافة الصحراء[4].

وذكر البكري (**ت 487هـ**) في هذا السياق: « وبتيهرت أسواق عامرة، وحمامات كثيرة يُسمى منها اثنى عشر حمّاما...»[5].

---

1 – ابن عِذاري: البيان المعرب، 196/1.

2– عبد الرحمان محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص 72.

3– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 161/1.

4– المرجع نفسه، 161/1.

5– البكري: المسالك وممالك، ج2، د ط، دار الغرب الإسلامي، 1992 م، ص 736.

وعن الجانب الاجتماعي كانت الطبقات الاجتماعية على درجات، حتى اتسع العمران وعظمت الثروة العامة فاضمحلت الطبقة السفلى واتسعت نُطُقُ الطبقة الوسطى وأصبحت تداني الطبقة العليا ولا تفصلها إلاّ درجات في عظم الثروة واعتبارات في الحسب والجاه والشرف[1].

وقد ساعدت سياسة التسامح وحسن المعاملة التي انتهجها أئمة بني رستم على إقبال أجناس وعناصر متباينة، إذ كان يعيش بتيهرت جنبا إلى جنب البربري والعربي والفارسي والسوداني والإباضي والسني والمعتزلي واليهودي والنصراني[2].

**ب – الفاطميون:**

قامت الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي بزعامة عبد الله المهدي الذي ادّعى أنه صاحب الحق في الخلافة، وأنه حفيد محمد بن إسماعيل بن جعفر. وقد مهّد لقيام الدولة الفاطمية أبو عبد الله الشيعي الذي دخل تيهرت وأحدث في الرستميين مقتلة كبيرة يذكر عن ذلك البكري (**ت 487هـ**): «... إلى سنة ست وتسعين ومائتين وصل أبوعبد الله الشيعي إلى مدينة تيهرت فدخلها بأمان، ثم قتل فيها من الرستميين عددا كثيرا، وبعث برؤوسهم إلى أخيه العباس، وطاف بها القيروان، ونصبت على باب الرقادة، ومَلَكَ بنو رستم تيهرت مائة وثلاثين سنة...».[3]

وقد بويع عبد الله المهدي بمدينة رقادة يوم الجمعة الحادي والعشرين لربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، فاختط له مدينة المهدية وبناها وعلَّا قصورها وعمَّر ربوعها وبنى بها الأسواق والمساجد والحصون حتى أصبحت عاصمة تضاهي المملكة الفاطمية التي أسسها.[4]

---

1– عثمان العكاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ص 138.

2 محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1966، ص 32– 33.

3– البكري: المسالك والممالك، المرجع السابق، ج2، ص 735.

4– أبو القاسم سعد الله وآخرون، موجز التاريخ العام للجزائر، المرجع السابق، ص 155.

وهكذا فقد دان الشمال الإفريقي للدولة الفاطمية العبيدية وامتد سلطانها حتى شمل طرابلس وبرقة. ولم يكن العبيديون منصرفين إلى المغرب بقدر انصرافهم إلى المشرق، لهذا اتجهوا إليه، وعملوا للاستيلاء على مصر، ومهدوا لحملات كثيرة حتى استولوا عليها، فلما تم لهم ذلك نقلوا عاصمة ملكهم إليها بعد أن بنوا مدينة القاهرة،[1] حتى بعدما وضع الفاطميون أيديهم على عواصم السنة والإباضية (فاس، تيهرت...). لكن خطر الثورات ظل قائما، لذلك أطلقوا أيدي خلفائهم بني زيري وأوكلوا إليهم إخضاع الأقاليم لهم، لكن كان على الفاطميين أن يركزوا على شيئين، الأول التحضير للانتقال للمشرق، والثاني مواجهة ثورة الصمت التي قادها ضدهم فقهاء المالكية، وكانت العامة تتبع فقهاء المالكية. وقد عانى فقهاء الشيعة هزيمة فكرية وفقهية.

تعاون المعز لدين الله الفاطمي مع جوهر الصقلي لتمهيد الطريق للانتقال إلى مصر تاركا شأن الدفاع عن المذهب الشيعي إلى أمراء بني زيري.[2]

وامتدت الدولة الفاطمية على رقعة كبيرة من المغرب الإسلامي مما جعل من هذا الامتداد نقطة قوة اقتصادية من حيث كثرة المحاصيل الزراعية، وعمّت الخيرات استعان الخليفة الفاطمي بقمح المسيلة ونواحيها من إقليم الزاب في حربه على أبي يزيد الذي ثار عليه وهدّد خلافته[3]، وهذا دليل على مدى ازدهار الفلاحة واكتفاء هذه الدولة، ونشطت التجارة وترقت حتى أصبحت سيادة البحر المتوسط للعبيديين وسيادة الصحراء للجزائريين يربطون العلائق مع السودان[4].

---

1 – الطيب بن نادر: الجزائر حضارة وتاريخ، المرجع السابق، ص ص 38-40.

2– عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 158.

3- محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1983م، ص 109.

4– عثمان العكاك: المرجع السابق، ص 157.

### ج – الحماديون:

تعد دولة بني حماد سليلة الدولة الزيرية (الصنهاجية)، فقد ذكر ابن خلدون **(ت808هـ/1406م)** أن: « هذه الدولة شعبة من دولة آل زيري، وكان المنصور بلكين قد عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة، وكان يتداولهما مع يطوفت وعمه أبي البهار، ثم استقل بها سنة سبع وثمانين وثلاثمائة أيام باديس...»[1]، وقد سبق الحماديين حُكْمُ الزيريين، فعندما توفي زيري بن مناد خلفه ابنه بلكين، فاتبع سيرة أبيه وجده في الولاء للفاطميين وخدمتهم. واعترافا بفضل هذه الأسرة الوفية، عَيَّنَ المعزُ لدين الله بلكين على إفريقية والمغرب، حاكما باسمه **(361هـ/972م)**، ثم تعاقب على ذلك أبناؤه إلى سنة **(543هـ/1149م)**. ورغم أن بلكين كان يتحرك تحت مظلة الفاطميين والمذهب الشيعي، فإنه استطاع أن يحقق الوحدة المغاربية قبل الموحدين، حيث وصل نفوذه إلى خليج سرت، وضمّ طرابلس وشمال المغرب الأقصى إلى غاية ثورة حماد بن بلكين ضد باديس الزيري **(398هـ/1007م)**،[2] وهو تاريخ تأسيس قلعة بني حماد المبنية على مرتفعات جبل المعاضيد الواقعة على مسافة **36** كم، شمال شرقي المسيلة.[3]

ولحماد مؤسس الدولة صفات، جعلته يتبوأ المكانة التي وصل إليها. إذ يقول عنه لسان الدين ابن الخطيب **(ت 776هـ)**: «وكان حماد نسيج وحده، وفريد دهره وفحل قومه، ملكا كبيرا وشجاعا، وداهية حصيفا، قد قرأ الفقه ب القيروان ونظر في كتب الجدل، وأخباره مشهورة، وهو الذي بنى القلعة المنسوبة إلى حماد بالحضرة...».[4]

---

1– ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، 227/6

2– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2،...المرجع السابق، ص ص11– 13.

3– موسى لقبال وآخرون: الجزائر في التاريخ، المرجع سابق، ص 170.

4– ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ/1374م): أعمال الأعلام، تح أحمد المختار العيادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، دط، الدار البيضاء، 1964م، ص ص 85–86.

وتألقت بعد العاصمة الأولى للحماديين، (القلعة) مدينة بجاية التي تسمت بالناصرية في عهد الناصر بن علناس تيمنا باسمه، وانتقل إليها سنة **(461هـ/1068م)** ثم نقل ابنه المنصور العاصمة إليها سنة **(483هـ/1090م)**.[1]

ولعل عصر دولة الحماديين شهد تنامي دولة المرابطين، وتعاظم قوتها، مما حتم على بني حماد ربط علاقات معهم، ولعل التوجه السني في دولة الحماديين أثر في تخفيف الصراع مع المرابطين. كما أن صلة القرابة الصنهاجية سببٌ آخر، وإلاّ ما استطاعت دولة بني حماد أن تقاوم جيوش المرابطين، ونجد أنه كانت لبني حماد أطماع توسعية، تستهدف أطرافا من دولة المرابطين، إلا أن سياسة يوسف بن تاشفين تميَّزت بالحكمة وبعد النظر والابتعاد عن الصدام مراعيا في ذلك أمورا عديدة، منها: قرابتهم واتحادهم في المنهج والمعتقد والمذهب.[2]

وقد طبعت الحياة العلمية والفكرية في عصر بني حماد بطابع الحركية، فقد كانت عاصمتهم القلعة قبلة لطلاب العلم ومَعلما حضاريا يقصده الناس، على حدِّ ما نقله ابن خلدون **(ت 808هـ/1406م)** ذاكرا عمل بن حمّاد في إنشائه لعاصمته «... وشيّد من بنيانها وأسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق، فاستبحرت في العمارة واتسعت في التمدُّن، ورحل إليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها »[3]، وقد وُجد الإنتاج في الأدب واللغة والعلوم العقلية والنقلية، وبرزت أسماء كان لها شأن في العصر الحمادي وفيما تلاه من العصور[4].

---

1- ابن الوردي عمر مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين (ت 749 ه): تاريخ بن الوردي، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1996، ص 303.

2- علي محمد الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ( فقه التمكين دولة المرابطين)، ج2، د ط، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003 ص 352.

3- ابن خلدون عبد الرحمان: 227/6.

4- رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984، ص 243 وما بعدها.

واعتمدت نهضة الدولة الحمادية على الزراعة والصناعة سواء كان ذلك في عاصمتهم الأولى (القلعة) أو عاصمتهم الثانية بجاية، فالمظاهر الحضارية كانت إفرازا لنشاطي الزراعة والصناعة ويعود ذلك لما كان من مؤسس الدولة الحمادية الذي أسس أرضية الدولة من خلال العاصمة القلعة ذات النمط الحضاري.

وقد عبّر عن ذلك ابن الخطيب **(ت 776ه)**: «... فاتخذ بها القصور العالية، ... المنيعة والمساجد الجامعة، والبساتين الأنيقة، ونقل إليها الناس من سائر البلاد»[1]، وكان هذا الجمع من الناس يحمل في نسيجه من أهل الحرف والصناعات من بنائين ونجارين وغيرهم. واعتمد حمّاد على هؤلاء الصناع القادمين، ليوحي بأن القبائل التي شكّلت جمهور سكان المدينة كانت قبائل بدوية، شاء لها حمّاد أن تتحضر وتسكن المدينة فهو بهذا أحدث تطورا في مستواها الاقتصادي والاجتماعي، وأصبحت المنطقة كثيرة الزرع وفيها جميع الخيرات[2].

كما أسهم الطابع المناخي والجغرافي لمدينة القلعة في تحقيق الرّفاه الاقتصادي والوصول إلى مستوى معيشي راق تمتّع به سكانها، وقد ذاع صيت هذه المدينة حتى وصفها الإدريسي **(ت 560ه/1166م)**: «... ومدينة القلعة من أكبر البلاد قُطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكن وأعمّها فواكه وخِصبا وحنطتها رخيصة، ولحومها طيبة سمينة... »[3].

كما كانت الصناعة في العصر الحمادي لها مكانتها لما لها من تأثير حضاري وتقدّم في شؤون الدولة، ومن الصناعات التي كانت لها الصدارة صناعة السفن إبّان فترة حكم الحماديين لبجاية (الناصرية) التي تمتّعت بواجهة بحرية جعلت منها مهوى السفن من بقاع مختلفة، ويذكر في هذا ابن عبد ربه الحفيد: «...وعليها سور عظيم، والبحث يضرب فيه،

---

[1]– ابن الخطيب لسان الدين (ت776ه/1374م): المصدر السابق، ص 86.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع سابق، ص 378.

[3]– الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني بن الشريف الطالبي (ت 548ه): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، عالم الكتب، ط1، بيروت 1989م،ص 255.

ولها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن،... وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الرّوم من الشام وغيرها ومن أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين وغيرها،...»[1].

## د- المرابطون[2]:

كانت هناك بوادر مهّدت لقيام دولة المرابطين التي انطلقت حقيقة مع حكم يوسف بن تاشفين الذي تولى شؤون الجيش وفتح المغرب الأقصى، وأنشأ مدينة مراكش سنة **454هـ.**[3]

وكانت تركيبة المرابطين المشكلة من قبائل بربرية تنحدر أساسا من صنهاجة، وعلى رأسهم قبيلة لمتونة، وهذه التركيبة مكّنت المرابطين من امتلاكهم القوة التي يدينون بها لواقع معيشتهم وما ميّزه من شظف وكذا اعتيادهم على قساوة المناخ نظرا لأنهم سكنوا الصحاري.

وكان لعبور المرابطين من المغرب إلى الأندلس الأثر في التكوين الحضاري والفكري من حيث تأثر المرابطين بمظاهر العلم والرقي التي شهدتها بلاد الأندلس، واهتم أمراء المرابطين بتشجيع العلم والعلماء، وشيّدوا المدارس والمساجد للتعليم لنشر المعرفة بين الناس، فقد كان يوسف بن تاشفين الملقب بأمير المسلمين يجمع العلماء في مجلسه ويحتفي بهم، واشتهر بدماثة خلقه وحسن سيرته، يقول ابن الأثير **(ت630 هـ/1234م)** عنه: «...ملك الغرب والأندلس، وكان حسن السّيرة، خيِّرا، عادلا يميل إلى أهل الدين والعلم، ويكرمهم، ويصدر عن رأيهم، ولمّا ملك الأندلس، على ما ذكرناه جمع الفقهاء، وأحسن إليهم،....»[4].

---

[1]- ابن عبد ربه الحفيد: الاستبصار، ص 130.

[2]- يذكر القلقشندي (ت821هـ/1418م) في سبب تسميتهم بالمرابطين: «....فلّما مات يحي بن إبراهيم طّرحوا عبد الله بن ياسين واستعصوا عليه وتركوا الأخذ بقوله فاعتزلهم، ثم اجتمع عليه رجال من لمتونة فخرج فيهم وقاتل من استعصى عليه منهم حتى أنابوا إلى الحق وسمّاهم "المرابطين"....».

[3]- القلقشندي (ت821هـ/1418م): المصدر السابق،185/5.

[4]- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين (ت630هـ/1234م): الكامل في التاريخ،ج8، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1997م، ص 531.

وسلوك الخلفاء المرابطين عزّز من جاذبيتهم للعلماء حتى صار حال مجالسهم أشبه بمجالس خلفاء بني العباس في المشرق، وذكر المراكشي **(ت 647هـ/1250م)** في السياق نفسه قائلا عن ابن تاشفين: «... فانقطع إلى أمير المسلمين من كل الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم.... واجتمع له ولابنه من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار...»[1].

لكن هذا لم يدم طويلا، حيث أن المرابطين فشلوا في استعادة الأندلس أو على الأقل في الوقوف في وجه نصارى إسبانيا. ثم إن اعتمادهم على فقهاء يعتبرهم المجتمع المتفتح محافظين قد جعل الكثير من المتعلمين لا يشعرون بمكانتهم العلمية في المجتمع الأندلسي والمغاربي، وهذا الوضع سهل على الموحدين زعزعة أركان دولة المرابطين، وبالتالي قضى علي بن يوسف نصف عهدته في الدفاع عن مملكته ضد الموحدين. وعندما توفي خلفه تاشفين كأمير للمسلمين لكنه لم يبق إلا سنتين في السلطة فقد قتل وهو يحارب الموحدين قرب وهران، ثم سقطت مراكش[2] نفسها بينما كانت الأندلس في قبضة الموحدين.[3]

---

[1]– المراكشي: المصدر السابق، 123/1.

[2]– وقد وصف صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب: «... واختلت حال أمير المسلمين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالا شديدا... وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد... وأحوال المرابطين المذكورين تختل، وانتفاض دولتهم يتردى... وخرج تاشفين بعد وفاة أبيه... فقصد مدينة وهران... فحاصره الموحدون بها... وكان آخر ما استولى عليه من البلاد التي يملكها المرابطون مدينة مراكش دار ملك أمير المسلمين... وهذا بعد وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في شهور سنة خمسمائة وسبعة وثلاثين هجري... وكانت مدة المرابطين من حين نزولهم رحبة مراكش إلى أن انقرض ملكهم جملة واحدة بموت أمير المسلمين وابنه نحوا من ست وسبعين سنة... ».

[3]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص ص 72–73.

### هـ – الموحدون:

انتصب أبناء عبد المؤمن بالمغرب الأوسط وكان نظام الدولة الموحدية من أحسن النظم التي ارتكزت أصولها بالمغرب، وسارت عليها الدول نحوا من ثلاثة أو أربعة قرون.[1]

وقد مثلت فترة حكم أبي يعقوب يوسف وابنه المنصور أزهى الفترات التي عرفتها دولة الموحدين، لكن بدأ تراجع أحوال دولة الموحدين بعد الانكسار في موقعة حصن العقاب ضد النصارى بالأندلس سنة (**609هـ/1212م**)، وبعدها دخل الموحدون في دوامة لا تنتهي إلا بنهاية دولتهم، خاصة بعد ظهور المرينيين في عهد المستنصر الذي توفي عام (**620هـ/1223م**)، وبعد وفاته، انغمست الدولة في الانحطاط، وبدأ الصراع داخل الأسرة الحاكمة، ولم يفوت النصارى هذه الفرصة، وقاموا باستخلاص العديد من المدن الأندلسية من أيدي الموحدين. وكان أبو العباس إدريس الواثق بالله المعتمد عليه الملقب بأبي الدبوس آخر الخلفاء الموحدين الذي قتل سنة (**668هـ/1281م**)، وبموته انقرضت دولة الموحدين.[2]

إن الأزمات التي توالت على دولة الموحدين لاسيما الثورة التي قام بها بنو غانية فضلا على الحروب المتكررة التي كانت تنشب بين بني مرين والموحدين، خاصة منها الهزيمة سنة (**612هـ/1216م**) أي بعد ثلاث سنوات فقط من هزيمة العقاب. كل هذه المعطيات كانت سببا في ضعف الموحدين، وضياع هيبتهم، ففي هذه الأحداث الكبيرة برز الحفصيون ونجحوا في تأسيس دولتهم في الجزء الشرقي للدولة، وجعلوا عاصمتهم مدينة تونس سنة (**625هـ/1227م**). وتمكن بنو زيان أو بنو عبد الواد من تأسيس دولتهم عام (**633هـ/1235م**)، وكانت عاصمتهم مدينة تلمسان وهذا ما يهمنا في دراستنا فضلا على المرينيين الذين تم على أيديهم القضاء على ما تبقى من نفوذ الموحدين نهائيا عام (**668هـ/1295م**) وكانت حاضرة دولتهم فاس.[3]

---

1– عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 205.

2– شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ،667هـ /1126 م،1268)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2008، ص ص 25–26. ينظر أيضا أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، ج2، تح وتع جعفر الناصري، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997 ص ص 259–260.

3– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 1/13–14.

## و- الزيانيون:

يعتبر تاريخ تعيين يغمراسن[1] بن زيان (**633هـ/1235م**) أميرا على تلمسان ومنطقتها من طرف رجال قبيلة بني عبد الواد بداية لتأسيس الدولة الزيانية وقد أجمع المؤرخون على أن يغمراسن (ت **681هـ/1283م**) هو أول ملوك بني عبد الواد.[2] والذي اعتمد على شبكة من التحالفات، لأنه يعرف مدى قوة وطموح إخوانه وأبناء عمومته (بني مرين) في ضم تلمسان إلى دولتهم[3]. وقد وصف لسان الدين بن الخطيب (**ت 776هـ**) يغمراسن (ت 681هـ/1283م) «أنه أوحد بنو العباس إدريس الواثق بالله المعتمد عليه الملقب بأبي الدبوس، آخر الخلفاء الموحدين وطن تلمسان أبو يحي يغمور وهو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن بندوس بن طاع الله بن علي بن يمل وهو أوحد لأهل زمانه جرأة وشهامة ودهاء وجزالة وحزما. مواقفه في الحروب شهيرة، وكانت بينه وبين بني مرين وقائع... كان عليه فيها الظهور... ثم ولّي بعده ولده عثمان...».[4]

وتُجمع المصادر أن دولة بني عبد الواد تعود في الأصل إلى قبيلة زناتة الكبرى، وهم عدة بطون، منهم بنو ياتكين، بنو وللّوا، بنو ورسطيف، وبنو القاسم،5 ومن هذا الأخير ينحدر بنو عبد الواد، وقد اختلف انتسابه أي القاسم، إذ يروى أنه نزل على بطن بني عبد

---

1- آل أمر بني عبد الواد إلى يغمراسن بن زيان (ت 681هـ/1283م) سنة 633هـ بعد شد وجذب دانت له الأمصار واستقر به الحال وبدأ عهد الملك الذي صار ملكا للزيانيين. ينظر التنسي (ت 899هـ/1494م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح محمود بوعياد، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 115 وما بعدها، وينظر ابن خلدون عبد الرحمان، الديوان، 97/7 وما بعدها.

2- بنو عبد الواد: ظهر بنو عبد الواد كعائلة حاكمة منذ منتصف القرن (7هـ/13م) وأصل تسميتهم يعود إلى جدهم عبد الواد من ولد سجيح بن واشين مسرى بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ينظر سعد الله: المرجع السابق، 147/2.

3- سعد الله: المرجع السابق، 147/2.

4- ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ/1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ، ص 331.

5- القاسم: جد أمير المؤمنين اتفق النساب على أنه من ولد عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولكن اختلفوا في طريقة اتصاله به، ينظر التنسي (ت 899هـ/1494م): المصدر السابق، ص110.

الواد وتزوج منهم ونسل ذرية كبيرة[1]، بذلك يدفعون نسبه إلى آل البيت من ذرية علي بن أبي طالب، لكن عبد الرحمان بن خلدون (**ت 808هـ/1406م**) ينفي ذلك ويقول: «إنه مجرد زعم اتفق عليه بنو القاسم حتى يغمراسن بن زيان (**ت 681هـ**/1283م) وهو أول سلاطين بني عبد الواد، لما رفعوا نسبه إلى آل البيت أنكر ذلك وقال بالزناتية ما معناه: إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، أما الدنيا فنلناها بسيوفنا»[2].

ولقد كان بنو عبد الواد يستوطنون المناطق الجنوبية من المغرب الأوسط ويجوبون الصحراء بمواشيهم، وبقوا على ذلك الحال حتى تغلب الموحدون على عمال المغرب الأوسط، فأعلن بنو عبد الواد طاعتهم وإخلاصهم للموحدين، فاتخذهم الموحدون حماة لقطر تلمسان وبلاد الزناتة.[3]

إذن قامت الدولة الزيانية في تلمسان، مثلها مثل الدولة الحفصية والمرينية على أنقاض دولة الموحدين سنة (**634هـ/1236م**)، وعرفت هذه الدولة بدولة بني عبد الواد إلى أن غيّر اسمها السلطان أبو حمو الثاني (**760هـ-791هـ/1359-1389م**) إلى الدولة الزيانية،[4]

نسبة إلى زيان بن ثابت، والد يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية.[5]وفي ظل هذه النشأة، تعرضت الدولة الزيانية إلى أخطار الخارج، كان أولها حملات الحفصيين من الجهة الشرقية، وثانيها: حملات المرينيين من الجهة الغربية، فقد كان كل منهما يرى شرعية في

---

1- ابن خلدون يحيى (ت 780هـ): المصدر السابق، ص 186.

2- ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق،ج7، ص 97.

3- ابن خلدون يحيى: المصدر السابق، ص 198.

4- أبو حمو الثاني: هو موسى الثاني بن يوسف أبو يعقوب بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان أبو حمو، مجدد الدولة العبد الوادية في تلمسان ولد في غرناطة سنة 723هـ/1323م، شهد زوال دولتهم الأولى في عهد أبي تاشفين سنة 737هـ أعانه ملوك بني حفص على استرداد بلاده من أيدي بني مرين ودخل تلمسان سنة 760هـ وانتظمت دولته واستقرت، مات سنة (791هـ/1989م)، ينظر ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، تق وتح هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001.

5- عثمان السعدي: الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954، دط، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 333.

السيطرة على أراضي الدولة الزيانية.[1]

ومهما يكن من الأمر، وأنه رغم الصراعات التي كانت بين الأسرة الحاكمة في تلمسان وثورات القبائل العربية ضد السلطة المركزية في تلمسان، والهجمات المتكررة من الجارتين الشرقية والغربية (الحفصيين والمرينيين) وهيمنتها على الدولة الزيانية فترات عديدة من الزمن، فإن دولة بني زيان وعاصمتها تلمسان كانت تحتل مكانة مرموقة ومركزا سياسيا وتجاريا وعلميا متميّزا بين حواضر المنطقة ودول البحر المتوسط الشمالية. خلال العهد الزياني، ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية المتأثرة بالحضارة الأندلسية. وقد كانت العلاقات طيبة وقوية مع بني الأحمر في غرناطة، إلى جانب علاقاتها السياسية والتجارية مع الجارتين الشرقية والغربية، لا سيما وقت السلم والانفراج، وعرفت سلطة تلمسان صلات أيضا مع بلاد المشرق ودول غرب أوروبا وبلاد السودان في الجنوب.[2]

وارتفعت مكانة الدولة الزيانية حضاريا بارتفاع حاضرتها مدينة تلمسان التي أشادت المصادر بمآثرها فتجلّت صور العلم فيها واحتفت بالعلماء، وظهرت الحركة الفكرية نشيطة لتبرز التآليف في شتى علوم المعرفة (العلوم الدينية والمنطق والطب واللغة والأدب). كما شيّدت مدارس للتعليم كمدرسة أبناء الإمام والمدرسة التاشفينية والمدارس اليعقوبية[3].

وهذه الحركية مردها إلى النشاط الاقتصادي الذي عرف تطورا كبيرا ما عدا بعض المنعطفات التي أثرت فيه ومع ذلك فقد شكل موقعها الجغرافي همزة الوصل

---

1- عبد الحميد حاجيات وآخرون: المرجع السابق، ص 186. ينظر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، مؤسسة كتاب الجامعة والأوقاف، الجزائر، 2006، ص 30.

2- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 1/ 79-80.

3- مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية- الأحوال الاقتصادية والثقافية-، ج2، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007م، ص 205 وما بعدها.

وجملةً فإن الدولة الزيانية عرفت ازدهاراً عظيما ورخاء اقتصاديا كبيرا في فترات السلم[1]. ساعد كثيرا في ازدهارها الفكري والثقافي.

## ثانيا – السودان الغربي:

### 1 – الحدود والمجال:

قبل الحديث عن بلاد السودان يجب أن نضبط مصطلح السودان من الناحية اللغوية، فقد جاء في لسان العرب: سَوَدَ: السَّوادُ نقيض البياض، سَوَدَ وسَادَ واسْوَدَّ اسودادا وهو أسود، والجمع سُودٌ وسُودان.[2]

ويظهر مصطلح السودان عند الإدريسي **(ت 560ه/1166م)** مصطلحا جغرافيا يبدأ حده من الغرب واصفا ذلك في هذا النص: « أن السودان مبدؤه من جهة المغرب من البحر الغربي المسمى بحر الظلمات[3]، وهو البحر الذي لا يعلم ما خلفه... وفي هذا الجزء الذي رسمناه من المدن أوليل[4] وسلا وتكرور وبريسي ومورة، وهذه البلاد من أرض مقزارة السودان... ».[5] في تعريف الإدريسي **(ت 560ه/1166م)** نجده يتخذ من المعالم الحضارية المتمثلة في المدن منطلقا في تشكيل تصوره لمساحة السودان التي ستغدو رسما بمثابة الخارطة مستعينا بالبحر المسمى بحر الظلمات.

ويذهب ابن خلدون **(ت 808ه/1406م)** إلى أنّ: « هذه الأمم السودان من الآدميين هم أهل الإقليم الثاني وما وراءه إلى آخر الأول بل وإلى آخر المعمورة متصلون ما بين المغرب والمشرق، ويجاورون بلاد البربر بالمغرب وإفريقية وبلاد اليمن والحجاز في

---

1– رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص 477.

2– ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت711ه)، لسان العرب، ج3، ط3، دار صادر، بيروت 1414ه، ص 224.

3– بحر الظلمات: وهو البحر المحيط بغربي الأندلس (المحيط الأطلسي)– الإدريسي، المرجع السابق،ج1، ص 93.

4– أوليل: على سمت أودغست... في نقطة المغرب أوليل وهو على قعر البحر وآخر العمارة: ابن حوقل **(ت 367ه/977م)** المصدر السابق،ج1، ص 283.

5– الإدريسي **(ت 548ه/1154م)**: نزهة المشتاق، ج1، ط1،عالم الكتب، بيروت 1409ه، ص 17.

الوسط، والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم الزنج والحبشة[1] والنوبة... ».[2] وفي هذا النص يلاحظ أن معيار التعريف بالسودان عند ابن خلدون هو تحديد الأعراق التي أطلق عليها أصناف وشعوب وقبائل الزنوج والأحباش....

وقال ابن خرداذبة (**ت 280هـ/893م**) أن: «... السودان مسيرة سبع سنين، فأرض مصر جزء واحد من ستين جزءا من أرض السودان، وأرض السودان جزء واحد من ستين جزءا من الأرض كلّها... ».[3] يلاحظ في هذا التعريف لجوء ابن خرداذبة (**ت 280هـ/893م**) لما عرّف عند العرب من قياس المسافة بواسطة زمن المسير من مكان إلى مكان، وبذاك تقرب في الأذهان قياسات الأبعاد ويسلك اليعقوبي (**ت بعد 292هـ/بعد 905م**) مسلكه في تعريف السودان قائلا: «... ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان من سائر بطون السودان، يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة... ثم يصير إلى بلد يقال له غسط، وهو واد عامر فيه المنازل وفيه ملك لهم... يغزو بلاد السودان وممالكهم كثيرة...».[4] أما الهمذاني (**ت 334هـ/945م**) فيتخذ من المغرب مرجعا في تحديد موقع بلاد السودان، مُعَبِّرا عن ذلك بقوله: «... وأما الربع الرابع الذي لناحية جنوب المغرب وهو بلد السودان من الزنج والحبش والبجة والنوبة... فبلدان السودان العراة وغانة... ».[5] ليأتي ابن الفقيه (**ت 365هـ/976م**) فيصف بلاد السودان منطلقا من

---

1- الحبشة: حبش جنس من السودان، وهم الأحبش والحبشان مثل حمل وحُملان، والحبيش، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج6، ص 278.

2- ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، ج6، ص 264

3- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت 280هـ) المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، دط، بيروت، 1889، ص 93.

4- اليعقوبي أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ): البلدان،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ص 199.

5- الهمذاني ابن الحائك أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داوود ( ت 334هـ/945م): صفة جزيرة العرب، دط، مطبعة بريل، ليدن، 1884م، ص 40.

مصر باعتبارها في تصوره تحاكيها مساحة، فقاس المجهول بالمعلوم مستنبطا ذلك من القرآن: «... وأرض مصر محدودة في الكتاب، إنها مسيرة أربعين ليلة في مثلها، وأرض السودان مسيرة سبع سنين...».[1]

وحددها الإصطخري (**ت 346هـ/957م**) في قوله: «... فإنّ بلد السودان الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنّف[2]، ليس بينه وبين الممالك اتصال غير أن حدّا له ينتهي إلى البحر المحيط، وحدًّا له إلى برّية بينه وبين أرض المغرب، وحدًّا له إلى برّية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات... وأن طول أرضهم نحو من سبع مائة فرسخ في نحوها، غير أنها من البحر إلى ظهر الواحات أطول من عرضها...».[3] بدا الإصطخري (**ت346هـ/957م**) أكثر وضوحا في تعريفه للسودان الذي يتسم بالعلمية والطابع الرياضي من حيث تحديده للأبعاد محدِّدا ذلك بالفرسخ وحدةً للقياس طولا وعرضا.

وذكر المنجم (**ت ق 4هـ**) عن بلاد السودان ما يلي: «... وهي كبيرة واسعة، آخذة في الطول من بحر العرب إلى بحر القلزم، وهي عظيمة جليلة. ومن مدينة غانة وبلاد النوبة، بلاد كثيرة الصحاري، ورمال وبلاد النوبة شديدة الحر، قليلة الأمطار والأنهار والنبات والأشجار... وهي بلاد كثيرة الأسود، والوحوش، والدواب، الهائلة العظيمة...».[4] ففي هذا التعريف يعتمد المنجم والصف لبلاد السودان، من حيث الطبيعة والمناخ والغطاء

---

1- ابن الفقيه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني (ت 365هـ/975م): البلدان، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1996، ص 116.

2- مكنّف: كنفه عن الشيء: حجزه عنه، وكنف الرجل يكنفه وتكنَّفه واكتنفه: جعله في كنفِه، وتكنّفوه واكتنفوه: أحاطوا به والتّكنيف مثله، يقال صلاء ومكنَّف أي أحيط به من جوانبه، ينظر: ابن منظور (ت 711هـ) لسان العرب، ج9، المصدر السابق، ص 308.

3- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت 346هـ/957م): المسالك والممالك، دط، دار صادر، بيروت، 2004هـ، ص ص 10-11.

4- المنجم إسحاق بن الحسين (ت ق 4 هـ): أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ، ص 103.

النباتي المتواجد بها، وما يعيش عليها من حيوانات، وذلك محاولة منه لتمييزها عن باقي الأقطار.

وقد جاء في كتاب "حدود العالم من المشرق إلى المغرب" عن حدود بلاد السودان ومدنها: «بلاد شرقيها وجنوبيها يؤدي إلى مفازة الجنوب، وغربها بحر الأوقيانوس الغربي، وشماليها المفازة التي بين المغرب وبينهم بلاد عظيمة جدا... وهي البلاد التي يؤتى منها بأغلب الخدم، وفي أرضهم بأسرها معدن الذهب...».[1] بعد تحديد التعريف لجغرافية السودان يضيف إليها ما يأتي منها من موارد وخدم (عبيد).

وجاء في الاستبصار (**ت ق 6هـ**): «... أقرب بلاد الإسلام إلى بلاد السودان بلاد جدالة، وأقرب مدينة من مدن السودان إليهم مدينة صنغانة، وهي مدينة عظيمة على النيل... ولهاتين المدينتين نظر واسع وعمارات متصلة، يقال أنه تتصل عماراتهما وقراهما بالبحر المحيط، وتلي مدينة صنغانة مدينة تكرور...».[2] ووصف القزويني (**ت 682هـ/1283م**) بلاد السودان بقوله: « بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى المحيط ».[3]

وعن عظمة أهل بلاد السودان وما وصلت إليه الحبشة يقول شهاب الدين القرشي (**ت749هـ**): «... وأما بلاد السودان، فأعظمها عندهم قواعد السلطنة أرض الحبشة... وأرض الدمادم الذين خرجوا على أصناف السودان...».[4]

---

1- مؤلف مجهول (ت 372هـ): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تر وتح السيد يوسف الهادي، دط، الدار الثقافية للنشر، القاهرة،1423هـ، ص 205.

2- ابن عبد ربه الحفيد (ت 602هـ): الاستبصار في عجائب الأمصار، دط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص217.

3- القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دط، دار صادر، بيروت، ص24.

4- شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي العدوي العمري (ت 749هـ/1349م): مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ج5، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ، ص 185.

أما سراج الدين الحلبي **(ت 852هـ)** في قوله: «... ونرجع الآن إلى ذكر بلاد الجنوب وهي الواقعة بين المشرق والمغرب... وهذه البلاد كلها بلاد السودان، وأولها من المغرب الأقصى إلى المشرق الأقصى...، فأول بلادهم من المغرب الأقصى: أرض مغرارة ومن مدنها المشهورة المعظمة أولينى وهي في البحر... وصلي هي مدينة كبيرة على نهر النيل وهي مجتمع السودان... وتكرور وهي في جنوب النيل وغربيه، وهي مدينة كبيرة وبها أمم عظيمة من السودان وهي مقر ملكهم، وببلادهم معدن الذهب...».[1]

بينما الوضع يختلف بالنسبة للنوبة والحبشة لاتصال العرب بهم، خاصة أرض الحبشة وهذا حتى قبل الإسلام، فقد ذكر الطبري **(ت 310هـ/923م)** في روايته: «... أمرهم[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ- وَكَانَ بِالْحَبَشَةِ مَلِكٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ النَّجَاشِيُّ، لا يُظْلَمُ أَحَدٌ بِأَرضِهِ،...، وَكَانَتْ أَرْضُ الْحَبَشَةِ مَتْجَرًا لِقُرَيْشٍ يَتْجَرُونَ فِيهَا، يَجِدُونَ فِيهَا رِفَاغًا مِنَ الرِّزْقِ، وَأَمْنًا وَمَتْجَرًا حَسَنًا-... ».[3]

ولأنّ النوبة والحبشة كانتا تدينان بالنصرانية وعرفتا نظما وتراتيب إدارية لم يعرفها بقية السودان هذا لاتصالهم بمملكة الروم، وهذا ما ينقله الإصطخري **(ت 346هـ/957م)** في المسالك والممالك: «... غير أن بعض السودان المقارن لهذه الممالك المعروفة يرجعون إلى ديانة ورياضة وحكم، ويقاربون أهل الممالك مثل النوبة والحبشة، فإنهم نصارى يرتسمون بمذاهب الروم، وقد كانوا قبل الإسلام يتصلون بمملكة الروم...».[4]

---

1- الحلبي سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي البكري القرشي (ت 852هـ/1447م): فريدة العجائب وفريدة الغرائب، المنسوب خطأ للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القريشي، تح أنور محمد زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية/ ط1، القاهرة، 2008، ص133.

2- بعد اضطهاد قريش(الكفار) للمسلمين.

3- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310هـ/923م): تاريخ الرسل والملوك، ج2، ط1، دار التراث، بيروت،1387هـ، ص328.

4- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت 346هـ/957م): المصدر السابق، ص05.

لكن بعد اتصال العرب ببلاد السودان خاصة سودان المغرب بسبب العلاقات الوثيقة بين بلدانهم وبين بلاد السودان الغربية، نجد الجغرافيين المغاربة يمدوننا بمعلومات في كتب البكري (**ت487هـ**) والإدريسي (**ت 560هـ/1166م**) في القرنين (**5هـ-6هـ**)، تعطينا معلومات قيمّة عن دُولِهِ وثرواتها وحضاراتها.

فمفهوم السودان بهذا الشكل عام وشامل، يعني جنوب الصحراء الكبرى. وعندما استخدم الجغرافيون العرب المشارقة هذا المصطلح، لم يكن له هذا المعنى، فقد سموا الأجزاء الشرقية من السودان بأسمائها السياسية المعروفة، وهي البجة وبلاد النوبة، ومملكة الحبشة، وبلاد الزنج.[1] وعليه، يمكن القول أن السودان في الواقع تسمية عامة، لذلك أصطلح على تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

**السودان الشرقي:** ويشمل النيل وروافده، وجنوب بلاد النوبة.

**السودان الأوسط:** ويشمل عدّة مناطق.[2]

**السودان الغربي:**[3] وهو الذي يهمنا في هذه الدراسة هو السودان الأوسط والغربي، اللذان يشكلان معا منطقة موازية لبلاد المغرب بأقسامه الثلاثة الأدنى والأوسط والأقصى، وتفصل بينهما الصحراء الكبرى.[4]

وقد اصطلح الجغرافيون المغاربة أن بلاد السودان هي بلاد السودان الغربي من دولة الإسلام، وهذا ما يذكره ابن حوقل (**ت 367هـ**): «... فأما مملكة الإسلام فإن شرقيها أرض

---

1- نبيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقية الإسلامية (انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي من القرن 5-9 هـ)، دط دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007، ص17.

2- المناطق المحيطة ببحيرة تشاد. يُنظر عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأورزي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 ص11.

3- ويشمل حوض السنغال الآن وغامبيا، وبوركينافاسو (فولتا العليا سابقا) والنيجر الأوسط. يُنظر شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج2، ط1، دار العلم للملاين، بيروت، 1993، ص963.

4- نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص71.

الهند وبحر فارس، وغربيها مملكة السودان المطلين على البحر المحيط المتصلين ببراري أودغست وصحاريها تجاه أوليل...».[1]

إذن تطلق كلمة السودان على المنطقة الممتدة بين المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي والبحر الأحمر شرقا، والصحراء الكبرى شمالا، وعلى حدود خطي عرض **10**ْو**20**ْوخطي طول **8** ْغربا إلى **55**ْ شرقا.[2] فهذا الموقع كانت له مميزات إيجابية، جعلت منه منطقة جذب للهجرات من مختلف الجهات المحيطة به، ومن هذه المميزات موقعه في منطقة غزيرة الأمطار نسبيا وتجري بها الأنهار، مثل: نهر النيل ونهر السنغال ونهر النيجر. وهي ذات أمطار صيفية تعدّل بدورها من درجة الحرارة المرتفعة،[3] مما جعل له دورا إيجابيا في ربط علاقات سياسية واقتصادية وفكرية وثقافية عبر عصور التاريخ.

## 2 – السياق التاريخي والحضاري:

يقتضي السياق التاريخي والحضاري للسودان الغربي التعرض للديمغرافيا التي ساهمت في صناعة ذلك المسار التاريخي، باعتبار أن البشر مكون أساسي في السيرورة التاريخية. وضمن هذا النسق، تشكّلت فئات بشرية عمرت منطقة السودان الغربي، وسنأتي إلى التعريف بأهمّها وأشهر القبائل على هذه الحدود الجغرافية، ثم التعريف بأهم الممالك الكبرى في فترة الدراسة؛ أي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين الموافق للقرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين. حيث ساهمت هذه الأخيرة في خدمة الازدهار، وأوجدت الظروف الملائمة والمناخ اللازم لتُنشئ علاقات حضارية وفكرية وثقافية مع الدول المجاورة لها، خاصة المغرب الأوسط.

---

1– ابن حوقل **(ت 367هـ/977م):** المصدر السابق،10/1.

2– يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 09.

3– إسماعيل ياغي، محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر،ج2، دط، دار المريخ، الرياض، 1993، ص 191.

يتكون معظم سكان السودان الغربي من أربع قوميات كبرى وهي: الماندي وسونرهاي والهوسا، وهي شعوب إفريقية. أما الرابعة فتشكلت من الشعوب القادمة للمنطقة مثل الفوللا، وهي شعوب رعوية تحولت إلى شعب سوداني بعد أن اتخذت اللغة السودانية لغة لها، وكذلك بعض المظاهر الحضارية.

ويلاحظ في غرب إفريقيا وجود سلالتين بشريتين: الأولى السلالة السوداء أو السلالة الزنجية، والثانية السلالة البيضاء. وتنتشر في السودان الغربي شعوب وقبائل زنجية يعود نسبها وأصلها إلى نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق المؤرخين والنسابة، ولعل أشهرها:

– الماندينجو أو الماندي: وقد انتشروا في جميع أقاليم السودان الغربي الواقعة في جنوب السنيغال وأعالي النيجر، أي من المحيط إلى قلب نيجيريا، وقد تفرعوا إلى عدة قبائل وبطون أهمها:

البامبرا، المالنكي، غالونكي، السامانكي، وهم العناصر الأساسية لشعوب دويلات غرب السودان في غانة ومالي.[1]

– التكرور: شعب من الزنج يقطن معظمهم في فوتا السنيغالية، كما تنتشر مساكنهم في أنحاء أخرى من إفريقيا الغربية.[2]

– شعب الولوف: ينتشر في حوض السنيغال.

– شعب سرير: القاطن بقرب داكار، وفي غامبيا العليا وبعض الأجزاء في غينيا.

– السوننكي: تعني السركلي أو الواكوري والونقارة، ينتمون إلى أصل واحد، واستطاعوا بمرور الوقت الاستيلاء على السلطة بمملكة غانا.[3]

---

1– عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي،1998، ص ص 23–24.

2– ك.مادهوبابيكار: الوثنية والإسلام (تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية)، ط2، تر وتح أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة (مشروع قومي للترجمة)، 1998، ص56.

3– المرجع نفسه، ص56.

– سونرهاي (صنغاي): شغلت الأقاليم الواقعة جنوب تمبوكتو، وتمتد على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من داهومي عند مدينة داندي، إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا.

– الهوسا: تحتل الهوسا معظم دولة نيجيريا.

– اليوروبا: ترتكز هذه القبائل في الجنوب الغربي من نيجيريا، ويوجد بعض منها في الإقليم الشمالي.

– الفولاني: وتعتبر من أهم القبائل الإفريقية من حيث التأثير والتأثر، ينتشرون بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد والميرون، واحتلوا أقاليم السنيغال الأوسط، ثم تسربوا نحو الشرق والجنوب.

– التوبو: يسكنون في غرب كوار ومرتفعات الهجار وفزان[1]، وبلاد الكانم.

– البامبر(الباغانا): وينتشر هؤلاء في جمهورية مالي والسنيغال وأعالي النيجر.[2]

وللحديث عن ممالك السودان الغربي ما بين القرنين (**7هـ –9هـ/13م –15م**)، يجب أن نتكلم على كيفية انتشار الإسلام في هذه الممالك وماهي أهم الديانات التي كانت سائدة فيها؟

فبعد فتح المسلمين لشمال إفريقيا – بلاد المغرب الإسلامي – وانتشار الإسلام فيها، أخذ ينتشر جنوبا إلى السودان الغربي جنوب الصحراء الكبرى، خاصة عندما اعتنقت قبائل البربر الإسلام، فساهمت في نشره في غرب إفريقيا، ومن هذه القبائل الملثمون، وكانت هذه القبائل منتشرة في نطاق واسع، يمتد من النطاق الجبلي الذي يخترق شمال إفريقيا من الشرق إلى الغرب، وكانوا بدورهم ينقسمون إلى عدة قبائل من أشهرها: قبيلة لمطة، ولمتونة وقبيلة جدّالة وقبيلة مسوفة... وكانت هذه القبائل تعمل في ميدان التجارة فتشكلت حلقة الوصل بين المغرب بشعوبه وحضارته وثقافته، وبين المحيط الزنجي الواقع

---

1– فزّان: جنس بشري يعرف بفزان؛ اخلاط من الناس لهم رئيس يطاع فيهم، ولهم بلد واسع ومدينة عظيمة... افتتحها عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرين صلحا–ينظر: اليعقوبي المصدر السابق، ص184.

2– عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص ص 24–30.

إلى الجنوب.[1] علما أن المجتمع السوداني قبل الإسلام كان متمسكا بالقيم الروحية والديانة الإحيائية التي يعتقد أصحابها بالقوة الروحية في الأشياء، أي لكل شيء روح، فللجمادات والنباتات أرواحا مشابهة لتلك الموجودة عند الإنسان.[2] كما كانت هناك العبادات الوثنية الطوطمية التي يعتقد معتنقوها. بأصل الحيوان أو النبات لهذه الجماعات.[3]

ويفهم من القطع المتناثرة التي أوردها البكري **(ت487ه/1094م)** عن معتقدات السودان قبل الإسلام، أنهم كانوا يدينون بالمجوسية وعبادة الدكاكير[4]، وربما كان لديهم أفكار عن مصير الإنسان... (البعث)... والاعتقاد في السحر والشعوذة.[5]

ويقول البكري **(ت 487ه/1094م)** في هذا السياق: «... وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير، وإذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره، ثم أتوا به على سرير قليل الفرش والوطاء... ووضعوا معه حليته وسلاحه وآنيته التي كان يأكل فيها ويشرب...».[6]

وتُعلّق نبيلة حسن محمد عن ما قاله السعدي **(ت 1066ه/ 1653م)** في تاريخ السودان بقولها: «... أهل مملكة موشي كانوا يقدسون أجدادهم الموتى، وكذلك الطوطمية أحد معتقداتهم، أما السحر والشعوذة كانت أيضا سائدة وكان السحرة يتكهنون بالمستقبل... »[7]

---

1- شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص ص9-10.

2- عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا (الواقع والمستقبل)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص ص 9-10.

3- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ ( الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن)، ج6، ط6، مكتبة النهضة المصرية، مصر 1966، ص45.

4- الدكاكير: الدكور عندهم الصنم، ينظر البكري: المصدر السابق، 868/2، ينظر ابن عبد ربه الحفيد، المصدر السابق، ص217.

5- يدل على ذلك طريقة دفن ملك غانا، ينظر البكري، المصدر السابق، 2/ 873.

6- نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص ص 247-248.

7- المرجع نفسه، ص ص 247-248.

كما يذكر البكري(**ت 487هـ/1094م**) أنّ في بلد الدمدم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امرأة يتألهون له ويحجونه.[1]

وإلى جانب تلك المعتقدات عرف السودان اليهودية، ويرجع أول استقرار ثابت لجماعات اليهود في إفريقية الشمالية وبلاد السودان إلى عام (**115م**)، عقب ثورتهم ضد الحكم الروماني في قورينة. أما النصرانية فبدون شك فإن التيار المسيحي لم يستطع كسب السودان أنفسهم.[2]

بعد هذه الإطلالة الموجزة عن انتشار الإسلام في ممالك السودان الغربي والديانات والمعتقدات التي كانت سائدة قبل الإسلام، نتعرض إلى أهم الممالك التي قامت به وهي:

## أ – مملكة غانة:

لقد وصف البكري (**ت487هـ/1094م**) هذه المملكة قائلا: «... وغانة سمة لملوكهم، واسم البلد أوكار واسم ملكهم... تتكامين... وتتكامين هذا شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان...».[3]

ونجد أن ابن عبد ربه الحفيد (**ت602هـ**) يذكرها: «... ولملك غانة مملكة واسعة... وفي بلده يوجد الذهب الكثير، وهو يعم جميع بلاد الدنيا. وأفضل الذهب بمملكته، ما كان بمملكة غياروا...».[4]

أما الحموي (**ت 626هـ**) فقال: « بعد الألف نون، كلمة عجمية لا أعرف لها مشاركا من العربية، وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب، متصلة ببلاد السودان. يجتمع إليها

---

1– البكري: المصدر السابق، 2/ 883.

2– المصدر نفسه، ص ص 249–250.

3– المصدر نفسه، 2/ 871.

4– ابن عبد ربه الحفيد (ت602هـ): الاستبصار في عجائب الأمصار، ص221.

التجار ومنها يدخل في المفازات إلى بلاد التبر، ولولاها لتعذر الدخول إليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان، فمنها يتزودون إليها...».[1]

وقد ذكر سراج الدين الحلبي (**ت 852هـ**) عن غانة فقال: «... هي أكبر بلاد السودان وأوسعها شجرا وهم في سعة من المال... ولها ملك ضخم في جنود وعدد، وله ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده...».[2]

أما الحميري (**ت 900هـ/1495م**) فقال: «... مدينتان على ضفتي البحر الحلو وهي أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا...».[3]

وقد ورد عن الطبري (**ت 310هـ**) ذكر مملكة غانة حيث قال: «... وأهل غانة الغافو وبينور ورعوين والفروية وبكسوم ومكاره أكرم والنوبة والحبش وفي بلاد البجة معادن الذهب...».[4]

ويتميز نظام الحكم في عاصمة مملكة غانة بمركزية السلطة، حيث يباشر الملك سلطته انطلاقا من العاصمة غانة، ويساعده في مهامه عدد من الوزراء الموظفين جلهم من المسلمين ويظهر أن علاقة السلطة الحاكمة بالرعايا، كانت مدعمة بقيم اجتماعية ثقافية أصيلة تتمثل في العدل الذي يطبع سلوك الملوك الحاكمين تجاه الرعية.[5]

إذن لا نكاد نعرف التاريخ الحقيقي لمملكة غانة قبل العصور الوسطى لكن في فترة العصور الوسطى، نجد أن الجغرافيين العرب يصفونها أنها بلاد الذهب، ومن أمثلة ذلك يقول اليعقوبي (**ت بعد 292هـ/بعد 905م**): «...ثم مملكة غانة وملكها أيضا عظيم الشأن،

---

1- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ( ت 626هـ/1229م): معجم البلدان، ج4، ط2، دار صادر، بيروت، 1995، ص184.

2- الحلبي سراج الدين (ت 852هـ/1447م)، المصدر السابق ص136.

3- الحميري (**ت 900هـ/1495م**): المصدر السابق، ص425.

4- الطبري(**ت 310هـ/923م**): المصدر السابق، 203/9.

5- أحمد شكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1230-1430)،ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص114.

وفي بلاده معادن الذهب...». أما ابن حوقل (**ت 367هـ**) ويرى في مَلِكِهَا: «... وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال المدّخرة من التبر المثار على قديم الأيام للمتقدمين من ملوكهم...».[1]

لقد ارتبط انتشار الإسلام في غانة وفي جنوب الصحراء الكبرى بانتشاره بين سكان شمال إفريقيا حيث كانت الصلة الثقافية والتجارية وثيقة بين الطرفين منذ القدم، فقد سمحت التجارة عبر الصحراء بنقل ذهب السودان، نحاس اكجوجت، وملح إدجيل إلى المغرب والأقمشة والأسلحة ومختلف البضائع من شمال إفريقيا إلى مالي، وبقية إفريقيا السوداء بالتالي ساهمت في ازدهار المدن ولوحظ انتشار الإسلام ولفترة ليست بقصيرة في الصحراء الغربية.[2]

ورغم أن الكثير من المؤرخين يُرجعون هذا الانتشار إلى جهود المرابطين، لكن قد حدثت هجرة متواصلة لمسلمي شمال إفريقيا إلى مناطق جنوب الصحراء، واستقروا في المراكز التجارية، وقاموا بمحاولات فردية لنشر الإسلام قد تكون بسيطة، لكنها كانت البداية لوجود الإسلام بين الأفارقة، حتى تطورت إلى جهود جماعية، ولا شك أن الإسلام قد دخلها وانتشر بين سكانها ولكن بدرجات متفاوتة، إذ لا يمكن القول أن البلاد كلها أسلمت، لكن نرجح أن أعدادا كبيرة من سكان البلاد قد قبلت هذا الدين. وأن مظاهر الإسلام من شعائر ومساجد، بما في ذلك اللغة قد وجدت طريقها إلى غانة منذ وقت مبكر، ربما يرجع إلى القرن التاسع الميلادي.[3]

---

1- ك مادهويانيكار: المرجع السابق، ص ص 79-80.

2- Said Bouterfa:"Les manuscrits du tauat " le sud algerien، collection Kitb tabulae n01، Edition Barzakh ، 2005 ،p11.

3- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص244.

وقد ذكر البكري (**ت 487هـ**) أن: «... مدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجتمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون... والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم...».[1]

ولقد لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء أدوارا في تاريخ المنطقتين الواقعتين على طرفيها الشمالي والجنوبي، وقد كان هذا التبادل منذ أقدم العصور.[2]

فمن أرض البربر امتدت الحركة الإسلامية إلى قبائل السودان الوثنية، وقد تميزت لمتونة وجدالة من الصنهاجيين بإدخال الإسلام إلى القبائل الوثنية، فبفضل مساعيهما تحولت قبيلة فُلْبي بأسرها إلى الإسلام، وفي عام (**494هـ**) تأسست مدينتا جيني وتمبكتو وكان أغلب سكانهما من المسلمين.[3] وقد غدت هاتان المدينتان مركزين كبيرين للعلوم الإسلامية،[4] وقد تَعلّمَتْ الإسلام منهما قبائل دماندينكو التي سيطرت على غانة وأصبحوا من أنشط دعاة الإسلام وحملوا الدين إلى شعب الهوسا.[5]

فالمعلومات عن انتشار الإسلام في البلاد السودانية نادرة وقليلة في القرون الأولى، بعد إتمام فتح المغرب،[6] فالتجارة المستمرة والمتصلة بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، خاصة بعد قيام الدويلات المستقلة المتنافسة في المغرب، قد انتعشت عبر الصحراء. وهذه التجارة لم تساهم في نقل البضائع فقط، ولا يمكننا فصل التاريخ الاقتصادي عن التاريخ الثقافي لإفريقية، فقد نقلت هذه التجارة الإسلام، وساهمت في تنمية التواصل وانتقال الأفكار والكتابات.[7]

---

1- البكري: المصدر السابق، 2/ 871-872.

2- إبراهيم محمد أحمد بلولة: الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، مجلة دراسات دعوية، العدد 9، فبراير2005، ص67.

3- إسماعيل راجي الفاروقي ونوسي لمياء الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية، تر عبد الواحد لؤلؤة، مر رياض نور الله، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ص328.

4- Said Bouterfa: OP.CIT, p 25.

5- إسماعيل راجي الفاروقي ونوسي لمياء الفاروقي: المرجع السابق، ص328.

6- عز الدين عمر موسى: دراسات إسلامية غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2003، ص24.

7- Said Bouterfa: OP.CIT, p 25.

كما قلنا إن هذا التواصل أنعش التجارة عبر الصحراء، وهذا استفادت منه قبائل صنهاجة خاصة لمتونة الذين عملوا مرشدين وحماة في الطرق الصحراوية فحملت التجارة الإسلام معها إلى ديار صنهاجة في الصحراء الغربية، ولم يكن إسلام أهلها نتيجة فتوحات ولا حروب.[1]

وبعد هذه الحوصلة السريعة، نقول أنه من الطبيعي بعد دخول الإسلام إلى شرق إفريقيا أن يصل إلى المناطق الشمالية والغربية والجنوبية، ثم يأتي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وإسهام المرابطين في نشر الإسلام في الشمال الإفريقي والسودان الغربي، فقد نشر المرابطون الإسلام في حوض السنغال بقيادة عبد الله بن ياسين، عندما أسس به رباطا، ومنه انطلقت الدعوة لنشر تعاليم الدين الإسلامي السمح.[2]

فبداية الإسلام في مملكة غانة ارتبط بالمدن في حين ظلت الأرياف بعيدة عن التأثير الإسلامي وهذه الظاهرة كانت عامة في بلاد السودان، ولا تخص مملكة غانة وحدها، والتأثير الذي تركه الإسلام في غانة والدول الإفريقية عامة كان في أغلب أحواله سلميا، بداية بالتجار المسلمين الذين بنوا في "كومبي صالح" مدينة على الطراز المعماري في المغرب، ولم يلبث الملك والأشراف أن استقدموا المهندسين والمعماريين العرب من أجل بناء القصور والمساجد وإنشاء المدارس القرآنية، وهذا يعكس التأثر بالحضارة العربية الإسلامية، وقد أقبل الأفارقة على هذه المدارس بشغف كبير، وكانت اللغة العربية لغة الثقافة الوحيدة في البلاد، بالإضافة إلى أنها اللغة المستعملة في التبادل التجاري.[3]

---

1- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص23.

2- سلطاني الجيلالي: "الحركة الفكرية والثقافية في عصر المرابطين بالمغرب الإسلامي". مجلة الحضارة الإسلامية، عدد 01، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1993، ص290.

3- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص39.

وضمت مملكة غانة مجالا واسعا يشمل غرب مالي وغينيا العليا وجنوب شرق موريتانيا، وبعض شرق السنيغال وشمال معادن الذهب في بامبوك وقاليسي وهذه الحدود بلغتها في أيام قوتها وعزتها.[1]

ولقد عملت القبائل الصحراوية على الإطاحة بالإمبراطورية الزنجية والممالك المستقرة في شمال إفريقيا، وقد سماها ابن خلدون **(ت 808هـ/1406م)** بالملثمين، واصفا إياها بقوله: « هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطّنون بالقفر، وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها، واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناسا بالانفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر. فنزلوا من ريف الحبشة جوارا، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، وعفوا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم من كذالة فلمتونة فمسوقة، فوتريكة فناوكا فزغاوة ثم لمطة، إخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة ».[2]

نجحت قبيلة صنهاجة في فرض سيطرتها على غرب الصحراء الكبرى، وقد وصل جيش البربر بزعامة عبد الله بن ياسين إلى حوالي **30** ألف مقاتل حيث تحرك به وسيطر على سجلماسة، ثم فتح أودغست، وكان ذلك عام **(1054م)** وفي سنة **(1076م)** سقطت مملكة غانة نهائيا في أيدي المرابطين وانقسمت المملكة إلى قسمين الجزء الشمالي منها في أيدي المرابطين، والجنوبي ظلت الأسرة الوثنية القديمة تحتفظ فيه بالسلطة.[3]

---

1– إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص283.

2– ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، ج6، ص241.

3– ك. مادهويانيكار: المرجع السابق، ص86.

## ب – مملكة مالي:

بلغت مملكة مالي في القرنين السابع والثامن الهجريين الموافق للقرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين قوة وغنى مما جعلها من أقوى الممالك الإفريقية في السودان الغربي آنذاك،[1] وقد وصفها شهاب الدين العمري **(ت 749هـ)** بقوله: «... أعلم أن هذه المملكة في جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط، قاعدة الملك بها مدينة بيتي... وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلادا... والذي تشتمل عليه هذه المملكة من أقاليم غانة وزافون، وترنكا وتكرور وسنغانة، وبانبيقو، وزرنطابنا، وبيترا ودومورا وزغا...».[2]

نستشف من هذا أن مملكة مالي من أعظم ممالك السودان الغربي. وقد أطلقت الدراسات التاريخية على القبائل التي أسست إمبراطورية مالي اسم "الماندينغ". أما المصادر العربية ولم تعيّن لنا أسماء خاصة بتلك القبائل، واقتصرت على نعتهم بأهل مالي أو أهل التكرور. بالموازاة مع ذلك، كانت تشير إلى اسم قبيل سوداني كبير يختلف رسمه من مصدر لآخر فهو مرة لملم وتارة نمنم وأخرى دمدم.[3]

وقد ظهرت مملكة الماندينغ أو مالي في القرن **(13م)** عقب سقوط إمبراطورية غانة في المنطقة التي تمتد من أعالي النيجر والسنيغال، ودامت حتى القرن السابع عشر الميلادي.[4] والتي قامت بدور كبير من أجل توحيد القبائل السودانية، وفي ظل انتشار الإسلام في كل مناطق إفريقية الغربية. فهي أعظم ممالك السودان، وملكها أعظم ملوك السودان المسلمين، وأحسنهم حالا وأقهرهم للأعداء، كما ذكر العمري**(ت 749هـ)**.[5]

---

1– جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،1999، ص32.

2– شهاب الدين احمد بن يحي بن فضل الله القريشي العمري**(ت 749هـ/1349م)**: المصدر السابق، 4/ 107–108.

3– أحمد شكري: المرجع السابق، ص ص 165–166.

4– إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص297.

5– جلال يحي: المرجع السابق، ص32.

وقد ذكر الوزان (**ت 957هـ/نحو 1550م**) أن شعب الماندينغ من بين أوائل الشعوب في غرب إفريقيا التي اعتنقت الإسلام وقد كان يدين لمملكة غانة قبل انهيارها أمام هجمات الصوصو، فتصدى شعب الماندينغ لهذه الهجمات، وتمكن من الانتصار عليها بقيادة الزعيم سوندیا تاكايتا الذي يرجع له الفضل في تأسيس مملكة مالي الكبرى.[1]

ويذكر ابن خلدون (**ت 808هـ/1406م**) قوله: «... ثم اضمحل ملك أصحاب غانية، وتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان، واستعبدوهم وأسروهم في جملتهم. ثم أن أهل مالي كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك، واستطالوا على الأمم المجاورين لهم فتغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم...».[2]

ويشير كارل بركلمان إلى أن المرابطين لعبوا دورا كبيرا في نشر الإسلام في الأقاليم الآهلة بالزنوج من السنغال حتى وادي النيل الأعلى. ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي اعتنق أمراء غانة الإسلام، وتبِعوهم حكام التكرور وملك مالي على نهر النيجر الأعلى. وفي القرن الثالث عشر، أصبحت تمبكتو مركزا للثقافة الإسلامية.[3]

وبعد انتصار سانديانا على قوة صوصو وملكها، استطاع أن يحرر المنطقة؛ وتمكن من فتح المدينة وما حولها، ثم مد فتوحاته شمالا حتى بلغ غانة، حيث استولى عليها عام (**1240م**) واستبدل اسمها من غانة إلى إمبراطورية مالي.[4]

وحدد لنا الوزان (**ت 957هـ/نحو 1550م**) مساحة مالي فقال: «بأنها تمتد على طول أحد فروع النيجر نحو ثلاثمائة ميل، يحدها جنوبا جبال وعرة، وغربا غابات مهجورة تمتد إلى المحيط، وشرقا إقليم كاغو».[5]

---

1- الوزان: المصدر السابق، 164/2-165.

2- ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، 266/6.

3- كارل بركلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 639.

4- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص262.

5- الوزان: المصدر السابق، 164/2

وتشتمل مملكة مالي على خمسة أقاليم جعلتها من أعظم ممالك السودان وهي:

- **مالي:** إقليم يتوسط الأقاليم المكونة للمملكة.
- **صوصو:** غرب إقليم مالي (اسمها أخذ من اسم قاطنيها).
- **غانة:** غرب صوصو ويمتد إلى المحيط الأطلسي وقاعدته مدينة غانة، وقد أسلم أهلها مع بداية الفتح الإسلامي.
- **كوكو:** يقع شرقي إقليم مالي وقاعدته مدينة كوكو.
- **التكرور:** يقع شرقي إقليم كوكو وقاعدته مدينة تكرور.[1]

وعلى الرغم من الرخاء الذي عاشته مالي طيلة القرن الثامن الهجري، خاصة في فترة كنكاي موسى الذي ربط العلاقات مع المشرق العربي، ومن خلال حج منسى موسى الذي جلب معه العلماء والمؤلفات، خاصة ما تعلق منها بالمذهب المالكي،[2] لكن بعد وفاة منسي موسى سنة (**733هـ/1332م**)، بدأ الضعف في المملكة ولم يستطع الخلفاء من بعده الحفاظ على وحدة الأقاليم الشاسعة، فاستقلت غاو، وسيطر الملثمون على مدن أروان ولاته وتمبكتو، واستولى شعب الولوف على المناطق الغربية. ولم يصل القرن التاسع عشر، حتى أصبحت مالي مجرد مملكة صغيرة ورثتها مملكة سنغاي[3]. [4]

---

1- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص ص 262-263.

2- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ط1، تح جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000، ص ص 140-143.

3- سنغاي: نسبة إلى قبيلة كانت تقطن من نهر النيجر إلى حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد الأولى، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال نحو النيجر، وفي القرن السابع ميلادي كانت تمتد مساكنها حول نهر النيجر بحوالي 150كلم، وكانت تمتهن صيد الأسماك وعرفت بمجموعة الصيادين المرتحلين على طول نهر النيجر وفئة أخرى منها كانت تمتهن الزراعة، وعرفت بمجموعة الفلاحين المستقرين على شاطئ النيجر. ينظر بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص47.

4- أحمد سعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، معجم الأسرار الحاكمة، ج1، دط، دار المعارف، مصر، 1969، ص109.

## ج – مملكة سنغاي:

يعد تاريخ تأسيس مملكة سنغاي الأكثر وضوحا ضمن تاريخ ممالك السودان الغربي في العصر الوسيط. وقد عرفت هذه المملكة من خلال أهم مراكزها الحضارية والاقتصادية والسياسية كمركز: جني، وغاو، وتمبكتو...، وقد تأسست دولة الأسيقيين سنغاي في القرن السابع الميلادي، واستمرت تكبر وتتوسع حتى القرن السادس عشر.[1]

وتمتد هذه الدولة على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال، وإلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا والنيجر الأوسط، هذا هو موطن إمبراطورية سنغاي الذين لعبوا دورا كبيرا في تاريخ شمال غرب إفريقيا. وموطن هذا الشعب الأصلي هو دندي في النيجر الأدنى شمالي بوسا، ومن هناك انتشر على طول مجرى النهر إلى تمبكتو والبحيرات الكبيرة التي وراءها وعاصمة إمبراطورية سنغاي، وهي جاو التي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، حيث يتصل به وادي تلمسي الذي ينحدر إليها من قلب الصحراء.[2] ويتعرّض البكري (**ت 487هـ**) لمملكة سنغاي التي أوردها في كتابه المسالك بمسمى "كوكو" قائلا:« وبين مدينة تادمكة ومدينة كوكو تسع مراحل، والعرب تسمي أهلها البزركانيّين، وهي مدينتان، مدينة للملك ومدينة للمسلمين، وملكهم يسمى فندا... ويزعمون أنهم إنما سموا كوكو لأن الذي يفهم من نغمة طبلهم ذاك... وتجارة أهل بلد كوكو بالملح وهو نقدهم...».[3]

أما المهلبي (**ت 380هـ/990م**) وقال: «... كوكو من الإقليم الأول... وملكهم يظاهر رعيته بالإسلام وأكثرهم يظاهر به... ونبلاؤه يعيشون على ضفة النهر الغربية، في حين الضفة الشرقية توجد بها الأحياء التجارية. التي يتردد عليها التجار من كل البلدان، وكانت غاو مركزا ثقافيا عظيما، لها مسجدها، كما توجد بها مدرستان».[4]

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص47.

2– إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص317 – 318.

3– البكري: المصدر السابق، ج2، ص883.

4– المهلبي الحسن بن أحمد العزيزي (ت 380هـ/990م): الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك،ج1، جم وتع ووضع حواشيه تيسير خلف، دط، دت، الموسوعة الشاملة، ص 55.

وقد سجل التاريخ أن أسرة ضياء التي قدمت من طرابلس وانتقلت إلى قلب إفريقية عبر الصحراء وسكنت جهات النيجر، والتي انحدرت منها الأسرة الحاكمة لسنغاي حتى سنة (**735هـ/1335م**) هناك حاكمان من أسرة سني، يدعى كل منهما علي ويكتبه السودانيون بالياء: سني وبدونها سنى، أولهما يعرف بعلي كلن وهو مؤسس دولة سني بعد قضائه على دولة آل ضياء الليبيين أمراء سنغاي عام (**735هـ/1335م**)، وهو سني علي بير أي الكبير.[1]

وقد ذكر الحميري (**ت 900هـ/1495م**) عن مدينة كوكو ما يلي: «... مدينة مشهورة الذكر في بلاد السودان... وملك كوكو قائم بنفسه... ولباس عامة أهل كوكو الجلود يسترون بها عوراتهم... وحليهم الذهب... وهم يداخلون التجار ويخالطونهم ويبضعونهم بالبضائع على وجه القراض...».[2]

وقد استحوذت مملكة سنغاي على أهم المراكز الحضارية والتجارية والاقتصادية، فعرفت ازدهارا علميا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا، وعلى رأسها جاو أو غاو، أو كما سماها العرب كوكو. وهي حاضرة إمبراطورية سنغاي. وقد ذكر محمد كعت أن عدد بيوتها حوالي (7626 بيتا)، وبها القصور والمساجد ومقبرة الأسيقيين.[3]

وبعد انتقال الحكم إلى الأسرة التي حكمت ما بين (**1335م–1493م**) وهي أسرة سني علي، كان هذا الأخير قد استقل بسنغاي منذ عام (**1464م**)، وفي عهده شهدت المنطقة تحولا يشبه الذي وقع في عهد سونديانا، وبعد وفاته (**1492م**) اعتلى ابنه "أبو بكر دادو" أو بكاري الحكم، لكنه لم يحكم سوى سنة واحدة، وهذا قصر العهد يرجع لأنه قد ارتد عن الدين الإسلامي وبسقوطه انتهى حكم أسرة سنغاي الملكية التي حكمت **8** قرون وقامت مكانها أسرة الأسيقيين من زنوج السوتنكي.[4]

---

1– الوزان: المصدر السابق، 2/ 160.

2– الحميري (**ت 900هـ/1495م**): المصدر السابق، ص 502.

3– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص 53–54.

4– إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 322–323.

هذا العهد الجديد في تاريخ سنغاي عرف باسم عصر الأسيقيين، ولقد عمل الأسقيا محمد على رفع مكانة العلماء والفقهاء، متبعاً في ذلك أهل السنة والجماعة في حكمه. ولعل خير دليل على احترامه للعلماء هو استفتاؤه للعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي (**ت 909هـ/ 1503م**) في مسائل شتى اجتماعية وسياسية كانت تشغل باله، أجابه عنها المغيلي وكان لها الدور في تطهير المجتمع السوداني من المظاهر الوثنية.[1]

ولم تصل سنة (**1517م**)، حتى بدأ التنافس بين أبناء الأسقيا محمد الأول الذي خلفه أكبر أبنائه موسى والذي كان عنيفا وسفاحا للدماء، فلم يلبث طويلا قبل أن يغتال وحل محله الأسقيا محمد الثاني، فلم يحقق الخلفاء الذين جاؤوا بعد الأسقيا محمد الأول إلا التناحر والتنافس فيما بينهم.

إلى أن جاء الأسقيا داود (**1549م/1582م**)، والذي أبدى ضروبا من الحنكة والسياسة ففرض النظام في النطاق الداخلي للمملكة وأقام علاقات خارجية وتوصل إلى إقرار السلام مع الملثّمين الذين كانوا شوكة في جنب مملكة سنغاي، ثم جاء الأسقيا محمد الثالث (**1582م/1586م**)، فدخل في نزاع مسلح مع أخيه الهادي من أجل ولاية العرش فامتازت هذه المرحلة بالضعف والانحطاط.[2] وهو من العوامل التي شجعت أطماع السلطان أحمد الذهبي المنصور سلطان المغرب في هذه المناطق، هذا الأخير سيَّر حملته في أكتوبر عام (**1590م**) لتصل في فيفري (**1591م**) إلى مدينة كاربارا.[3]

لتدخل مرحلة جديدة في تاريخ السودان وأصبحت أمجاد غانة وسنغاي ومالي مجرد ذكريات وأصبحت السنين الثلاثمئة التالية فترة ممالك سريعة الزوال تميّزت بحروب

---

1 – المغيلي محمد بن عبد الكريم: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، دط، تح وتق عبد القادر روبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1974، ص ص،17–18.

2 – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 326.

3 – كاربارا: مدينة من مدن النيجر.

مستمرة وغارات من جانب المراكشيين والملثمين، وعليه فلم يعرف السودان طعم السلام وبقي الحال هكذا إلى مجيئ الفرنسيين.[1]

ومجمل القول، فإنه بعد هذه الإطلالة يمكن أن نستنتج أنه من الصعب تحديد جغرافية كل من المغرب الأوسط والسودان الغربي في الفترة الممتدة بين القرنين (**7هـ-9هـ/13م-15م**) بدقة، ذلك لأن حدود هذه الدول لم تكن ثابتة بسبب اتساع وتقلص رقعة كل إقليم منها، والذي يتحكم فيه قوة وضعف الدويلات والمماليك التي كانت قائمة على أرضه، وكذلك مدى خضوع القبائل لهذه السلطة سواء في المغرب الأوسط أو السودان الغربي.

1 - ك.مادهويانيكار: المرجع السابق، ص 165.

# الفصل الثاني

# عوامل الاتصال الفكري والثقافي

# بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

**أولا- روافد الحركة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط**

1- الروافد البشرية:

**أ- اهتمام الحكام بالعلم والعلماء**

**ب- الرحلة في طلب العلم**

**ج- الهجرة الأندلسية**

2- الروافد المادية:

**أ- المساجد**

**ب- الكتاتيب**

**ج- الزوايا**

**د- المدارس**

**هـ- المكتبات**

**ثانيا- الحاضنة الفكرية والثقافية بالسودان الغربي**

1- مراكز النشاط الفكري والثقافي

**أ- الحواضر**

**ب- المؤسسات التعليمية والثقافية**

2- استقطاب سلاطين السودان الغربي للعلماء وتشجيعهم

تشَكَّل المغرب الأوسط في ظروف تاريخية جعلت منه يصل إلى مرحلة يتمكن فيها من تصدير مُنتجه الحضاري إلى السودان الغربي، كان ذلك ضمن نطاق التراكمية الفكرية والثقافية للمغرب الأوسط، والتي ساهمت في تكوين العقلية الفكرية والثقافية لأهالي السودان الغربي.

ولعلّ العلاقات التي جمعت إقليمي المغرب الأوسط والسودان الغربي لم تكن ظرفية، أو جاءت وليدة المصادفات، بل كانت نتيجة حتمتها عوامل أدّت لهذا التواصل الحضاري، والذي يمثل الجانب الفكري والثقافي جزء منه، وهذا الأخير سيكون مدار بحثنا في هذا الفصل.

## أولا – روافد الحركة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط:

قبل أن يوغل المغرب الأوسط في عصر الازدهار الحضاري، كانت هناك أسباب مهّدت للحياة الحضارية، خاصة بعد قيام دولة بني زيان الذين اتخذوا من تلمسان عاصمة لدولتهم، ليدخل المغرب الأوسط عهدا حافلا بالأمجاد. ومن أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية، منها تشجيع ملوك بني زيان للعلم والعلماء طيلة ما يزيد عن ثلاثة قرون، وعنايتهم بإنشاء المؤسسات العلمية والثقافية، واستدعاء أشهر العلماء للتدريس فيها، وكذلك تفاقم الوضع في الأندلس الذي أدى إلى توافد علمائها على القطر الجزائري، واستقرار الكثير منهم بتلمسان وبجاية وغيرهما من المدن.[1]

ورغم استقلالية بني عبد الواد سياسيا عن المشرق، فإن علماءهم ظلوا واقعين تحت التأثير الثقافي المشرقي والأندلسي، وكانت وسيلتهم إلى ذلك هي طلب العلم والرحلات والحج والمراسلات وتبادل الإجازات والاطلاع على المذاهب والاجتهادات. وتزخر كتب التراجم والسير بحياة علماء بلاد المغرب الذين رحلوا إلى المشرق أو استقروا فيه، لكن شمس الثقافة العربية الإسلامية وردت من الأندلس إلى تلمسان وبجاية، لاسيما العلوم الدينية والطبية والنثر والشعر وفن الزخرفة والهندسة المعمارية، وأنماط الحضارة خاصة

1 – موسى لقبال وآخرون: المرجع السابق، ص437.

بعد الانكسارات والهزائم العسكرية والسياسية في الأندلس، فإن فاس وتلمسان كانتا عبارة عن منفى يعودون إليه. خاصة بعد عجز المشرق عن مساعدتهم فشكلت بلاد المغرب الإسلامي بمختلف مدنه ملاذهم الأخير.[1]

وإجمالا فإن المتتبع للروافد المشكِّلة للحركة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط يجدها تتفرع إلى قسمين؛ أولها روافد بشرية وثانيها روافد مادية.

## 1- الرّوافد البشرية:

مما ساهم في إخصاب الحقل الفكري والثقافي بالمغرب الأوسط العامل البشري مُجَسَّدا في العلماء الذين تأتَّى لهم تلقي ونقل العلوم سواء كان ذلك عن طريق رحلاتهم أو هجراتهم، وكذا الحكّام بتنافسهم على خدمة العلم وجلب العلماء وتشجيعهم.

### أ- اهتمام الحكام بالعلم والعلماء:

كان للحكام دور في إرساء العلم واستقطاب العلماء، ووصل الأمر بهم إلى التنافس على جلب العلماء وبذل العطايا، كما كان لهم الأثر الكبير في إنشاء المؤسسات التعليمية من مدارس ومكتبات وكتاتيب وغيرها، وهذا ما انتهجه سلاطين الدولة الزيانية في سياستهم التي شجعت العلم وشرفت العلماء حتى كان بلاط السلاطين مجلسا علميا يناظر ما كان في بلاطات الخلفاء في المشرق، وهذا ما دلل على أنّ أصحاب القرار في الدولة الزيانية فهموا أنّ الوصول إلى الرقي الحضاري لا يكون إلا عن طريق الاعتناء بالعلماء، والاستعانة بهم في تسيير شؤون الدولة.

ومن بين السلاطين الذين عملوا على تقريب العلماء ومشاورتهم في الأمور، السلطان يغمراسن (**ت 681هـ/1283م**)، فقد قال عنه التنسي (**ت 899هـ/1494م**): «... يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهله. ومن أعلم من كان في زمانه. أبو

---

1 – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، 375/1.

إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي[1] كانت الفتاوى تأتيه من إفريقية وتلمسان إلى تنس فكان أمير المسلمين يغمراسن (ت 681هـ/1283م) يكاتبه كثيرا، ويرغبه في سكنى تلمسان، ويمتنع إلى أن نشأت فتنة مغراوة، فورد مرة على تلمسان، فكان يجتمع إليه فقهاؤها ويأخذون عنه العلم، فبلغ خبره أمير المسلمين، فركب بنفسه وجاء إليه، واجتمع معه بالجامع الأعظم، ومعه فقهاء تلمسان... »[2].

واحتفى الملوك والأمراء بالعلم والعلماء، بل صار من هؤلاء الحكام من يؤلف ويصنف، ويبدع في الشعر والأدب، ومثاله ما كان من أمر السلطان أبي حمو موسى الثاني **(ت 791هـ)** مجدد الدولة الزيانية، فقد كان ملمًّا بالعلم ومساهما في النشاط الأدبي والفكري. حيث صنّف كتابا سمّاه " واسطة السلوك في سياسة الملوك ".[3] جعل ابن الخطيب **(ت 776هـ)** يثني عليه بقوله: «... جمع فيه الكثير من أخبار الملوك وسيرهم، وخصّ به ولده وولي عهده، فجاء مجموعا يُسْتَظْرَفُ من مثله، ويدل على مكانه من الأدب ومحله...».[4]

وبقي الحال في عهد ابنه السلطان أبي زيان محمد الثاني **(796هـ-801هـ/1364م-1399م)** الذي كان هو الآخر عالما ومشجعا للعلماء، وقد قال فيه أبو عبد الله التنسي **(ت 899هـ/1494م)**: «... تصرف في شبيبته بين دراسة معارف وإخاضة عوارف، وكلف بالعلم حتى صار منهج لسانه، وروضة أجفانه، فلاحت للعلم في أيامه شموس...، نسخ رضي الله عنه بيده الكريمة نسخا من القرآن وحبسها ونسخة من صحيح البخاري، ونسخا من الشفاء لأبي الفضل عياض، حبسها كلها بخزانته التي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان

---

1-- أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي من العلماء الصالحين الأولياء كبير القدر حيا وميتا زاهدا ورعا ذو كرامات شهيرة، ومكانته عند الملوك عظيمة، ألف في العلم كثيرا، وحج وعاد إلى تلمسان، توفي في حدود 680هـ. ينظر ابن خلدون يحيى: المصدر السابق ص 114.

2- التنسي (ت 899هـ/1494م): المصدر السابق، ص126.

3- المصدر نفسه، ص161.

4- ابن الخطيب (ت776هـ/1374م): المصدر السابق، 217/3.

المحروسة التي هي من مآثره...» كما ألف كتابا سماه "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة.[1]

أما السلطان أبو العباس أحمد العاقل (834هـ-866هـ/1431م-1462م)، فهو الآخر كان يجالس العلماء ويشجعهم على التصنيف ويحضر دروسهم، ويمشي في جنائزهم. وبنى مدرسة بزاوية الحسن[2] بن مخلوف أبركان.[3]

وقد حرص سلاطين بني زيان على إقامة مجالس العلم، ولم يبخلوا بالمال في بناء المنشآت والمؤسسات التعليمية وتزويدها بالمكتبات والمرافق اللازمة. وكان في بلاط السلاطين مجالس للعلماء تُدار فيه المناظرات العلمية. كما عمل الزيانيون على تشييد المؤسسات التربوية والتعليمية من كتاب وزوايا ومدارس عليا على نمط المدارس النظامية بالمشرق.[4]

## ب- الرحلة في طلب العلم:

للرحلة أثر في تكوين المسيرة العلمية قديما، وقد شاعت الرحلات، إذِ اُعتبرت ميدانا فسيحا يتيح لطالب العلم لقاء العلماء، والمشايخ، والاطلاع على العلوم، والاستزادة من المعارف، وفي سياق فوائد الرحلة وما يتحقق منها لطالب العلم يقول ابن خلدون (**ت 808هـ/1406م**): «... أنّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين، أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر

---

1- التنسي (ت 899هـ/1494م): المصدر السابق، ص 211.

2- الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي، الشهيد بأبركان من أهل العلم والصلاح كان معظما عند العامة والخاصة (ت 807هـ/1407م)، ينظر ابن مريم (كان حيا 1025هـ/1611م): البستان. المصدر السابق، ص ص 74-92.

3- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،324/2.

4- المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك لتكون مؤسسة علمية لتدرس العلوم الإسلامية والمذهب الشافعي خاصة... خلال القرن الخامس هجري، صالح بن قرنة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسط، المرجع السابق، ص 136.

كثرة الشيوخ، يكون حصول الملكات ورسوخها... فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال...».[1]

وقد تختلف دوافع الرحلة وبواعثها من شخص لآخر، إلاّ أنّ المقصد العلمي يعدُّ أقواها وأشملها، وهذا الذي ظهر عند العلماء في تلك الفترة، فقد أهمّهم تحصيل العلم ونشره والاستكثار من مجالسة الشيوخ والرواية عن أبرزهم. وقد أصبح هذا الاعتناء تقليدا علميا متعارفا عليه عند أهل تلمسان كما هو عند غيرهم.[2]

وكان من نتائج النشاط الرّحلي للعلماء ازدهار الفكر والثقافة، وقد تجلّت صورة الرّقي الفكري والثقافي في عهد بني زيان، حيث نلاحظ ذلك من خلال التأثير الثقافي والتواصل الفكري بين الأقطار الإسلامية، بعد أن عمد البعض منهم إلى إدخال المؤلفات والمختصرات سواء كانت مشرقية أو أندلسية إلى عاصمة الدولة الزيانية، لتدريسها في المدارس التلمسانية، مثل مختصر ابن الحاجب.

والفروع الذي أتى به أبو علي ناصر الدين المشدّالي[3] **(ت 731ه/1331م)** إلى بجاية[4]، وقرّره على طلاّب مدارسها، ثم نقله تلميذه أبو موسى عمران المشدّالي **(ت 745ه/1344م)** إلى تلمسان. كما أدخل الفقيه محمد بن الفتوح[5] التلمساني **(ت 818ه/1415م)** مختصر خليل بن إسحاق إلى بلاد المغرب، ونتج عن ذلك كوكبة من الأساتذة والعلماء تميزوا بغزارة العلم حتى أصبحوا حجة في العلوم النقلية والعقلية.[6]

---

1- ابن خلدون عبد الرحمان: الديوان، 1/ 744-745.

2- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 328/2.

3- أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشذالي البجائي عالم بلاد إفريقية بالمغرب، أخذ عن عز الدين بن عبد السلام وعلماء آخرين بالمشرق، وتذكره المصادر بالدال والذّال، ينظر ابن قنفذ أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب أبو العباس(ت 809ه): كتاب الوفيات، تح عادل نويهض، المكتب التجاري، ط1، لبنان،1971م،ص. وينظر الإحاطة، 315/2. وينظر الفاسي محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني (ت 832ه): ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج1، تح كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1990، ص 284.

4- ينظر عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 328/2. وينظر المقري: المصدر السابق، 223/5-224.

5- ابن مريم (كان حيا 1025ه/1611م): المصدر السابق، ص 264.

6- ابن خلدون عبد الرحمان: الديوان،545/1.

ومن بين الفقهاء الذين شدوا الرحال قصد الاستزادة في العلم ولقاء المشايخ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم التَّنَسي **(ت 680هـ/1281م)** ولد بتنس ثم انتقل إلى "مليانة" و"الشلف" وقرأ "بتلمسان".[1] و"بجاية". وهو من العلماء والأولياء العاملين ذو مكانة عند الملوك،[2] لقي في رحلته أعلاما من مصر والشام وروى عن ابن كحيل **(ت 685هـ/1286م)**[3] وناصر الدين المشدّالي **(ت 731هـ/1331م)**، وقرأ بتونس على جماعة من القاهرة، ونظرا لنبوغه في العلم عرض عليه الأمير المصري "الصالح طبرس" وظيفة التدريس في المدرسة الطبرسية لكنه رفض وفضل التدريس في المدينة المنورة، وتولى بعض المهام الدبلوماسية في العهد الزياني واستغل تنقلاته بين تلمسان وفاس لإلقاء دروس الحديث على جمع كبير من الفقهاء، توفي بتلمسان سنة 899هـ.[4]

– أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي **(681هـ–757هـ):** ولد بتلمسان سنة **(681هـ)** وأسرته من آبلة بالأندلس، نزلت أسرته تلمسان، وكان والده أحد أعوان الأمير يغمراسن،[5] أخذ العلم عن أبي الإمام واعتنى بالرياضيات والعلوم العقلية،[6] وكون جيلا من كبار العلماء أمثال عبد الرحمان بن خلدون وأخيه يحي وأبي عبد الله الشريف،[7] توجه إلى البقاع المقدسة للحج، وفي طريق عودته، مكث بالقاهرة، واتصل بعلمائها، ثم توقف ببجاية

---

1– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 329/2.

2– ابن خلدون يحي أبو زكريا: المصدر السابق، ص 114

3– الفقيه المحدّث القاضي أبو محمد بن كحيل البجائي، ينظر ابن قنفذ: المصدر نفسه، ص 333.

4– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 329/2. وينظر التنبكتي: 38/1–39، وينظر أبو القاسم الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر 1334هـ – 1906م، ج2، ص 15.

5– ابن خلدون يحي، بغية الرواد، المصدر السابق، 1/ 120.

6– ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، 7/ 513.

7– عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز إشعاع حضاري، مجلة الدراسات التاريخية، ع10، جامعة الجزائر، 1997/1417، ص 187.

ودرس فيها مختصر ابن الحاجب في الفقه.[1] ثم رحل إلى فاس فمراكش، ودرس فيها الرياضيات على يد الرياضي المشهور أبي العباس بن البناء. توفي سنة (**757هـ**).

– أبو حجلة (**ت 776هـ/1375م**): هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي بن أبي بكر عبد الواحد التلمساني المعروف بأبي حجلة[2]. ولد بتلمسان سنة (**725هـ**) ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ثم عرج على دمشق فدرس فيها الأدب ثم عاد إلى القاهرة حيث تولى فيها المشيخة الصوفية، نبغ في العلوم الشرعية العقلية كالحديث والفقه والطب والشعر الصوفي، وتوفي تاركا وراءه إرثا كبيرا يتمثل في حوالي ثمانين مؤلفا.

## جـ- الهجرة الأندلسية:

مثّلت هجرة الأندلسيين من بلادهم إلى المغرب الأوسط نقلة فكرية وثقافية، كانت نتيجة الاحتكاك الذي وقع بين المهاجريين والسكان الأصليين. وأصبح للأندلسيين دور في النشاط الفكري والثقافي بما حملوه من إرث حضاري. كما كان لهم الفضل في إعمار قطر المغرب الأوسط مثلما حدث مع العديد من الأسر الأندلسية التي اضطرّتها الأوضاع السياسية المتأزّمة في الأندلس للهجرة نحو المغرب. فقد شيّدت جالية منهم مدينة تنس سنة (**262هـ/876م**)، ومدينة وهران سنة (**290هـ/903م**)، واستقر في الأولى أهالي البيرة وتزمير وأعادوا الحركة لمرسى الحجاج.[3]

وكان من نتائج نزوح الأندلسيين إلى تلمسان وغيرها، أن اشتغل مجموعة من أفراد هذه الجالية بالتعليم من خلال إلقائهم الدروس بالمؤسسات التعليمية الموجودة.[4]

وما يمكن أن نستخلصه، أن الهجرة الأندلسية قد بدأت مع بداية ضعف المسلمين في الأندلس وتوسع النصارى على حساب المراكز الإسلامية مثل قرطبة التي سقطت سنة

---

1– ابن مريم (كان حيا 1025هـ/1611م): المصدر السابق، ص215.

2– أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، 42/2.

3– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،173/1–174.

4– مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، (الأحوال الاقتصادية والثقافية)، ج2، ط1، دار الحضارة الجزائر، 2007، ص288.

(633هـ/1235م) وبلنسية سنة (636هـ/1238م) ومرسية سنة (666هـ/1266م) مما جعل سكان تلك المدن يتوجّهون إلى غرناطة ومدن دول المغرب الإسلامي كتلمسان. وهناك من الأندلسيين الذين قدموا من غرب الأندلس نحو أراضي الدولة الزيانية بعد سقوط إشبيلية سنة (646هـ/1248م)، فاستقروا بها وأغلبهم استقروا بتلمسان ووهران، وخاصة المثقفون منهم الذين وجدوا مكانة كبيرة عند الزيانيين وفرصا للعمل في جميع الميادين الثقافية والسياسية.[1]

ويقول الشيخ الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ/1973م): «... كان علماء الأندلس لشعورهم بسوء العاقبة يعملون في الهجرة إلى ما جاورهم من بلدان، وكان مقصدهم من ذلك تلمسان والمغرب الأقصى، ثم إلى تونس، وبدخول رحالة الأندلس أصبحت هاته الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية...».[2]

كما كان لعلماء الأندلس طريقتهم في التعليم حيث أدخلوا عليه أساليب جديدة، إذ كان المنهج التعليمي المتبع بالمغرب الأوسط يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية في البداية، ثم ينتقل إلى العلوم الأخرى، وقد أبدى بعض العلماء تحفظا من هذه الطريقة على غرار أحمد ابن إبراهيم الآبلي (757هـ/1356م)، وكذلك تلميذه عبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1406م)، خاصة وأن هذا المنهج يعتمد على الحفظ، فالمتعلم ملزَم بحفظ عدد كبير من المؤلفات، وما كتِب عليها من شروح وحواش ومختصرات، مما يعيق عملية التحصيل، أما الأندلسيون فمنهجهم يختلف، فيبدأ الطفل يتعلم القراءة والكتابة ثم النحو واللغة والحساب، وبعدها ينتقل إلى دراسة المنطق وعلوم الطبيعة، ثم يليها علم الأخبار والماورائيات، وأخيرا ينتقل إلى دراسة علوم الشريعة، فكان يقدم تعليم اللغة العربية والشعر، لأن اللغة هي وسيلة اكتساب العلوم الأخرى، وكانت العلوم الشرعية تأتي في الأخير3.

---

1– مختار حساني: المرجع السابق، ج3، (الأحوال الاجتماعية)، ص ص 224–225.

2 – من مقدمة المحقق في كتاب رحلة القلصادي، ص 26، نقلا عن محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب، الدار التونسية، دط، تونس، دت، ص 79 – 80.

3 – عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص 124.

ولم يقتصر التأثير الأندلسي على التعلم فحسب، بل حتى عن طريق الكتابة ورسم الخط. وقد اعتمد الأساتذة على المصنفات الأندلسية في التدريس، سواء التي نقلت من الأندلس، أو التي أُلِّفت بالمغرب الأوسط، وذلك بمختلف مدارس ومساجد المغرب الأوسط.[1]

والواقع أن التأثر بالأندلس بدأ منذ وقت مبكر، وذلك في عهد المرابطين والموحدين، وقد زاد هذا التأثر في عهد بني عبد الواد.[2]

## 2- الروافد المادية:

شكلت المؤسسات الثقافية بالمغرب الأوسط فضاء علميا، وأوجدت مناخا ساهم بشكل كبير في إثراء الحياة الفكرية والثقافية بالمغرب الأوسط. ولقد تنوعت هذه المؤسسات في العهد الزياني، فشملت المساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا والمكتبات وحتى مجالس السلاطين وبيوت العلماء...، كل هذا أعطى دفعا قويا لانتشار وازدهار الحركة الفكرية الثقافية في المغرب الأوسط. فما هي هذه المؤسسات؟

### أ- المساجد:

ساهم المسجد عند المسلمين في مجالات الحياة المتعددة وذلك منذ تأسيسه في عصر النبوة إذ كان بالإضافة إلى جوهر وجوده التعبدي، مكانا للحل والعقد والبتِّ في أمور المسلمين. مؤسسة للتعليم، وتداول الفكر والثقافة. وفي هذا الصدد، كان طلبة العلم يتحلقون حِلقا حول العالم وهو يدارسهم ويشرح لهم المتون وأصول الفقه ويوطئ لهم العلوم النقلية والعقلية، وكان هذا دَيْدَنُ المساجد في المغرب الأوسط لاسيما التي اشتهرت منها وكثر ذكرها بما كان لها من مكانة علمية ومن أهمها:

---

1- ناصر الدين سعيدوني: التجربة الأندلسية بالجزائر، ندوة الأندلس، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1، الرياض، 1996، ص 88.

2 – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، 376/1.

– المسجد الجامع (المسجد الأعظم): يُعد هذا المسجد من أبرز المساجد المغربية تم بناؤه في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي (**530هـ/1136م**)، وقد زينه بالزخارف الرائعة التي يزان بهما وجه المحراب وجداره وانفرد هذا المسجد بهذه النسخة المعمارية الأندلسية،لأن الذين أشرفوا على بنائه يكون علي بن يوسف قد جاء بهم من الأندلس.[1]

وكان لهذا المسجد أهمية وذلك لدوره التعليمي، فكان أشبه بالمعاهد العليا التي تدرس فيه العلوم المختلفة،[2] إذ أضحى جامعة على النمط القديم كجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وأصبح معهدا للتدريس، خاصة بعد الهجرة الأندلسية، وقبلة للعلماء وطلاب العلم الذين توافدوا عليه للأخذ من علمائه وشيوخه. وظل دوره الديني والتعليمي وإشعاعه الثقافي قائما طوال العهد الزياني، وصار المغرب الأوسط كافة وتلمسان خاصة، حاضرة من حواضر الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي.[3]

– مسجد سيدي أبي الحسن بن يخلف التنسي: تم بنائه من طرف السلطان أبي سعيد عثمان الأول (**696هـ/1296م**)، وقد حمل اسم العالم الفقيه أبي الحسن التنسي الذي كان يدرس فيه وهو مستلهم من الهندسة والفن المعماري والزخرفة بغرناطة.[4]

– مسجد أولاد الإمام: بني في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول (**ت 718هـ/1318م**) سنة (**710هـ/1310م**) ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها لابني الإمام. ويقع بالقرب من مسجد أبي الحسن، ولم يبق منه سوى القبة التي تعلو المحراب ومئذنتها وقاعدتها على شكل مضلع سداسي.[5]

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 68.

2– يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 37.

3– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 68.

4– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 147/1.

5– لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص240، ينظر عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 1/ 147.

– مسجد سيدي إبراهيم المصمودي[1]: شيد هذا المحراب في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني(**760–791هـ/1359–1381م**) **ولم يبق منه إلا المحراب والقبة.**[2]

ولم يقتصر بناء المساجد والمؤسسات الثقافية على أمراء وسلاطين بني زيان، بل كانت هناك مساجد أخرى شيّدها بعض سلاطين بني مرين ومنها:

– جامع المنصورة: تم إنشاؤه من طرف السلطان أبي يعقوب بن عبد الحق، وذلك سنة (**702هـ/1302م**)، أثناء حصاره لتلمسان، ويعد من أشهر المساجد في الجزائر بفضل مئذنته التي بلغ ارتفاعها **38م.**[3]

– مسجد سيدي أبي مدين شعيب[4]: قام بتأسيسه السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، الذي استولى على تلمسان سنة (**739هـ**)[5] وشيده بقرية العباد وأعطاه اسم الولي الصالح أبي مدين، أحد متصوفي الأندلس الذي دفن بالقرب منه ولا يزال هذا الأخير ينال إعجاب الزائرين لما فيه من فن وزخرفة أندلسية.[6]

– مسجد سيدي الحلوي7: تم بناء هذا المسجد بأمر السلطان أبي عنان فارس المريني سنة (**754هـ/1353م**)، حيث استولى على المغرب الأوسط، وتم بناؤه بجانب ضريح الولي الصالح ابن أبي عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي المتوفي في أوائل القرن السابع هجري

---

1– سيدي إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني: هو أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد أصله من صنهاجة المغرب قرب فاس، ينظربن مريم: المصدر السابق، ص ص 64–66.

2– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 1/ 147.

3– رشيد بوروبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص ص 499–500.

4– أبو مدين شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد، كان من أهل حصن من عمل إشبيلية جال وساح، واستوطن بجاية مدة، ثم تلمسان، توفي نحو 590هـ. ينظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ): سير أعلام النبلاء، ج15، دط، دار الحديث القاهرة، 2006، ص 380.

5– التنسي (ت 899هـ/1494م): نظم الدرر والعقبان، المصدر السابق، ص ص 145–146.

6– رشيد بوروبة وآخرون: المرجع السابق، ص ص 500–502.

7– سيدي ابن عبد الله الشوذي الحلوي الإشبيلي المعروف بالحلوي: نزل تلمسان وهو من أكبر علماء العباد بعدما كان قاضيا باشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن توفي بتلمسان قبره خارج باب على وقبره هناك مزارا. ينظر ابن مريم (كان حيا 1025هـ/1611م): المصدر السابق، ص ص68–70.

والذي هاجر من الأندلس واستقر بتلمسان سنة (655هـ/1266م) في عهد السلطان يغمراسن بن زيان.[1]

وهناك عدة مساجد أخرى أدت نفس الوظيفة التي كانت تؤديها مساجد الزيانيين تلمسان كمسجد وهران ومستغانم والمدية، ومسجد مدينة الجزائر وندرومة التي يعود بناء مسجدها إلى العهد المرابطي في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي،[2] كانت هذه المساجد منارات للعلم والثقافة في بلاد المغرب الأوسط، درس فيها نخبة من العلماء، وتخرج منها عدد كبير من المشايخ والفقهاء الذين ساهموا في ازدهار الحركة الفكرية الثقافية والعلمية بالمغرب الأوسط.

**ب- الكتاتيب:**

نالت الكتاتيب حظوة في المغرب الأوسط بما قدمته من تعليمٍ لأبناء المسلمين. والكُتّاب لفظة يراد بها في عُرف هذا اليوم المدرسة التي يتعلّم فيها الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ المعرفة، وهي من الألفاظ العربية المستعملة في العهود الأولى من الإسلام[3].

وقد لعبت دورا هاما في التعليم بالتدريب على الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم. وكان أثاثها الحصير المصنوع من السمار أو الحلفاء. وكان لكل طفل لوح من خشب مصقول ودواة حبر وقلم من قصب جاف وإناء يمحو فيه الأطفال ألواحهم.[4]

وفي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، أصبحت هذه المؤسسات من كُتّاب ومدارس أكثر تجهيزا، وهذا ما يذكره الوزان (ت957هـ) حيث قال: «...في كل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال ولا يعلّمهم المعلم القراءة والكتابة في كتاب، بل في ألواح كبيرة يكتب عليها التلاميذ...».[5]

---

1- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص 73-74.

2- المرجع نفسه، ص 74.

3- جواد علي (1987م): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج15، دار الساقي، ط 4، العراق، 2001م، ص 291.

4- لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص ص 221-229.

5- الوزان: المصدر السابق، 261/1.

## جـ- الزوايا:

أُقِيمت الزوايا على الطرقات وفي الأماكن الخالية، فهي تنزوي عما حولها لتكون مقرّا للعبادة، ومقصدا لطلب العلم، والتحصيل. كما أن الزاوية يديرها شيخ الطريقة الصوفية أو يكون سالكا لها، ويقوم الناس بدعمها وتموينها كي يتمكن طلاب العلم والعاكفين بها من القيام بشؤون حياتهم ومواصلة ما هم عليه من عبادة، ونهل للمعرفة. ويستفيد الفقراء والمحتاجون من تلك الإعانات المقدّمة للزاوية، وقد أُوجدت مصادر أخرى لمدّ الزوايا بما تحتاجه للقيام بدورها ومن أهمها الأحْباس.[1]

واشتهر المغرب الأوسط بزواياه لا سيما عاصمة الزيانيين التي كانت عامرة بزواياها وأضرحتها، ومنها زاوية سيدي أبي مدين شعيب بالعباد، وكانت لها حُبوس عديدة من البساتين والضِياع، وزاوية سيدي السنوسي، وزاوية سيدي الحلوي، وزاوية أحمد الغماري، وزاوية عين الحوت، وكانت الجزائر تعج بالزوايا والأضرحة المقامة على قبور الأولياء منها زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي،[2] وزاوية الولي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلالي، واشتهرت وهران بزاوية سيدي الهواري، وزاوية سيدي إبراهيم التازي نزيل وهران.[3]

وظلت الزوايا أماكن لتحفيظ القرآن وتلقي العلوم، كما كانت للتعبد والنأي بالنفس عن الدنيا وفتنتها، حتى صارت خلوات لمن أراد أن يسلك طريق التصوف، وبذلك فإن الزوايا

---

1- الْحُبْسِ مصطلح فقهي وهو بِضَمِّ الْحَاءِ وَسُكُونِ الباء بِمَعْنَى الْوَقْفِ، وَهُوَ إعْطَاءُ الْمَنَافِعِ عَلَى سَبِيلِ التَّأْبِيدِ. ينظر العدوي أبو الحسن علي بن أحمد (ت 1189هـ): حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني،ج2، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، دط، لبنان، 1994م، 263.

2- الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري أبو زيد، مفسر من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق. من كتبه: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، والأنوار، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار، وجامع الأمهات في أحكام العبادات، والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز والإرشاد في مصالح العباد ورياض الصالحين. توفي سنة **875هـ**، ينظر الزركلي: المرجع السابق،331/3.وينظر التنبكتي: المصدر السابق، 257/2.

3- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص 77-78.

قامت بدور إيجابي في نشر التعليم بجميع أنواعه، وخدمة الدين والمجتمع في المغرب الأوسط وفي المغرب الإسلامي ككل.

**د- المدارس:**

أدت المدارس أدوارا كبيرة في بعث ونشر الفكر والثقافة الإسلامية، وساهمت بشكل جليّ في ازدهار الحركة الفكرية التعليمية بالمغرب الأوسط، وقد تأخر ظهورها عن بلاد المشرق بنحو قرنين من الزمن، وعن جارتها إفريقية والمغرب الأقصى بنحو نصف قرن.

والظاهر أنّ سلاطين الدولة الزيانية، كغيرهم من ملوك الدولة الإسلامية، كانوا يهدفون من وراء إنشاء هذه المدارس إلى نشر التعليم، وتنشيط الحياة الفكرية الثقافية، وتكوين أجيال من العلماء يحملون لواء الحضارة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان التنافس والتسابق الخفي الصامت بين أبناء العم (الحكام المغاربة) على قيادة المسلمين في المشرق والمغرب بعد زوال رسم الخلافة العباسية.[1]

وفي هذا المضمار، عرف المغرب الأوسط في عهد الدولة الزّيانية عددا لابأس به من المدارس، وصل إلى خمس مدارس حسب الوزان (**ت 957هـ/نحو 1550م**) الذي ذكر أنه: «...توجد بتلمسان أعمدة جميلة... وخمس مدارس حسنة جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية شيد بعضها ملوك تلمسان، وبعضها ملوك فاس...».[2]

ثم وصف وهران وما بها من بنايات قائلا: «... وهران مدينة كبيرة... وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق محاطة بأسوار عالية...».[3] وقد شيد بنو زيان كثيرا من المدارس الأنيقة التي مازال أكثرها قائما إلى اليوم، ثلاث منها بمدينة تلمسان، يضاف إليها المدرستان اللتان شيدهما بنو مرين بقرية العباد وسيدي الحلوي.[4]

---

1- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 2/ 324-326.

2- الوزان، المصدر السابق، 2/ 19.

3- المصدر نفسه، ص 30.

4- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 82.

– مدرسة ابني الإمام: أول مدرسة بالمغرب الأوسط، أسسها السلطان أبو حمو موسى الأول (**ت 718هـ/1318م**) تكريما للعالِمَين أبي زيد عبد الرحمان (**ت 743هـ/1342م**) وأبي موسى عيسى (**ت 749هـ/1348م**)، وكان ذلك ما بين سنة (**707هـ و718هـ**).[1]

– المدرسة التاشفينية: نسبة لمؤسسها السلطان أبي تاشفين الأول أنشأها بعد أن أصبحت المدرسة التي بناها أبو حمو موسى الأول (**718هـ/1318م**) لا تكفي عدد الطلبة، وتقع إلى جانب المسجد الأعظم، وهي تحفة فنية في منتهى الجمال.

ومن بين العلماء الذين امتهنوا التدريس بها أبو موسى عمران المشدالي البجائي (**ت745هـ/1344م**) ، وقد استمر وجودها إلى غاية الاحتلال الفرنسي.[2]

– المدرسة اليعقوبية: أسسها أبو حمو موسى الثاني (**760هـ–791هـ**) بالقرب من مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، وذلك سنة (**765هـ/1363م**) وسماها باليعقوبية نسبة إلى والده أبي يعقوب، وقد أكثر عليها الأوقاف ورتب فيها الجرايات، وقدّم للتدريس فيها العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني (**ت 771هـ/1370م**)[3] الذي كان يحضر مجلس إلقائه،[4] وبناء هذه المدرسة يؤكد اهتمام هذا السلطان بالعلم لأنه كان من العلماء والشعراء.[5]

---

1– عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص 26. ينظر التنسي (ت 899هـ/1494م): المصدر السابق، ص 139.

2– مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، دط، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 276.

3– الشريف الحسني: أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني، من أكابر علماء تلمسان والمغرب الإسلامي، ولد حوالي سنة 710هـ/1310م بتلمسان وأخذ العلم بها عن جماعة من علمائها كابني الإمام، وابن هدية القرشي، أبي موسى عمران المشدالي (**ت 745هـ/1344م**)، وابن النجار، الآبلي وغيرهم. وقد أخذ عنه الكثير من العلماء، أبرزهم لسان الدين بن الخطيب، وعبد الرحمان بن خلدون، وأبو عبد الله بن زمرك، وابن مرزوق الحفيد، ابن عباد الرندي وغيرهم. كان له مكانة كبيرة عند ملوك عصره كأبي عنان المريني وأبي حمو موسى الثاني (791هـ/1989م)، الذي أكرمه أحسن إكرام، وزوّجه إحدى بناته، وعينه مدرسا بالمدرسة اليعقوبية. كما كانت له أيضا مكانة كبيرة بين علماء عصره، إذ كانت ترد عليه الأسئلة والفتاوى من عدة أقطار. توفي سنة 771هـ/1369م. ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 120. وينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص ص255–262. وينظر المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، 152/7.

4– عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص 28.

5–عبد الجليل قربان: المرجع السابق، ص ص121–122.

– مدرسة الحسن أبركان: بناها السلطان أحمد العاقل (**834هـ/866م**) للعالم الزاهد أبي على الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان، قرب مسجد سيدي الحلوي خارج باب علي، ولم يبق من آثارها إلا المسجد. ويبدو أنها لم تحظ بالشهرة التي حظيت بها المدارس الأخرى.[1]

أما المدارس التي أسسها سلاطين بني مرين وهي:

– مدرسة أبي مدين شعيب[2] بالعباد: شيدت هذه المدرسة من قبل السلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وذلك عندما استولى على تلمسان سنة (**737هـ/1337م**)، وبعد إصلاحه وترميمه مدينة المنصورة، وإتمام جامع العباد بعد حوالي ثماني سنوات، سنة (**748هـ/1347م**)، امتازت بزخرفتها وفنها المعماري. وتعد هذه المدرسة أجمل مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط، وكانت تتكون من طابقين الطابق السفلي ويحتوي على عشر حجرات. والعلوي يحتوي على ثماني حجرات، وكانت هذه الحجرات مخصصة لطلبة العلم الداخليين، كما كانت هناك حجرات أخرى عند المدخل على يمين قاعة المحاضرات وشمالها، مخصصة لتخزين المواد الغذائية وأدوات التنظيف وطهو الطعام.[3]

– مدرسة سيدي الحلوي: بناها السلطان أبو عنان فارس المريني بجانب مسجد الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي وذلك سنة(**754هـ/1344م**)، وقد جعل على هذه المدرسة العالم الفقيه المقري (الجد).[4]

---

1– لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 251.

2 – أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري متصوف لقّب بقطب العارفين أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن بجاية وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. له كتاب مفاتيح الغيب لإزالة الريب، توفي بالعباد بالقرب من تلمسان سنة 594هـ. ينظر يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، 125/1– 126. وينظر الزركلي: 3/ 166.

3– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص 85–86.

4– مختار حساني: 2/ 277. وينظر عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، 322/1.

ولم يعرف المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية هذه المدارس فقط، بل كانت هناك مدارس لكنها ليست بالسمعة والشهرة التي اكتسبتها المدارس الخمس، وقد نجد لها إشارات في بعض المصادر وهي: مدارس وهران والجزائر ومازونة.

وانفرد الحسن الوزان (**ت 957هـ/نحو 1550م**) بذكر هذه المدارس دون التحدث عنها بالتفصيل، حيث تحدث عن وهران وما بها من مؤسسات ومساجد ومدارس كما ذكرنا سالفا، أما مازونة، فكانت توجد بها مدارس تشبه إلى حد كبير مدارس تلمسان، أما مدرسة الجزائر[1]، فقد أسسها أبو الحسن المريني (**ت 759هـ/1358م**)، وكانت عبارة عن مسكن للطلبة يتخذونه مستقرا يأكلون فيه ويشربون. وكان الطلبة يتلقون بها مختلف العلوم الدينية والنحو والأدب وغيرها.[2]

ويبدو من إشارة ابن مريم (**كان حيا 1025هـ/1611م**) أنّ المدرسة والزاوية ظلتا قائمتين حتى أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.[3]

ويستنتج مما سبق، أن ملوك بني زيان كانوا يعطون أهمية كبيرة وعناية فائقة للمدارس، سواء التي أسسوها، أو التي أسسها المرينيون ثم عادت تحت سلطتهم بعودة السيطرة على الأقاليم. وقد قام بالتدريس فيها كبار العلماء من أمثال: ابني الإمام، والشريف التلمساني والمشدالي وغيرهم، هؤلاء ساهموا في إثراء الحياة الفكرية والثقافية بالمغرب الأوسط وغيره، ولقد لعبت هذه المدارس دورا في توحيد الفكر الإسلامي والمذهب في حاضرة الدولة الزيانية وفي غيرها.[4]

وانتشرت المراكز الثقافية عبر حواضر وقرى المغرب الأوسط عكس ما كان يعرف آنذاك عند المغرب الأقصى الذي اشتهر بمدينة فاس عاصمة المرينيين، ومراكش عاصمة

---

1- الجزائر معناها الجزر سميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة اليابسة، ويسميها الإسبان Alger والمدينة قديمة من بناء قبيلة إفريقية تدعى مزغنة، فسميت الجزائر بني مزغنة. ينظر الوزان: المصدر السابق، 2/ 37.

2- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص 86-87.

3- صالح بن قربة وآخرون: المرجع السابق، ص 177.

4- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 2/ 327.

الموحدين كقطبين ثقافيين، وعن أفريقية التي عرفت عبر الفترات التاريخية بتمركز الثقافة بالقيروان، في حين نرى المغرب الأوسط يتلألأ فيه جواهر ثقافية ثمينة، فأصبحت المدن تمثل أوعية الفكر والثقافة والشرايين التي تسري عبرها لتمد المغرب الأوسط بالحياة، فظهرت مراكز عديدة ومؤسسات ثقافية وعلمية هامة تهتم بالإطار الذي يقع فيه الطالب، فأصبحت كل مدينة من مدن المغرب الأوسط تحتوي على عدد من المساجد والمدارس والمؤسسات العامة، ومن هذه المدن نذكر: مازونة ووهران والجزائر وتلمسان التي كانت تحتل الصدارة في النشاط الثقافي والفكري بالرغم من أنها عاصمة المغرب الأوسط السياسية والاقتصادية، إلا أن كثرة المدارس والمساجد بها أهلتها لتكون عاصمة ثقافية للمغرب الأوسط.[1]

هذه المراكز والمؤسسات دفعت بعجلة الحركة الفكرية الثقافية نحو التقدم والتطور والازدهار. وقد مر التعليم بمدينة تلمسان بمراحل عديدة منذ الفتح العربي الإسلامي لها، فتميز بصنفين:

التعليم الشعبي العام والتعليم الصناعي الاحترافي.[2]

– فالمرحلة الابتدائية تعلم فيها الكتابة والقراءة وحفظ القرآن في الكتاتيب، ويرجح أن سن هذه الدراسة في هذه المرحلة كانت ما بين السنة الخامسة والسابعة من العمر،[3] وكان هناك نوعان من المعلمين في هذه المرحلة الأول يدعى المعلم الملقن وهو المكلف بتعليم القرآن وتحفيظه دون كتابته على الألواح، والثاني هو المعلم المكتب المكلف بتعليم الصبيان الخط ولا يعلم غيره. فكان يرسم خطا نموذجيا ويقلده الصبية ويحذون حذوه[4].

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص65.

2– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 338/2.

3– لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط1، ابن النديم للنشر، وهران، 2011، ص 219.

4– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،2/ 346.

– المرحلة الثانية: وهي مرحلة متقدمة عن الأولى، يدرس فيها الطلبة علوم النحو واللغة والأدب والفقه، وتتم داخل المساجد أو المدارس والزوايا، كان يقوم بتدريس الطلبة في هذه المرحلة أساتذة متخصصون، وبعد التحصيل في هذه المرحلة يطوف الطلاب البلاد للقاء العلماء المشهورين، وكثير منهم يرحل إلى أقطار المغرب والأندلس والمشرق، أو ما عرف بالرحلة في طلب العلم.[1]

**هـ- المكتبات:**

إضافة إلى ما ذُكر من أماكن أُعدَّت لتلقي العلم اعتنى ملوك بني زيان بإنشاء المكتبات العامة وتزويدها بالكتب. وقد أدت العلاقات الثقافية التي كانت موجودة بين الأقطار الإسلامية إلى ورود المئات من الكتب في مختلف العلوم. وذلك منذ فترة مبكرة.[2] وقد ازدهر في العهد الزياني فن نسخ المصاحف وأمهات الكتب الدينية مشرقية ومغربية فضلا عن المصنفات المحلية ومختلف الكتب العلمية والأدبية حتى أوجدت أسواقا خاصة ببيع الكتب والتجارة فيها.[3]

لم تنحصر المكتبات في المغرب الأوسط في المؤسسات التعليمية والثقافية المعروفة مثل: (المساجد، والمدارس، والزوايا،والكتاتيب) بل أيضا لدى الخاصة، وفي بيوت الأسر العريقة بالعلم ولدى الوراقين. فقد انتشرت المكتبات في العهد الزياني وساهم فيها الجميع من سلاطين وعلماء وخواص، وقد وجدت في الأماكن الآتية:

---

1– بسام كمال شقدان: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص ص 221–222.

2– كان للأئمة الرستميين ولع بجمع الكتب النادرة، وكانوا يجلبونها من كل مكان ولقد أنشأوا خزانة للكتب لدار الإمارة بالقصبة، سميت المعصومة، كانت تضم قرابة ثلاثمائة ألف مجلد، وقد ضاعت في حروب الفاطميين ضد الإباضيين: ينظر أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،1/ 300.

3– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،2/ 336.

– مكتبات القصور: أصبحت المكتبات تقليدا في بلاط السلطان ويمكن أن يشارك فيها المحسنون بهباتهم وأحباسهم، وكانت هذه المكتبات تحوي مخطوطات من القرآن الكريم، والسنة والسيرة والتفسير والتاريخ...

– مكتبات المساجد والمدارس والزوايا: ولقد ساهم في إثراء هذه المكتبات السلاطين وإنشائها، مثل المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني سنة (760هـ/1359م) بالجامع الأعظم بتلمسان، وكانت تزخر بالكتب المختلفة في جميع العلوم والفنون، وقد هدمت هذه الأخيرة سنة (1850/1266م) حينما قامت مصلحة الآثار التاريخية بترميم الجامع الأعظم وفقدت الكتب.

– مكتبة السلطان أبي زيان محمد الثاني بن أبي حمو موسى الثاني: التي أنشأها في سنة (1394/796م) بالجهة الأمامية من الجامع الأعظم، وكانت تحوي مؤلفات نفيسة، منها ما نسخ باليد كالقرآن الكريم وصحيح البخاري ونسخ من كتب الشفاء. وقد أوقف السلطان أبو زيان أركانا تضمن حسن سير عمالها واستمرار نشاطها التعليمي والفكري.[1]

– المكتبات الخاصة: لقد كان العلماء أشد الناس حرصا على تكوين مكتبات خاصة في بيوتهم تحوي المصنفات من مختلف العلوم النقلية والعقلية، وأصبحت هذه الظاهرة سلوكا حضاريا يسري في عروق الناس، وتفيد المصادر أن عبد الله المقري (الجد) من جملة ما ورث عن أهله خزانة كبيرة من الكتب، والأمثلة كثيرة...

لقد ساهمت المكتبات بدورها في نشر العلم وتنشيط وازدهار الحركة الفكرية والثقافية في بلاد المغرب الأوسط كغيرها من المؤسسات الأخرى السابقة.

ونتيجة لتضافر العناصر البشرية مع العناصر المادية، أدّى ذلك إلى إحداث قفزة حضارية. كان لقدوم الإسلام فضل فيها باعتباره محفّزا جعل من الفرد في المغرب يفجّر طاقاته الإبداعية، ويُظهر إقبالا على تلقي العلم والمعرفة، مما كوّن

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص 88–89.

حركية في الفكر والثقافة تكاد تكون سمة لعصر الازدهار الذي برز فيه المغرب الأوسط بحاضرته تلمسان، فتبوّأت مكانة علية بين قريناتها من الحواضر مشرقية كانت أو مغربية في ذلك الزمان. وهذا إذا ما أخذنا التغيرات الجيوسياسية في الحسبان، حيث كانت أحوال بلاد المسلمين تتقلب بين النزاعات الداخلية والمؤامرات الخارجية، وعلى امتدادها شرقا وغربا.

## ثانيا – الحاضنة الفكرية والثقافية بالسودان الغربي:

شكّلت بلاد السودان الغربي بيئة مناسبة ساعدت على ربط العلاقات بينها وبين دول الشمال الإفريقي، خاصة في المجال الاقتصادي والتجاري، هذا الارتباط والتواصل في العلاقات التجارية كان بمثابة جسر انتقلت من خلاله مختلف الجوانب الحضارية بما فيها الفكرية والثقافية.

### 1- مراكز النشاط الفكري والثقافي بالسودان الغربي:

لم تكن الانطلاقة الحضارية للسودان الغربي من فراغ، بل ارتكزت في عمومها على عنصرين أساسين هما الحواضر والمؤسسات التعليمية والثقافية.

#### أ- الحواضر:

ترجع المكانة العلمية لبلاد السودان الغربي للحركة العلمية التي عرفتها بعض مدنه، والتي لعبت دورا كبيرا في الحركة العلمية، بالإضافة إلى الدور التجاري، فهذه المراكز التجارية شيئا فشيئا تحولت إلى مراكز إشعاع حضاري وثقافي، خاصة بعد استقطابها للعلماء والفقهاء من كل حدب وصوب.

وقد ساهمت هذه الأخيرة في نشر الثقافة العربية الإسلامية، وأصبحت تنافس نظيراتها من المراكز العلمية والثقافية بالمغرب الإسلامي كتلمسان وفاس والقيروان... ومن هذه المدن:

– حاضرة تنبكتو: ارتبط تاريخ الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الغربي بتاريخ هذه المدينة التي تعتبر من أهم مراكز الدعوة الإسلامية والنشاط التجاري، وتحولت إلى مدينة ذات إشعاع حضاري واسع.[1]

وقد وصفها السعدي (**ت 1066هـ/ 1653م**) بقوله: «... فنشأت على أيدي التوارق... في أواخر القرن الخامس من الهجرة... ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك والسيار... إلى أن صار مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم...».[2]

وجد فيها مسجدين كبيرين هما جانكوبر وسانكوري اللذين تحولا إلى جامعتين إسلاميتين، لتصير خلال القرن العاشر الهجري مركزا من أكبر مراكز الإشعاع الفكري الإسلامي، وأصبحت جامعتها الإسلامية تدرس فيها جميع العلوم من أصول وفقه وتفسير وأدب عربي وتاريخ ورياضيات وفلك،[3] وتنوعت مصنفات الكتب التي كانت تدرس ولقيت رواجا في أسواقها. كما اشتهرت تمبكتو بحركتها الفكرية والثقافية على النمط الإسلامي في السودان الغربي، وذلك طيلة أيام مالي وسنغاي، حيث نبغ بها علماء كبار وفقهاء ومؤرخون من أمثال: أحمد بابا التنبكتي (**ت 1036هـ**)،[4] عبد الرحمان السعدي (**ت 1066هـ/ 1653م**)، القاضي محمود كعت، ونشطت حركة التعليم والتأليف ونسخ الكتب

---

1– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دط، دار البصائر، الجزائر،2007، ص259. وينظر: عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة والتوزيع، بيروت،2000، ص178.

2– عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي(**ت 1066هـ/1653م**): تاريخ السودان، مطبعة بردين، باريس، 1981، ص ص 21–22.

3– الماحي عبد الرحمان عمر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا (الواقع والمستقبل)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص.

4– عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، دت، ص ص 102–103.

والمخطوطات. ومن أهم العلماء الوافدين[1] إليها العالم التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي (**ت 909هـ/ 1503م**)، ويحيى التادلسي، وجلال الدين السيوطي (**ت 911هـ**)...[2] كما شكلت تمبكتو مركزا تجاريا.[3] واكتسبت شهرتها وانتقلت إليها المؤثرات الحضارية والثقافية حتى أصبحت مركزا ثقافيا يؤمُّه العلماء والفقهاء من تلمسان والقيروان وفاس ومصر والأندلس.[4]

– مدينة جني: ارتبط ازدهار جني التي تعتبر من أهم حواضر السودان الغربي كتمبكتو، وقد وصفها السعدي (**ت 1066هـ/ 1653م**) بقوله: «هي مدينة عظيمة ميمونة مباركة، ذات سعد وبركة. وطبيعة أهلها التراحم والمواساة ».[5]

عُرفت جني بمسجدها، وكانت مقصد الكثير من التجار، ويسكنها الكثير من العلماء والمدرسين والطلاب، وهي تتسع لكل الوافدين بالرغم من أنها ليست إلا قرية صغيرة بالقياس مع مدن المغرب في ذلك الوقت.[6]

وقد عبر عنها السعدي (**ت 1066هـ/ 1653م**) بقوله: «... إنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين، يلتقي بها تجار الملح وتجار الذهب، وكانت مركزا ثقافيا...».[7]

وقد ذكر أن بها أكثر من أربعة آلاف من المشتغلين بالعلم، وأشار إلى بعض علمائها، مثل الفقيه خودي محمد سانو الونكري، والقاضي العباس كنت الجندي وكان فقيها وعالما وقاضيا، ومحمود بن أبي بكر بغيغ والد العالِمَين الفقيهين محمد بغيغ وأحمد بغيغ.[8]

---

1– عبد الحميد هرامة: تنبكتو، نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ع 41، كلية الدعوة الإسلامية الليبية، طرابلس، 1987، ص ص 228–233.

2– يحي بو عزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، ص 190.

3- Said Bouterfa: OP.CIT, p 25.

4– محمد مبروك يونس: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العرقية الإفريقية (1952–1977)، ط، دار الكتب الوطنية1، طرابلس، 1988، ص ص22–32.

5– السعدي: المصدر السابق، 1/ 11.

6– الوزان: المصدر السابق،163/2.

7– السعدي: المصدر السابق، 29/1.

8– شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 119.

مدينة غاو (جاو): حاضرة إمبراطورية سنغاي، ومركز ثقافي ثالث، بلغت درجة كبيرة من الازدهار والرقي، كما أنها عاصمة سنغاي منذ آل ضياء الأولى. وفي أيام الأسيقيين، بلغت جاو أقصى ازدهارها، وقد وصفها الوزان (**ت957هـ/نحو 1550م**) بالمدينة العظيمة، وهي متحضرة جدا بالنسبة لتنبكتو. وذكر بأن فيها قصورا للملك ومستشاريه، فهي أهم مدن السودان الغربي[1].

وذكر ابن بطوطة (**ت 779هـ/1377م**) أن فيها الفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان[2]. وقد بلغت جاو القمة في عهد الأساقي وإن كانت لم تتمتع بالأهمية التي تمتعت بها جني ولا بالصيت الثقافي الذي تمتعت به تمبكتو، لكنها ظلت مركزا هاما في السودان الغربي، ولعبت دورا في نشر الثقافة العربية الإسلامية بين الناس في المنطقة.[3] إلى جانب هذه المراكز الكبرى توجد مراكز أخرى مثل ولاته، وتغزة،ودندن، وكانو وكاشنة، وتشير المراجع أن جلال الدين السيوطي (**ت 911هـ**) أقام بكاشنة زمنا يعلّم الناس، ويفقههم في الدين.

هكذا دخلت الحضارة العربية الإسلامية بمعناها الواسع إلى ممالك السودان الغربي، فجذبت إليها العلماء من كل الأقطار، ونشأت مدن اشتهرت بطابعها الثقافي والحضاري، فترتب على تشجيع حكام الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا للعلماء ورجال الدين، أن توافد على هذه البلاد عدد منهم من مختلف الأقطار الإسلامية من المشرق والمغرب، وقد أغدق عليهم السلاطين وشجعوهم على الإقامة في بلادهم من أجل تثقيف الناس. لقد كانت هذه المراكز حقا تحمل لواء النهضة والإشعاع الثقافي والعلمي، مما جلب إليها أنظار العلماء من المشرق والمغرب، ومن بينهم علماء المغرب الأوسط.[4]

---

1- الوزان: المصدر السابق، 169/2.

2- ابن بطوطة (**ت 779هـ/1377م**)، المصدر السابق، 273/4.

3- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 118.

4- المرجع نفسه، ص 119.

مثلت حواضر السودان الغربي أرضية حضارية سارت عليها سكّة الفكر والثقافة، وأثّرت هذه الحواضر في دفع الحركة الفكرية والثقافية إلى الأمام. كما وُجِدت مؤسسات تُنتج الفكر، وتُنمِّي المعرفة تقع ضمن نطاق تلك الحواضر.

**ب- المؤسسات التعليمية والثقافية:**

عرفت بلاد السودان الغربي تشييد العديد من المؤسسات التعليمية والثقافية التي ساهمت في نشر الثقافة العربية الإسلامية. وكانت بداية القرن الرابع عشر الميلادي فاتحة خير على الثقافة في السودان الغربي، فقد أرسل سلطان مالي منسا موسى بعثات من الطلبة إلى المغرب الإسلامي لمتابعة دراساتهم، ومما يذكر عنه أنه اشترى الكثير من الكتب من مكة والقاهرة أثناء رحلته للحج.

ويعد عهد الأسيقين بإمبراطورية سنغاي الإسلامية من أزهى عصورها سياسيا واقتصاديا وثقافيا، فكان لها دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية، حيث تكونت نخبة من السودانيين تولت مهمة التعليم بعد أن تخرجت على يد علماء مغاربة أو مشارقة، ولعل من أشهرهم العالم التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي كان له فضل كبير في تطور الثقافة الإسلامية في السودان الغربي في هذا العهد.[1]

هذه المكانة التي وصلت إليها حواضر السودان الغربي خلال فترة امتدّت من القرن الرابع عشر، حتى مطالع القرن السادس عشر جعلت منها مراكز إشعاع فكري وثقافي أمدّت السودان الغربي بالأصول العلمية والمعرفية. وأصبحت مراكز تغذي المجتمع السوداني عقليا، وتتيح له التواصل مع الأوساط العلمية المُتَمثّلة في المؤسسات التعليمية التي كانت مُشيّدة داخل هذه المدن، حيث شكّلت وجهة لمن رغب في طلب العلم، ومن أهمّ هذه المعالم نجد:

- المساجد: لم تكن هذه الأخيرة مخصصة للعبادة فقط، بل كان لها دور في نشر العلم والتعليم، حيث كانت تُلقى بها الدروس بأسانيدها الكاملة إلى مصدرها، فقد قال البكري

---

1- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 195.

**(487هـ)**: «أن غانة بها اثنا عشر مسجدا...،»1. أمّا الوزان **(ت 957هـ/نحو 1550م)** فوصف مالي وقال: «... ولهم مساجد كثيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد...».

ومن أهم المساجد التي قامت بدور تعليمي بارز في السودان الغربي: 2

الجامع الكبير(جينكري بيري) Djinge Berry: لا يعرف له تاريخ التشييد الأول، والراجح أنه بُني في القرن السادس للهجري، الثاني عشر الميلادي، جُدّد بناؤه على يد السلطان "منسا موسى" **(707-733هـ/1312-1337م)** بعد عودته من الحج، واختطَّ من قبل المهندس أبي إسحاق الساحلي وعبد الله الكومي على الطراز المغربي. وقد وصفه أوسكار لنزOskar Lenz بأنه مبنى حصين وممتد، له فناء واسع، وبرج ذو شكل مربع، وله خمسة أبواب مختلفة الأحجام.3

ظل هذا المسجد موضع عناية السلاطين والحكام الذين تعاقبوا على حكم تنبكتو، فمر بعدة إصلاحات، شأنه شأن كل المساجد العريقة في العالم الإسلامي.[4] وقد تولى إمامته العديد من العلماء والأئمة منهم:

- الإمام أبو القاسم التواني **(ت 922هـ)**.
- الإمام منصور الفزاني.
- الإمام الفقيه إبراهيم الزلفي[5].

---

1- البكري، المصدر السابق،2/ 871-872.

2- الوزان: المصدر السابق،2/ 164-165.

3 - Oskar Lenz,Tombauctau voyage au maroc au sahara et au soudan،2Tome Libraire, Hag bette، Paris، 1887, P151.

4- مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية العالمية، ج8، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض،1999، ص571.

5- من العلماء التواتيين الذين سكنوا تمبكتو، وكان إماما في الجامع الكبير، وسكن بجواره من جهة القبلة. ابتنى دارا بالقرب من المسجد ليعلم فيها الأطفال، وكان من أول من بدأ الاحتفال بالمولد النبوي في تمبكتو، وكان الأسقيا الحاج محمد يصلي وراءه. ينظر: السعدي: المرجع السابق، ص 58. ينظر: السعدي: المرجع السابق، ص 58.

- الإمام علي الجزولي[1].
- الإمام صديق بن محمد تغل **(ت بعد 973هـ)**.[2]
- الإمام عثمان بن الحسن بن الحاج التشيتي **(ت 977هـ)**.[3]
- الإمام محمد بن أبي بكر بن أكداد الفلاني **(ت 989هـ)**.[4]
- الإمام أحمد بن الإمام صديق.[5]

- مسجد سنكري Sonkoré: قال عنه السعدي **(ت 1066هـ/ 1653م)**: « بُني من طرف امرأة واحدة اغلاّلية ذات مال كثير في أفعال البر...».[6] وعرف باسم سنكري نسبة للحي الذي بني فيه،[7] في حين هناك من يرى أن المسجد بني بعد عام **(1325م)**، لكن المعلوم أنه قد أعيد بناؤه من طرف القاضي العاقب[8] ابن القاضي محمود في عام **(989هـ/1581م)**، أما السعدي **(ت 1066هـ/**

---

1- ولاه القاضي محمود الإمامة، كان من الصالحين، توفي بعد أن مكث في الإمامة 18 سنة. ينظر الولاتي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق البرتلّي (ت 1219هـ/ 1805م): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: تح محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981، ص ص 196-197.

2- ولي الإمامة بعد وفاة علي الجزولي، ومكث فيها نحو 24 عاما: ينظر: السعدي: المصدر السابق، ص 61.

3- هو عثمان بن الحسن بن الحاج التشيتي ابن القاضي محمد بن عمر، تولى الإمامة بعد وفاة الإمام الصديق، توفي سنة 977هـ، ينظر: البرتلي، المصدر السابق ص ص 190-191

4- تولى إمامة الجامع الكبير بعد وفاة الإمام عثمان بن الحسن التشيتي، مكث فيها 12 عاما توفي 989هـ، ينظر: السعدي: المصدر السابق،62/1.

5- تولى الإمامة بأمر من القاضي العاقب، مكث فيها 15 عاما وتسعة أشهر وثمانية أيام، وهو آخر أئمة الجامع الكبير في زمن مملكة سنغاي. ينظر: السعدي: المصدر السابق، 62/1.

6- السعدي: المصدر السابق،62/1.

7- Oskar Lenz,op- cit.p 157.

8 - هو العاقب بن محمد بن عمر بن أقيت قاضي تمبكتو الإمام الفقيه الفاضل العامل القاضي العادل، كان صاحب أحوال وكرامات كثيرة، أخذ عن أبيه وعمه ورحل إلى المشرق ولقي في طريقه الشيخ عبد السلام الأسمر وأخذ عنه وأجازه الناصر اللقاني والتاجوري إجازة عامة، وهو أجاز أحمد بابا مولده سنة 913هـ وتوفي 991هـ: ينظر: بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 192.

**1653م)** فيرى أن تاريخ تجديد بناؤه كان في يوم الخميس ثاني عشر من محرم سنة **(986 هـ/1578م)**.[1]

ولهذا المسجد بابان من الجهة الجنوبية، وباب واحد من الجهة الشمالية،[2] وقد بلغ أوج ازدهاره في عهد إمبراطورية سنغاي زمن الأسقيا الحاج محمد الكبير، وقد ارتفع بما بلغه من مستوى علمي راق وأضفى على مدينة تنبكتو طابعا مميزا، حيث جعلها عاصمة من عواصم الدين والعلم والأدب في مناطق السودان الغربي خاصة، والعالم الإسلامي عامة. وقد انفتح هذا الجامع على العديد من مراكز العلم في الأندلس وشمال إفريقيا في فاس ومراكش وبجاية وتلمسان وطرابلس وغيرها من مراكز الحضارة.[3]

وتعاقب على إمامة المسجد العديد من الأئمة، الإمام أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي،[4] والإمام أبو بكر بن أحمد بير (ت 1039هـ).[5]

والإمام عبد الرحمان بن الفقيه محمود (ت 1006هـ)،[6] والإمام محمد بن محمد بكري،[7] والإمام محمد بن سعيد أحمد،[8] والإمام أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنبكتي.

– مسجد سيدي يحيى Sidi Yahya: يعد أول مسجد بُني في تمبكتو وذلك في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، ويقال أنه شُيّد على ضريح رجل من العلماء

---

1– السعدي: المصدر السابق،1 /111.

2 - Oskar Lenz,op- cit.p 157.

3– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص192–193.

4– ولاه القاضي محمود الإمامة في رمضان بعد وفاة أبيه، وكان عالما متواضعا مادحا للرسول صلى الله عليه وسلم، ومدرسا لكتاب الشفاء للقاضي عياض، ينظر البرتلي: المصدر السابق، ص 107.

5– تولى الإمامة كرها، ثم صلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم خرج هاربا من البلد. ينظر السعدي: المصدر السابق، ص 63.

6– أخ الإمام الفقيه أبي بكر بن أحمد بير، قدمته الجماعة بعد فرار أخيه. ينظر السعدي: نفسه.

7– تولى الإمامة بعد عبد الرحمان ابن الفقيه محمود إلى غاية وفاته. ينظر السعدي: نفسه.

8– تولى الإمامة بأمر من والده القاضي سيد أحمد إلى غاية وفاته. ينظر السعدي: نفسه.

الصالحين قدم من المغرب الأقصى،[1] وقد اهتم به الحكام وظلوا يجددونه ويوسعونه من فترة لأخرى.[2] ويقع المسجد وسط المدينة، وهو أصغر بكثير من المسجدين السابقين، وقد تعاقب على الإمامة في هذا المسجد عدة أئمة نذكر منهم الإمام محمد بن أحمد الونكري.[3]

– مسجد محمد نض: بني بمدينة تنبكتو، وقد جدد بناءه القاضي العاقب، ووسعه سنة **(976هـ)**.

– مسجد التواتيين: بناه محمد بن علي الذي قدم إلى مدينة توات سنة **(920هـ/1514م)** مع جماعة من التواتيين، وتولى فيه التدريس عدد من الأئمة من بينهم: محمود بن محمد الزعراني التنبكتي.

– مسجد أسقيا محمد بأقدز: تم بناؤه من طرف أسقيا الحاج محمد بمدينة أقدز.[4]

– مسجد محمد الفزاني: بني هذا المسجد في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي من طرف التاجر الليبي محمد الفزاني، نسبة إلى بلدة فزان وقد كانت وظيفة هذا المسجد العلم والعبادة، وقد تميز هذا المسجد عن سابقيه من المساجد بشكله الهندسي الداخلي.

– مسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي: شيده العالم الفقيه المغيلي بمدينة أقدز عندما استوطن بها، ومكث قرابة العشرين سنة في التدريس والإفتاء، وكان يلقي فيه الدروس على الطلبة السودانيين وأحيانا كان يحضر ملوك السودان هذه الدروس. وقد أشاد الكثير من المؤرخين بمساجد تنبكتو التي تميزت بمميزات معمارية راقية، وهناك مساجد أخرى عديدة بنيت من قبل الأسقيا داود في عدد من المقاطعات، وأطلق عليها "لبنة"، حيث أرسل

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 195.

2– مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية العالمية، المرجع السابق، ص 871.

3– قال عنه صاحب فتح الشكور هو: « محمد بن أحمد بن القاضي محمد بن بكر بغيغ الونكري... نظم أم البراهن نظما حسنا بديعا... ولم أقف على تاريخ وفاته ولكنه كان حيا عام 1040هـ... » ينظر الولاتي أبو عبد الله: المصدر السابق، ص ص 108 – 109.

4– أقدز: مدينة تأسست في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ينظر الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1999، ص 118.

إلى كل من يشيد مسجدا لبنة، وأمر بأن تلحق بالمسجد محارب تكسى برداء أحمر وسجاد يوضع على المنبر.[1]

وما نستقيه من كلام السعدي (**ت 1066هـ/ 1653م**) وابن بطوطة (**ت779هـ/1377م**)، أن الملوك كانوا إذا أسلموا يشيّدون المساجد،[2]

لعبت هذه المساجد دورا هاما في تطور وازدهار الحركة الفكرية والثقافية في بلاد السودان الغربي فتخرج منها قضاة وعلماء وفقهاء ومؤرخون وأدباء، أمثال علماء أسرة كعت، علماء أسرة أقيت العالم الفقيه المؤرخ أحمد بابا التمبكتي (**ت1036هـ**)، والمؤرخ الفقيه القاضي محمود كعت وغيرهم، وإلى جانب المساجد كانت هناك مؤسسات أخرى كان لها دور فعال في تعليم الناس، ألا وهي الكتاتيب، فما الدور الذي لعبته في الحياة الفكرية في السودان الغربي؟

– الكتاتيب: عملت الكتاتيب على تهيئة الطلاب للمرحلة الثانية، حيث تولت تعليم الصبية وتحفيظهم القرآن ومبادئ اللغة العربية والفرائض والخط.[3]

ولقد كانت هذه الأخيرة منتشرة بشكل واسع في جميع المدن والقرى وغالبا ما يتخذون دوراً صغيرة ملازمة للمساجد كتاتيب.[4]

ويقول ابن بطوطة (**ت 779هـ/1377م**) في هذا الشأن: «... ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهو يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه، ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون، فقلت له ألا تسرحهم؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن...».[5]

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص ص 197– 198.

2– عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإعلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، دط، المؤسسة الوطنية للقنوات المطبعية، الجزائر، 1988، ص 25.

3– عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 142.

4– نعيم قداح: المرجع السابق ص 145.

5– ابن بطوطة: المصدر السابق،265/4.

– المدارس: وهي مرحلة متقدمة من التعليم، والتي تستغرق مدتها عشر سنوات كاملة، اهتم أهل السودان الغربي ببناء المدارس ومراكز التعليم مما يدل على انفتاح التعليم، وكان ذلك بارزا في القرن الرابع عشر الميلادي.[1] وارتبطت هذه المدارس في أول الأمر بالمساجد، لكن فيما بعد ألحقت بالزوايا والرباطات، فأضحت كل زاوية ملحقة بمدرسة.[2]

كانت تلك المدارس تعبيرا عن الإشعاع العلمي النابع من الحواضر العلمية، كولاَّته، وكومبي صالح، وجني، وغاو. فتمبكتو مثلا اشتهرت فيها مدرسة تم بناؤها سنة **(1325م)**، حاولت من خلالها أن تقتدي بتلمسان وفاس والأزهر في الأساليب التعليمية.[3]

عمل أهل السودان الغربي على محاكاة المغرب الأوسط في إنشاء المدارس، وصار النموذج المغربي في طريقة التدريس هو الذي يسود مدارس السودان الغربي، وهذا الأمر ليس بدعا بحكم التواصل والاحتكاك بين السودانيين وعلماء المغرب الأوسط، عن طريق ارتحال علماء المغرب الأوسط إلى السودان الغربي، واشتغالهم بتعليم السودانيين أصناف العلوم، أو قيام السودانيين أنفسهم بالذهاب إلى بلاد المغرب الأوسط وغيره من أقطار المغرب والتلقي من علماء المغرب ومجالستهم والأخذ عنهم.

–الزوايا: لقد ساهم هذا النوع من المؤسسات في نشر الثقافة الإسلامية في بلاد السودان الغربي، ولقد مثلت الزوايا مركز إشعاع حضاري، والتي كان لها نفس الدور الذي تقوم به المساجد والمدارس في نشر العلم والتربية. هذه الأخيرة أنشأها رجال الطرق الصوفية الذين عملوا على نشر الإسلام في المواطن والأقطار البعيدة عبر الأقاليم الصحراوية والممالك السودانية الوثنية، ولقد وصلت إلى السودان الغربي عن طريق

---

1– بودواية مبخوت: أعلام السودان الغربي ما بين القرنين التاسع والعاشر الهجري، حولية المؤرخ: ع 06، اتحاد المؤرخين الجزائريين، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، جويلية، 2005، ص ص 180–181.

2– نعيم قداح: المرجع السابق، ص ص 157–159.

3– شوقي عطا الله الجمل: الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988، ص 66.

علماء توات الذين اشتهروا بكثرة بنائهم للزوايا، فكانت هذه الزوايا منارة للعبادة والتعليم، ومراكز إيواء الطلبة ونزول المسافرين، ومساعدة الفقراء وأبناء السبيل.

وقد كان لزوايا توات فضل على السودان الغربي، إذ قامت بدور علمي صدر من مشايخها الذين خرجوا الطلاب، وسيّروا أهل الدعوة لجنوب الصحراء، ناشرين بذلك الطرق الصوفية التي تعددت بتعدد الزوايا في إقليم توات. ولعل من أبرز العلماء والمشايخ الذين ارتفع ذكرهم في التاريخ، وتقدم جهدهم في الدعوة والجهاد الشيخ عبد الكريم المغيلي(**ت 909هـ/ 1503م**) الذي أسس زاوية بمنطقة توات.

كما كان لتجار توات وفقهائها دور وذلك لأن معظم الزوايا القادرية والتيجانية التي أقيمت بالمدن السودانية، تنتمي إلى النشاط التجاري لتجار التواتيين الذين كان حرصهم شديداً على نشر تعاليم طرقهم الدينية.[1]

– المكتبات: كانت بتمبكتو مكتبة ضخمة يلتقي فيها العلماء من مختلف مناطق بلاد السودان الغربي، وقد وجدت مكتبات في المساجد.[2] وكان لأهل السودان الغربي شغف بالكتب واقتنائها، إلى حدّ أنّ الأثرياء والمقتدرين كانوا يشترون كميات كبيرة من الكتب الدينية، والفقهية ويحتفظون بها ويتوارثونها كابرا عن كابر افتخارا وإجلالا وحبا للعلم، وبذلك ترسخ معنى الكتاب، وظهرت المكتبات المنزلية، في حين أدرك طلاب العلم قيمة الاطلاع في اكتساب المعرفة وتحصيلها، وربما عجزوا عن شراء الكتب ليلجؤوا للاستعارة من أساتذتهم، كما كان الأساتذة يستعيرون من بعضهم البعض[3].

ومما يستنتج فإنّ بلاد السودان الغربي تهيّأت فيها البنية التي قامت بتنوير الحركة الفكرية والثقافية، متمثلة في مؤسسات تعليمية وثقافية ودينية متعددة، اختلفت في نشاطاتها

---

1– توجد العديد من الطرق الصوفية ببلاد السودان الغربي منها القادرية والتجانية وأخرى فرعية مثل المريدية والشريفية. ينظر: أحمد شلبي: المرجع السابق، 214/6.

2– أحمد شلبي: المرجع السابق، 6/ 235–236.

3 – عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار أمين، ط1، مصر، 2000م، ص 28.

التربوية، وتوحدت في غاياتها التي اجتمعت على تنمية الفرد السوداني، والارتقاء به نحو القيم السامية لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

## 2- استقطاب سلاطين السودان الغربي للعلماء وتشجيعهم:

ظهر اهتمام سلاطين السودان الغربي بالعلم والعلماء جليا، فالسياقات التاريخية تكشف عن مواقف السلاطين من العلم والعلماء، ومن ذلك ما كان من هؤلاء الملوك قيامهم بإهداء الكتب والأموال إلى من يطلبها من العلماء، إضافة إلى حرصهم على توفير وسائل التعليم واكتساب العلوم، فقد كان الملك أسقيا داود ملك إمبراطورية سنغاي يعين أشخاصا من الكتّاب الذين يقومون بنسخ المخطوطات والكتب، ويوزعونها على العلماء والطلبة مجّانا، وكان أول ملك أنشأ مكتبة عامة للمطالعة في هذا الجزء من العالم1.

وأبدى الحكام في السودان الغربي نزوعا لتشجيع العلماء وجلبهم من مختلف الأقطار الإسلامية، بما فيهم علماء المغرب الأوسط، فقد شجع ملوك مالي وسنغاي على دعوة العلماء من المغرب الأوسط والأدنى والأقصى، وحتى من المشرق، وذلك لتعلقهم بالإسلام ورغبتهم في الاستزادة من العلوم، فكانوا يولونهم القضاء، ليفصلوا في القضايا وفق الشريعة الإسلامية، على مذهب مالك، كما كانوا يقربونهم إليهم كمستشارين.2

وقد حدث أنّ السلطان منسى موسى استقدم علماء بارزين من العالم الإسلامي، وخصص لهم رواتب مُجزية، وانسحب الإجراء نفسه على العلماء المحليين، في مقابل هذا التشجيع نجد السلوك ذاته عند ملوك سنغاي من الأسيقيين الذين جلبوا العلماء وقدروا الأدباء، وعملوا على جمع الكتب وشرائها مهما كانت أثمانها.[3]

وقد ترتب على تشجيع الحكام للعلم والعلماء أنْ توافد عدد من العلماء على بلاد السودان الغربي، خاصة المراكز الثقافية، على اختلاف الأقطار التي انحدروا منها. مع

---

1 – عثمان برايما باري: المصدر السابق ص29.

2– لطيفة بشاري: إسهامات التلمسانيون في المجالين الاقتصادي والديني بالسودان الغربي، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان، أيام 3–4–5 أكتوبر 2011، كتاب تلمسان الإسلامية عن التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج2، دط، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان،2011، ص ص 79–80.

3– عمار هلال: المرجع السابق، ص77.

وجود حضور لافت لعلماء المغرب الأوسط الذين اتخذوا من حواضر السودان الغربي منابر للعلم وبسط المعارف والدعوة إلى الله.[1]

كان لازدهار الحركة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط روافد بشرية ومادية، جعلت منه يصل إلى مستوى القطبية الفكرية والثقافية، وهذا ما تجسّد في حواضره خاصّة مدينة تلمسان.

كلّ ذلك شكّل فيضا حضاريا توسّع مدُّه ليصل إلى السودان الغربي، حيث وُجِدت الحاضنة والبيئة التي نمت فيها بذور التحضُّر، لتبرز حواضر في بلاد السودان الغربي مثّلت النظير الحضاري لما كان في المغرب الأوسط.

ومن خلال تعقبنا للعوامل المؤدية للاتصال الفكري والثقافي بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، فإنّنا نجد أنّ المغرب الأوسط كان مُؤثِّرا بما أوجده من رقيٍّ فكري وثقافي، والسودان الغربي متأثِّرٌ بما هيّأه من ظروف ومناخ لاستقبال الوافد الفكري والثقافي، ليُكَوِّن فيما بعد قاعدة فكرية وثقافية ينطلق منها في بناء شخصية الفرد المنتمي لبلاد السودان الغربي المتمثّل للفكر والثقافة الإسلاميين.

1– شوقي عطا الله الجمل، وعبد الرزاق إبراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا، المرجع السابق، ص 117.

# الفصل الثالث

# تجليات التأثير

# الفكري والثقافي للمغرب

# الأوسط في السودان الغربي

## أولا- العلوم

1- العلوم الدينية (النقلية)

2- العلوم اللسانية

3- العلوم العقلية

## ثانيا- مساهمة الإمام المغيلي في النهضة الفكرية والثقافية للسودان الغربي

كان للتواصل الفكري والثقافي بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ثمراته، فعملية التواصل لم تكن لتمرّ دون انعكاسات على الطرفين.

وباعتبار أنّ المغرب الأوسط كان متفوّقا حضاريا على السودان الغربي فإنّه يمثّل قوة الحضارة بما أتيح له من عوامل القوة التي مكّنته من التّأثير في السودان الغربي، ولعل هذا التأثير كان له تجلّياته على مناحي الحياة في السودان الغربي، ففي الجانب الفكري والثقافي تكوّنت تراكمات أفرزتها العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، كما أنّ لعلماء المغرب الأوسط اليد العليا في صناعة المشهد الفكري والثقافي في السودان الغربي.

وبناء على ذلك نتساءل عن تجلّيات التّأثير الفكري والثقافي للمغرب الأوسط في السودان الغربي.

**أولا – العلوم:**

**1 – العلوم الدينية (النقلية):**

ولّد الإسلام دافعية فكرية وعلمية لدى أهل السودان الغربي كغيرهم من الأمم، وأصبح للإسلام مكانته في الأوساط السودانية مما جعلهم يجتهدون في التعرف لمبادئه وتعاليمه، ولم يكن من بدٍّ في فهم الدين إلا عن طريق تعلم العلوم الشرعية، فأقبل طلبة العلم على تحصيلها، وفي مقدمتها:

– الفقه: عرفت المدارس وأماكن العبادة في تاريخ بلاد السودان الغربي انتشار كتب الفقه المالكي، مثل مختصر خليل، وجامع المعيار، وتحفة الحكام، ومختصر الفروع والمدونة، والرسالة وكتاب الموطأ.

وقد ذكر أحمد بابا التبكتي (ت 1036هـ) أنه درس على أستاذه بغيغ قائلا: «... قرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه، أما خليل فمرارا عديدة... وحضرته كثيرا في الملتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاثا...

وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا... وكثيرا من تحفة الحكام لابن عاصم في الأحكام مع شرح...».[1]

– التفسير: درس طلاب السودان الغربي التفسير على أيدي علماء المغرب الأوسط والإسلامي عامة. ومن المؤلفات التي كانت تدرّس في هذا المجال البدر المنير في علوم التفسير تأويلي السور الأولى من القرآن للعالم التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي **(ت909هـ/ 1503م)**.

– **الحديث:** درسوا عدة مؤلفات منها علوم السنة ومغني النيل، وشرح مختصر خليل، ومفتاح النظر في علوم الحديث لمحمد بن عبد الكريم المغيلي **(ت 909هـ/ 1503م)**.[2]

## 2 – العلوم اللّسانية:

للغة العربية أهميتها من حيث هي لغة الوحي، ولا يتأتّى فهمه على مراد الله إلا إذا تمكّن المسلم من ناصية اللغة، وعلى اعتبار أنّ لسان أهل السودان الغربي ليس لسانا عربيا، كان لزاما عليهم الأخذ بأسباب اللغة وتعلّمها لكي يتمكنوا من تلاوة القرآن، وتدبر معانيه وتلقي العلوم الدينية على الوجه الحسن.

واللغة العربية رديف للإسلام، لذلك انتشرت بانتشاره في بلاد السودان الغربي. ويذكر ابن بطوطة **(ت 779هـ/1377م)** أنّ أهل البلد من السودانيين حريصون على تعلم لغة القرآن من أجل فهمه وحفظه.[3] وهذا دليل على الرغبة التي كانت تحذو السودانيين في طلب اللغة العربية وعلومها.

---

1– أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 602.

2– أحمد أبو الصافي جعفري: حوار الإمام المغيلي (ت 909هـ/ 1503م) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، كتاب تاريخ توات (أبحاث في التراث)، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2008، ص 05. ينظر: التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 577–578.

3– ابن بطوطة **(ت 779هـ/1377م)**: المصدر السابق، ص 697.

ومما يُذكر أن السلطان منسى موسى نفسه كان يجيد اللغة العربية ويكتب بها رسائله.[1] وانتشرت اللغة العربية بين السكان في الحواضر والمحطات التجارية، وكانت الصلاة وقراءة القرآن باللغة العربية، كما ساعدت عوامل على تمدد العربية وتوسع استعمالها، وأولها وجود مدرسين من أصول مغربية انتموا إلى البيئة العربية، استطاعوا توصيل أصول وقواعد اللغة على هيئتها الأولى، حيث درّس العديد منهم في بلاد السودان ومنهم علماء المغرب الأوسط.

وقد ذكرت لنا المصادر بعضا منهم عملوا بالتدريس بمالي وغاو بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، مثل الشيخ اللبان وابنه محمد والعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي....[2]

وكان الصبي عندما يصل إلى السابعة أو ما دونها، يعهد به والده إلى معلمي الكتاتيب لتعليمه، وتلقينه المبادئ الأساسية في القراءة والكتابة باللغة العربية، وتحفيظه القرآن وتدريبه على الصلوات الخمس، وكانت الكتابة على الألواح الخشبية، ويستمر هذا تحت مراقبة المعلم حتى يختم القرآن حفظا وكتابة، كما يتعلم في هذه المرحلة قسطا مهما من قواعد اللغة العربية ونحوها، وهذه الطريقة هي متشابهة إلى حد كبير مع الطريقة المتبعة في المغرب الأوسط والشمال الإفريقي.[3]

فكانت اللغة العربية شائعة في التعامل التجاري، حيث كان التجار المغاربة يستعملون اللغة العربية في الأسواق عند تبايعهم مع سكان بلاد السودان الغربي.

وفي البداية كان التعامل باللغة العربية محدودا، إذ اقتصرت على المتبايعين، حيث تعلمها التجار المحليون وقاموا بنشرها شيئا فشيئا أثناء الممارسة اليومية في الأسواق وتسربت تلك الألفاظ إلى اللغات المحلية فأصبحت جزءا منها، فالهوسا مثلا استعملوا

---

1- العمري بن فضل الله: المصدر السابق، 122/4 وما بعدها.

2- ابن بطوطة **(ت779هـ/1377م):** المصدر السابق، ص ص696-697. ينظر: لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص82.

3- السعدي: المصدر السابق، 29/1.

كلمات السرج والحرير والزعفران واللجام والقلم، وكل هذه السلع كان تجار تلمسان يصدّرونها لبلاد السودان الغربي.[1]

فالبحوث الفيلولوجية واللسانية تبين مدى صلة اللغات الإفريقية باللغة العربية؛ إذ تعتبر لغة أمٍّ لعدد كبير من الشعوب الإفريقية، كما تعتبر لغة اتصال بين العديد من القبائل الإفريقية التي لازالت تحتفظ بلغتها الخاصة، ففي يوغندا وكينيا وجنوب السودان تسود لغة تعرف بـ"عربي جوبا" كل مفرداتها عربية، غير أنّ طريقة استخدامها لا تلتزم قواعد العربية، فضلا عن التحريف في طريقة نطق واستخدام المفردات وهي اللغة السائدة عند القبائل الاستوائية والنوبة.

أمّا صلة اللغة العربية بلغات الفولاني والصومالية والسواحلية والأمهرية وغيرها، فهي صلات وثيقة جدّا، فالسواحلية استعارت مجموعة من المفردات العربية، يقدّرها العرب السواحليون بحوالي 75% من مفردات السواحلي. وفي مجال الدّين فإنّ 90% من المصطلحات مستعارة من اللغة العربية.

وقد ظلّ الحرف العربي هو الأساس الذي كُتبت به معظم اللغات الإفريقية، فالسواحلية والصومالية والفولانية والهوسا ظلّت حتى عهد قريب تكتب بالحرف العربي، وهناك مخطوطات عديدة مكتوبة بهذه اللغات محفوظة في عدد من خزانات الكتب في البلاد الإفريقية. وكانت اللغة العربية هي لغة الحكم والإدارة في معظم الدول الإفريقية. فالمكاتبات الرسمية في دول مثل: كانم، وودّاي، وسكوتو، ومالي، وغانة، وغيرها كانت جميعها تكتب باللغة العربية حتى سقوط هذه الدويلات بسبب الحملة الاستعمارية الجائرة على إفريقيا.2

---

1– لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص ص 82–83.

2– إبراهيم محمد أحمد بلولة: الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، مجلة دراسات دعوية، ع 9، فبراير 2005م، ص 82–83.

فكان من الطبيعي أن تبرز اللغة العربية على بقية اللغات خاصة بعد اعتناق السودانيين للإسلام، فهي لغة الوحي التي يُقرأ بها القرآن وتُؤدّى بها الصّلاة، والتي ظهرت بها المؤلفات والكتب وشروح الفقه والمنطق واللغة والنحو والعروض والتاريخ، وهذا ما يؤكّده السعدي (**ت 1066هـ/ 1653م**) الذي ذكر أسماء عديدة من علماء وفقهاء ولغويين سودانيين منهم: أبو عبد الله أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي بن أندغ محمد إمام مسجد سنكري، وهو شهير في علوم اللغة العربية، وكذلك أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب، وهو عالم فقيه ولغوي ونحوي متمكن في علوم الأدب والتفاسير وغيرها....[1]

وقد ذكر توماس أرنولد قوله: «... بلغت اللغة العربية حدا يفوق الوصف، بل إنها أصبحت لغة التخاطب بين بعض قبائل القارة، وهي إلى ذلك لغة الشريعة المكتوبة وهذا تقدم للحضارة الإفريقية...».[2]

وقد استعمل السودانيون عدة أنواع من الخط العربي منها الفارسي والخط المغربي، وهذا أكبر مظهر عربي في إفريقيا، وهو ذلك الحرف الذي كُتب به التراث الإفريقي. ليلعب هذا الحرف أكبر دور في الحفاظ على اللغات الإفريقية الأخرى بكيانها، إذ به تمت ترجمة أفكار ومعارف هذه اللغات، وهناك نحو ثلاثين لغة إفريقية مكتوبة بالحرف العربي وبقي كل ذلك بجهد الإفريقيين أنفسهم وإصرارهم بانتمائهم إلى العروبة والإسلام.[3]

فكان للإسلام الفضل في نقل اللغة العربية ومختلف العلوم إلى السودان الغربي، بالإضافة إلى جهود العلماء والدعاة الذين نذروا أنفسهم لنشر تعاليم الإسلام، حيث تصدروا حلقات العلم في المساجد والمراكز الثقافية، وأوصلوا بذلك اللسان والخط العربي

---

1- السعدي: المصدر السابق،1/ 29.

2- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، تر حسن إبراهيم حسن، القاهرة،1957م، ص 398.

3- محمد عبد الرحمان الباشا: السمات المشتركة بين الثقافة العربية والإفريقية، فرع المركز العالمي للدراسات والأبحاث، الدار البيضاء، دت، ص07.

إلى هذه البلاد، فاللغة كانت الوسيلة لفهم تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي نزل بها. ولا شك أن علماء المغرب الأوسط، كغيرهم من العلماء المغاربة كان لهم دور في هذا الشأن.

وانتشر بين أهل السودان الغربي تعليم علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض، واشتهرت بينهم المصنفات والمتون، وتداولوا كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك وشرح الكافية في علم النحو، ولامية الأفعال، وتلخيص المفتاح وشرحه، وهذه المؤلفات هي نفسها التي كان يؤخذ منها علم اللغة في البلاد الإسلامية الأخرى.

واستطاعت نخبة من السودانيين أن تصل إلى مرحلة التأليف والتصنيف وتعليم اللغة، فهُم من تتلمذ وأخذ عن علماء المغرب الأوسط، وممن كان له باع في علوم العربية نذكر:

- أحمد بن عمر بن محمد أقيت
- أباعبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكتي
- محمود بن عمر
- أبا حفص عمر بن أحمد أقيت
- أحمد بابا التنبكتي **(ت 1036هـ)**

وللأدب والشعر حظ عند أهل السودان، فقد تأثّروا بما أنتجه أهل المغرب الأوسط من أدب سواء كان نثرا أو شعرا، خاصة شعراء تلمسان، ومما يؤكّد ذلك التّأثر قول الهادي مبروك الدالي: « والدارس للتراث الإفريقي... فلا نلمس فرقًا كثيرا في الأدب... فالإيقاع واحد والكلمات تحمل نفس المضمون، وإن اختلفت في الألفاظ... والذي يتغنى به الشاعر المغربي يتغنى به شاعر تمبكتو وجاو وجني وأقدز وكانو وبرنو... »[1]. ويبدو هذا التّأثر أمرا طبيعيا، مع وجود عامل الانجذاب من قبل أهل السودان الغربي للغة العربية وآدابها.

1 – الهادي مبروك الدالي: آفاق لأدب إفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1،دار حنين للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص28

وفي ميدان الشعر نجد غرضين برزا على الأغراض الأخرى هما المدح والرثاء، واشتهر من الشعراء السودانيين الشاعر المختار بن القاضي أندغ محمد، وله عدة قصائد من بينها قصيدة يمدح فيها السوقيين قائلا:

**جزى الله أهل السوق عنا بخيـــره  فما حسدوا فضلا وما نطقوا جهرا**

**فـــإنهم ذاقـــوا عســـيلة علمهـــم  فأورثهم فضـــلا وأعقـــبهم ذخـــرا**

وكذلك الفقيه المختار بن أبداه يقول مادحا أحمد بابا التبكتي بقوله:

**حسبي من آل الشيخ بابا أحمد  الطيـــــب المحبـــــب المحمـــــد**

**الفاضـــل المبـــارك المـــود  الطـــاهر الحلاحـــل الزيـــد الجـــد**

أما من قصائد الرثاء نجد مرثية الشيخ سيدي يحي التادلي للفقيه محمود بن محمد الكابري حيث قال فيها:

**تذكر فـــي التـــذكار جـــل فوائـــد  وفي طيـــه ورد علـــى خيـــر وارد**

**ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا  وسفر ذوي الأفكار أخطـــى بزائـــد**

إلى آخر الأبيات ثم يختمها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[1].

أما فيما يخص الكتابات النثرية التي اتسمت بطابع الأدب وانتمت إلى مجالات مختلفة مثل فن التراجم وكتابة التاريخ ورواية الأخبار والرسائل الديوانية التي كانت تصدر عن مراسلات الملوك وتدخل ضمن العلاقات الدبلوماسية، نجد أن علماء السودان الغربي لم يهملوا هذا الجانب، وألّفوا فيه مؤلفات عديدة منها ما ألّفه العلامة أحمد بابا التنبكتي **(ت 1036هـ)** في التراجم بعنوان: "نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وكفاية المحتاج لمعرفة من لبس الديباج هو مختصر لنيل الابتهاج". ومن بين كتب التاريخ ما ألفه بابا كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين بعنوان: "الحسان في أخبار بعض ملوك السودان"، و"تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان" لمجهول، و"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس" وذكر وقائع تكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد عن الأحرار.[2]

---

1 – بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص209– 210.

2– بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص ص 208–209

كما استفاد أهل السودان الغربي من كتابات علماء المغرب الأوسط لاسيما الرسائل، ومما يطالعنا في هذا الباب: رسائل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (**ت 909هـ/ 1503م**) مع العديد من ملوك السودان الغربي، كرسالته لأمير كانو أبي عبد الله بن يعقوب والتي سماها "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" والتي افتتحها بقوله: «... وفقك الله للتقوى وعصمك من نزغ الهوى، فإن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذَبَحَتهُ التقوى، بقطع أوداج الهوى وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى وعليك بتقوى الله ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ (آل عمران: 185).

وسأذكر لك من ذلك جملة مختصرة في ثمانية أبواب...».[1]

وكذلك رسالته مع حاكم سنغاي الأسقيا محمد الكبير إجابة عن أسئلته التي عنوانها "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" والتي تناولت في عمومها الجوانب العقيدية والدينية وحتى الأحوال الاجتماعية.

### 3 – العلوم العقلية:

اهتم أهل السودان الغربي بالعلوم العقلية وتلقّوها عن علماء المغرب الأوسط، ومن تلك العلوم علم الفلك وعلم الكلام وعلم المنطق، وتداولوا شروحاتها وأراجيزها كما أتقنوا حفظها وأضافوا إليها حواشي وشروحا.

– علم الكلام والمنطق: كان لهذين العلمين مكانة عند المسلمين، رغم ما دار عليهما من جدل إلا أنّهما لقيا إقبالا على مستوى التأليف والشرح والتعليم، فهُما من علوم الآلة التي يُتمكّن بها من الاستمساك بالعلوم الأخرى كالعقيدة والفلسفة والخوض في الإلهيات. وغير بعيد عمّا كان يتصوّره علماء المسلمين عن علم الكلام والمنطق، وقف علماء

---

1– محمد بن عبد الكريم المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار ابن حزم بيروت، 1994، ص ص 15 – 16.

السودان الغربي موقف المتعلّم والشارح والحافظ للأصول الكلامية والمنطقية. وفي هذا الشّأن، يذكر التنبكتي (**ت 1036هـ**) ناقلا عن نفسه ما كان بينه وبين شيخه محمد بن محمود التنبكتي المعروف ببغيغ (**ت 1002هـ**) أثناء تتلمذه على يديه:«... لازمته أكثر من عشرين سنة فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل... وختمت عليه تلخيص المفتاح مرتين وبعض الثالث بمختصر السعد وصغرى السنوسي مع شرح الجزيرية، وحضرت عليه الكبرى وشرحها... ورجز المغيلي في المنطق... وبالجملة فهو شيخي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه رحمه الله... »[1]، فالذي يلمح من هذا القول عناية الشيخ بتلميذه وحرص التلميذ على تلقي العلوم من شيخه الذي لازمه فترة عشرين سنة، كما يبين مدى الإجلال الذي يكنّه التلميذ لشيخه، وهذا من الآداب التي تعلمها علماء السودان الغربي في تحصيل العلم عن العلماء وتقديرهم لهم، بل ونقل هذا السلوك إلى طلاب العلم، فليس العلم عندهم يكمن في المعرفة فقط، إنما ارتبط بالآداب والسمت الحسن الذي يحصل من التلميذ تجاه شيخه ومعلمه.

ومن العلماء الذين اشتهروا في هذا المجال إضافة إلى العلوم الأخرى، عمر بن محمد نض (الخطاط) (**ت 1107هـ**) الذي كان مداوما على علم الكلام قراءة ونقلا وتعليما. وحُكي عنه أنه قال:" لو علمت عقيدة من علم الكلام لا أعرفها وفي مصر من يُعلّمها لرحلت إليها أتعلّمها"، وكان هو شيخ علم الكلام في زمنه مُبرّزا فيه يقرأ كتب السنوسي[2] التي

---

1– التنبكتي: المصدر السابق، ص602.

2– السنوسي محمد بن يوسف بن عمر شعيب كان عالما فقيها صالحا أخذ العلم عن نخبة من العلماء في زمانه في مختلف العلوم كعلم الإسطرلاب والأصول والمنطق والفرائض والحساب. من تآليفه شرحه الكبير على الحوفية المسمى المقرب المستوفى وعقيدة التوحيد (العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى) مع شروحها، وشرحه الكبير على الجزيرية، ومختصر الآبي على مسلم، وشرح إيساغوجي في المنطق للبقاعي، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب، وشرح أبيات الإمام الأليري في التصوف، وله شرح عجيب على البخاري، وشرح مشكلات البخاري في كراسين، ومختصر الزركشي على البخاري، وله أيضا شرح جمل الخونجي في المنطق، وشرح مقدمة الجبر والمقابلة لابن الياسمين، وشرح رجز ابن سينا في الطب، وشرح جواهر العلوم المعضد في علم الكلام على طريقة الحكماء وعلق على فرعي ابن الحاجب. توفي سنة 895هـ. ينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص563 وما بعدها.

انتشرت في الأقطار الإسلامية، وأصبحت مرجعا في علم المنطق. وقول الشيخ عمر نض ينمُّ عن الرغبة في تحصيل العلم، وكذا إدراكهم لأهمية تلقيه من مظانّه وينابيعه الأصيلة، لذلك جاء على ذكر مصر لما لها من مكانة علمية إذ بها الأزهر الذي كان قبلة للعلماء من كل فجّ عميق. وما يلحظ أن علماء السودان الغربي، وعلى مر القرون التي كانت تالية لفترة مجيء الشيخ المغيلي (**ت 909هـ/ 1503م**) حيث تناولوا منظومته في المنطق بالحفظ والشرح، وفي هذا الخصوص، يذكر التنبكتي في نيل الابتهاج ترجمة لثلة من العلماء الذين انتهجوا ذلك السبيل، منهم:

أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (**ت 991هـ**) الذي قال عنه أنّه:« كان علاّمة فهامة ذكيّا درّاكا محصّلا متفنّنا محدّثا أصوليا بيانيا منطقيا... شرح منظومة المغيلي شرحا جامعا حسنا،...، وفي الأصول وغيرها، وعلى الصغرى للسنوسي والقرطبية،...»[1].

– علم الفلك: من العلوم التي اهتم بها السودانيون، حيث كان من العلوم التي تدرس. فقد درسوا كتبه ومنها:

الهاشمية في التنجيم ومقدمة الشيخ عبد الرحمان التاجوري وتأليف مكتوب في شهور السنة على حساب العجم لأبي العباس أحمد بن البناء الأزدي. والشيء الملاحظ أن السودانيين لم يولوا أهمية كبرى لتلقين طلابهم العلوم الدقيقة (من جبر، وحساب، وهندسة...).[2]

ومن خلال هذه الصفحات التاريخية التي تعطينا فكرة عن وضعية الفكر والثقافة في أرجاء بلاد السودان الغربي، التي حاول أهلها أن يكون لهم موطئ قدم في النشاط الفكري والثقافي، واستنفذوا لذلك السبل واجتهدوا في تنويع الطرق من حيث الاحتكاك بالعلماء الوافدين من الأقطار الإسلامية وقطر المغرب الأوسط باعتبار الجوار، وكذا توفير المصنفات والمؤلفات لطلاب العلم، والانتقال إلى الحواضر التي ذاع صيتها فكرا وثقافة،

---

1– التنبكتي: المصدر السابق: ص141 وما بعدها.

2– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 212.

وأهمها مدينة تلمسان التي كانت مأوى طلاب السودان الغربي، حيث زاحموا فيها المغاربة بالرُكب، وجالسوا العلماء وأخذوا عنهم مشافهة، وآبوا إلى بلادهم من أجل بدء مرحلة التعليم ونشر ما تلقوه من معارف وبثها في المجتمع السوداني.

وعلى كل حال، فإنّ تلقي أهل السودان للعلم كان عن طريق ارتحال علماء المغرب الأوسط إليهم، أو حدوث العكس بارتحال السودانيين إلى المغرب الأوسط. ويضاف إلى ذلك تطبيقهم لطرق التدريس التي كانت متّبعة في المغرب الأوسط سواء تعلّق الأمر بمراحل التعليم، أو الكتب التي كانت مصادر للمادة العلمية، بدليل تناقلهم لمصنفات اشتهرت في العالم الإسلامي آنذاك. كل ذلك أدى إلى تزايد النشاط الفكري والثقافي الذي ساهم فيه علماء المغرب الأوسط، واضعين بذلك بصماتهم التي أنتجت آثارا علمية أعطت زخما للحياة الفكرية والثقافية في السودان الغربي، بل تكوّنت نخبة من العلماء السودانيين الذين حملوا مشعل الإشعاع الحضاري جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا.

وفي سياق تحصيل العلوم نقلية كانت أو عقلية، عمل السودانيون على تدريس ما كان متداولا عند أهل المغرب الإسلامي، وبالضبط التلمسانيون، من متون وشروح وتفاسير ومختصرات شملت القرآن والحديث واللغة والمنطق، وشاع ذلك في حواضر السودان الغربي مثل جني وغاو وتمبكتو وغيرها. ومن بين هذه الكتب: تفسير الجلالين، وموطأ الإمام مالك في الحديث، والفقه، والصحيحان البخاري ومسلم. حيث ذكر السعدي عن العلامة المحدّث أحمد بن الحاج أحمد بن محمد أقيت، أنه كان يدرس الصحيحين في مسجد سنكري،[1] والشفاء للقاضي عياض في السيرة ومدونة سحنون، والرسالة في الفقه المالكي، ومختصر خليل، والمنتقي للباجي، وشرح الموطأ، ومختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه المالكي، ومختصر ابن الحاجب الأصلي في الأصول، وتهذيب البرادعي، والدرر اللوامع لابن بري التازي، والمعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي، وجامع المعيار للونشريسي، والحلل الموشية في ذكر

1– السعدي: المصدر السابق، ص 33.

الأخبار المراكشية، ودلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي، ومدخل ابن الحاج، والبيان والتحصيل لابن رشد، والجامع الصغير للسيوطي، وألفية العراقي في علوم الحديث مع شرحها، وسيرة ابن هشام، والجزائرية للزواوي. ورجز المغيلي الكبرى في المنطق، وشرحه لأحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت، وتحفة الحكام والعباد، وعقائد السنوسي في التوحيد الكبرى والوسطى والصغرى، والخزرجية في العروض بشرح الشريف، والعشرينيات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وحكم ابن عطاء الله مع شروح زروق عليه، والهاشمية في التنجيم مع شرحها، ومقدمة التاجوري، والبسط والتعريف في علم التصريف للمكودي، ولامية ابن المجراد السلوي في الجمل، والمرشد المعين لابن عاشر الفاسي، ولامية الزقاق وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة لأحمد المقري، ومقامات الحريري في الأدب العربي. وألفية الأثر في الحديث، وشرح النقابة في الأصول، والبيان والتصوف، وشرح الكوكب الساطع في نجم جمع الجوامع، وهو في الأصول وشرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد، والشاطبية. [1]

إن هذه المصنفات والتآليف كانت مقررة على طلبة العلم في السودان الغربي والتي انتشرت سريعا في المراكز الثقافية، بفضل سلاطين الممالك السودانية، الذين كان لهم دور كبيرً في اقتناء المؤلفات خاصة المالكية منها، على غرار ما فعله السلطان منسى موسى، وكذلك الطلبة الذين قاموا بالرحلة لطلب العلم في الأقطار الإسلامية، فخرجوا ومعهم المؤلفات والكتب، وكذلك العلماء خاصة المغاربة منهم الذين انتقلوا إلى السودان الغربي للتدريس به، فأحضروا معهم المؤلفات والمصنفات التي قاموا بتدريسها لطلبة العلم بالسودان الغربي.

إذا كانت الطرق الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرن السادس عشر دليل ضعف الحكام، فإن في السودان الغربي كان لها دور كبير في نشر الإسلام والقضاء على

---

1– أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي (ت 884ه/1479م)، صاحب اللامية المشهورة في علم الكلام، عرفت في السودان باسم المنظومة الجزائرية. ينظر: بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 229.

المعتقدات الفاسدة، كعادة وأد الأطفال،[1] والكهانة،[2] والسحر والشعوذة وقراءة الأثر وضرب الرمل واستحضار الأشياء، فقد عملت الطرق الصوفية. على تعليم الناس مبادئ الإسلام وشرائعه السمحاء، التي كان لها دور بارز في السودان الغربي.[3]

1– هي عادة كانت شائعة في المجتمع الإفريقي وذلك لعدة أسباب، فقد يؤد الطفل لأنه ولد بقدميه بدلا من رأسه، أو لأنه ولد ينقص أو يزيد أصبعا عن الأخرى: ينظر بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص 255.

2– الكهانة: هي من العادات التي كانت سائدة في إفريقيا، وأصل هذه العادة هو محاولة الإفريقيين تفسير الغوامض وتحليل الظواهر المحيطة بهم، ينظر عبد الرحمان الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 14.

3– بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص 255.

## ثانيا- مساهمة الإمام المغيلي[1] (ت909هـ/1503م) في النهضة الفكرية والثقافية في السودان الغربي:

شهد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي نبوغ كثير من العلماء الذين كان لهم الفضل في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط، وفي غيره من الأقطار الإسلامية، لكن من أبرزهم الإمام المغيلي الذي تميز بنزعته الإصلاحية والجهادية، وروحه البطولية الشجاعة التي دفعته إلى الترحال إلى السودان الغربي من أجل إصلاح أوضاع المسلمين، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت كانت فيه الرحلة شاقة بل وخطرة.

---

1 – مولد الإمام المغيلي ونشأته: قبل الحديث عن مولده ونشأته يجب أن نشير إلى نسبه حيث تتفق الروايات التاريخية حول النسب الشريف للمغيلي، لكنها تختلف في تعداد أجداده وأسمائهم، فقد جاء في الشجرة الكبرى بأنه محمد بن عبد الكريم المغيلي وكنيته أبو عبد الله وهو محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر محمد بن عبد الكريم المغيلي: مدونة نازلة يهود توات، مج5، دط، تح مقدم مبروك، تق بو عبد الله غلام الله دار القدس العربي، وهران، 2011م، ص 25.

إذن هو محمد بن عبد الكريم المغيلي ولد بقرية مغيلة بضواحي تلمسان، من عائلة راقية النسب ومشهورة بالعلم والدين والشجاعة في الحروب، حتى كان لأحد أجداده شرف المشاركة مع طارق بن زياد في فتح الأندلس، وقد اختلف الباحثون كثيرا في تاريخ ميلاده، واتفقوا على أن وفاته كانت في سنة (ت 909هـ/ 1503م)، ورجح بعضهم (ت 820هـ) لورود ذكرها في تاريخ الوفيات للعلامة ابن القاضي. رحل من تلمسان بعد ما حفظ القرآن إلى بجاية وتبحر بها في العلوم على يد أبي العباس الوغليسي. ينظر محمد بن عبد الكريم المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ط1، تح عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص 11.

غادر تلمسان باتجاه مدينة بجاية، فقد كانت آنذاك مركزا ثقافيا يعجُّ بالطلاب الوافدين إليه من كل جهة، فأدرك بها علماء أجلاّء ومشايخ فضلاء كثيرين، فأخذ عنهم وانتفع بمادة ثريّة من العلوم كالتفسير والحديث والفقه والأصول واللغة العربية من النحو والصّرف، فخرج من مدينة بجاية قاصدا «جزائر بني مزغنة: جمع جزيرة وهي على ضفة البحر بينها وبين بجاية أربعة أيام.... مدينة جليلة قديمة البناء...». ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، 132/2. فنزل عند الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي ليأخذ عنه علوم القرآن والتفسير والحديث وعلم التصوف. ينظر عبد الحميد البكري: مرجع سابق، ص 100. وعندما رأى منه الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي الذكاء في الفقه والشجاعة قربه إليه وزوجه ابنته زينب. خلَّف منها أولاداً وهم سيدي علي وعبد الجبار الذي جعله على إمارة توات، والذي قتل بها(توات)، وله أيضا سيدي عبد الله، وتزوج بامرأة أثناء وجوده بالسودان الغربي بكانو، وخلَّف منها أيضا ثلاثة أولاد وهم: أحمد وعيسى والسيد الأبيض. ينظر علال بوربيق: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، طبعة خاصة، الجزائر، 2013م، ص 41.

وما يميز المغيلي عن غيره سعة علمه وعقليته المنطقية[1]، مما جعله آية في العلم.

---

1– تميز المغيلي بالمنطق على عادة أهل المغرب وجعله من العلوم التي تساعد على فهم المسائل العقدية حيث ألف كتب يوضح من خلالها أهميته بالنسبة لعلم الشريعة، لذا وقع له خلاف في هذه المسألة مع السيوطي (911هـ/1505م) الذي يحرم المنطق كونه علما من علوم الكفار بحيث لا يجوز الاستعانة بعلوم الكفار لفهم علوم الشريعة، وهو بذلك يَسير على هدي بعض علماء المشرق من الفقهاء والمحدثين الذين حرَّموا علم المنطق والاشتغال به، أمثال ابن تيمية والنووي وبن الصلاح... –حيث كان السيوطي (911هـ/1505م) يقتفي آثارهم في تحريم المنطق وخاصة ابن الصلاح الذي أفتى بتحريمه، حيث كان لفتواه أثر بالغ على السيوطي (911هـ/1505م)، ويقول :«... وقد كنت في بادئ الطلب قرأت شيئا في علم المنطق، ثم ألقى الله كراهته في قلبي، وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك، فعوضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم...». ينظر السيوطي (911هـ/1505م): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح علي سامي النشار، ط2، دار النهضة، القاهرة، 1970م، ص 47. فكتب المغيلي للسيوطي قوله:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن للمرء في العلم حجة ... وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعنى إلا عبار ... عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام وهل ترى ... دليلا صحيحا لا يرد لشكله
أرني هداك الله منه قضية ... على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك أبداه كفور وذمة ... رجال وإن أثبت صحة نقله
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فأشني ... به لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم ... وكم عالم بالشرع باح بظله[1]

ينظر التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 578.

فأجابه العلامة السيوطي (911هـ/1505م) بما يلي:

حمدت إله العرش شكرا لفضله ... وأهدي صلاة للنبي وأهله
عجيب لنظم ما سمعت بمثله ... أتاني عن حبر أقر بنبله
تعجبَ مني حين ألفت مبدعا ... كتابا جموحا فيه جم بنقله
أقدر فيه النهي عن علم منطق ... لما قال الأعلام من ذم شكله
وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل ... فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقال فيه فيما يقرر رأيه ... مقالا عجيبا نائيا عن محله
ودع عنك أبداه كفور وبعد ذا ... الحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى ... علوم يهود أو نصارى لأجله
يعزز به علما لديه وأنه ... يعذب تعذيبا يليق بفعله
وتمنع المختار فاروق صحبه ... وقد خط لوحا بعد توراة لأهله
وقد جاء من نهي اتباع لكافر ... وإن كان ذاك الأمر حقا بأصله
أقمت دليلا بالحديث ولم أقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له ... لدي ثناء واعتراف بفضله

ينظر ابن مريم (كان حيا 1025هـ/1611م): البستان، المصدر السابق، ص 257.

حيث أصبح حديث المؤرخين من ذوي عصره ومن تلاهم إلى يومنا هذا[1].

1– من خلال ما تقدم يتضح التحرر الفكري للمغيلي الذي اعتبر أن المنطق من الوسائل المؤدية إلى الحق، فكان يرى بأن الإحاطة بالمنطق تعصم من الوقوع في الخطأ، وهو في هذا يوافق ابن رشد الذي يرى أنه لا حرج في الاستعانة بعلوم الكفار إذا كان علمهم يؤدي إلى الحق أو يعصم الفكر من الخطأ. ينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 578 – 579.

شهدت الفترة التي عاشها المغيلي بروز العديد من العلماء والمفسرين والمؤرخين والأدباء والشعراء، فخالط الكثير واجتمع بهم، وتبادل معهم مجالس العلم، والأدب فمنهم: قاسم بن سعيد العقباني (ت 837ه) محمد بن احمد بن مرزوق (ت 842ه) والعالم الصوفي إبراهيم التازي (ت 866ه)، والفقيه محمد بن يحي التلمساني المعروف بابن الحابك (ت 867ه)، والعلامة محمد بن أبي القاسم بن محمد بن يوسف بن عمرو بن شعيب السنوسي (ت 895ه)، والعلامة أحمد بن زكري التلمساني (ت 899ه)، وابن مرزوق الكفيف (ت 901ه)، والعلامة أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914 ه) وغيرهم، مما جعله يستفيد فائدة عظيمة من علمهم وإرشاداتهم التي سنرى أثرها في دعوته فيما بعد، حتى شبهه الكثير من المؤرخين والمترجمين الذين كتبوا عنه وعن مواقفه وجهاده ودفاعه عن الإسلام الصحيح ومحاربة البدع والمنكرات بشيخ الإسلام ابن تيمية الذي تأثر به وبأفكاره وكتبه ورسائله التي كانت تصل إلى الشطر الغربي من العالم الإسلامي. ينظر يحي بن الطاهر ناعوس: سيرة محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ص 03، مأخوذة من موقع: http://www.alukah.net/culture/0/22525/page consultée le 05/08/2015

لقد تميز المغيلي بمكانته بين علماء عصره، حيث شهد له العديد منهم والمؤرخون، فوصفه التنبكتي بقوله: «... محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني خاتمة المحققين العلامة الفهامة القدوة الصالح السني، أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم، متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين... قام على يهود توات وألزمهم الذّل...». ينظر التنبكتي: نفسه، ص 578.

وقال عنه ابن مريم (كان حيا 1025ه/1611م): «... أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء الذين أولوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض أعدائه... قام على يهود توات وألزمهم الذل والهوان، بل نازلهم وقاتلهم...». ينظر ابن مريم (كان حيا 1025ه/1611م): المصدر السابق، ص 253.

أما العلامة المصري السيوطي (911ه/1505م)، فقد أثنى عليه ونعته بالحبر النبيل وأعترف بفضله من خلال المراسلة التي وقعت بينهما. ووصفه صاحب القول البسيط أنه من أشهر العلماء والأولياء الذين حلوا بتمنطيط فقال بأنه مشهور بالعلوم الظاهرة والولاية الباطنة فهو آية الله في أرضه وحجته في شريعته. ينظر ابن عبد الرحيم المعروف بابن باب حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح فرج محمود خرج، دط، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص 39. أما المؤرخين المتأخرين فقد وصفه عبد الرحمان الجيلالي: «... هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، أحد أعلام، الجزائر وأبطالها الشجعان في فاتحة القرن العاشر الهجري...» ينظر عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982، ص 171. أما مبروك مقدم قال: «... الفقيه الفذ والمجتهد البصير والمصلح المشرّع الحصيف...». ينظر مبروك مقدم: التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، مقال سابق، ص 28. وقال عنه عبد العلي الودغيري: «... أما الإمام محي الدين محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني فكان بحق أكبر داعية إسلامي عرفه الغرب الإفريقي خلال القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجري...». ينظر عبد العلي الودغيري: ملامح من التأثير المغربي في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدد عثمان بن فودي مجلة التاريخ العربي، ع 50، 1996م، منقولة من موقع: ص: 03
http:/www.attarikh-a la rabi.ma/html/a dad 11 parti6.htm page consultée le 31/07/2015

من هنا يتبين لنا أن الإمام الفقيه المغيلي من أبرز علماء المغرب الأوسط، بل الإسلامي في النصف الثاني من القرن 15م. فقد كان له رؤية وفكر إصلاحي ساهم في تفعيل الحياة السياسية والثقافية بتوات والسودان الغربي. وقد ترك العلامة المغيلي العديد من المصنفات في مختلف العلوم الدينية واللغوية، حيث ألف في الفقه والحديث والتصوف والمنطق واللغة والسياسة والنوازل...هذا بالإضافة إلى الرسائل التي كتبها من أجل التغيير والإصلاح فقد كان من مثقفي عصره الناشطين، وكانت له شخصية استطاع بواسطتها التأثير على الناس في السودان فأصبح اسمه مقرونا لديهم بكلمة الإمام. ينظر محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، المصدر السابق، ص ص 9–10.

واشتغل المغيلي بتأليف الرّجال وتأليف الكتب، حتى صار له في كل علم طرف، وتنوعت مصنفاته، ممّا جعل الكثير من المؤرخين يثيرون الكلام حول شخصيته وما خلّفه من آثار إصلاحية بهذه المنطقة[1]، وهذا ما دفعنا للتعريف به وتقصي حركته الإصلاحية وما خلفته من آثار إيجابية في السودان الغربي.

1- لقد كانت حياة المغيلي كلها من أجل إرساء أسس الدين وقواعده وعيناً ساهرة لحماية حدود الإسلام وإعلاء كلمة الدين الحنيف وكان شمسا مشرقة على ظلام أهل البدع والخرافات والكذب على الدين، فقد نعته ابن عساكر بقوله: «الشيخ الفقيه، الصدر الأوحد أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء، شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...». ينظر ابن عساكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب بين مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977م، ص 131.
أما محمد بن محمد مخلوف ذكر بأنه: «... خاتمة الأئمة المحققين، والعلماء العاملين، مع البراعة والتفنن في العلوم والصلاح والدين المتين...». ولقد كانت مؤلفات الإمام المغيلي كثيرة توزعت على مختلف العلوم. ينظر محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دط، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349ه، ص274.
وفي ذلك يقول صاحب لقط الفوائد: «... وهو صاحب التآليف المفيدة، والتصانيف العديدة...» شرح أربعين حديثا، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، إكليل المغني، حاشيه على شرح مغني النبيل في شرح مختصر خليل، إفهام الأنجال في شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب إمناع الأحباب من منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب إيضاح في شرح بيوع الآجال، خليل البدر المنير في علوم التفسير، تأليف في المنهيات، تفسير سورة الفاتحة، تهليل القرآن، تقييد فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، شرح التبيان في علم البيان شرح جمل الخونجي، شرح خطبة المختصر، شرح مختصر تلخيص المفتاح، شرح الوغليسية فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، لب الألباب في شرح رد الفكر إلى الصواب، عمل اليوم والليلة الفتح المبين، فهرست المرويات القصيدة الميمية، القصيدة الدالية في الوعظ والإرشاد، منظومة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والرد على اليهود ومؤيديهم، مغني النيل في شرح مختصر خليل مفتاح النظر في علم الحديث، مقدمة في العربية، مقدمة في المنطق مراجعات بين الشيخ المغيلي والسنوسي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، منظومة منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب مفتاح الكنوز، رسالة في أمور السلطنة، رسالة فيما يجوز للحاكم من ردع الناس عن الحرام، رسالة في علم الكلام، رسالة في الرد على المعتزلة، رسالة من محمد المغيلي إلى أحباب رسول الله عليه السلام حول اليهود، النظم الكامل في علم الميزان المفروض في علم الفروض، فتاوى ونوازل، كتاب في الفقه، الجامع في الأخلاق والآداب، قصائد شعرية المفروض في علم العروض.... ينظر محمد بن عبد الكريم المغيلي: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي (تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي) در وتح علال بوربيق، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، طبعة خاصة، الجزائر، 2013، ص ص 97-184.

فبعد بلوغه النهاية في العلم رحل إلى توات، وهي يومئذ دار علم وإسلام، واستقر بها[1]، ولم يتصدر التدريس حتى توسعت مداركه. وقد أسس زاويته القادرية بتمنطيط[2]، فكان لها صدى عبر مناطق السودان الغربي.

عندما رأى الشيخ المغيلي من يهود توات تجاوزا للحدود الدينية والشرعية، واستعلاء على المسلمين، ولاحظ تساهلا وتسامحا من قبل المسلمين مع اليهود، ورأى تدخل اليهود في إدارة دواليب السلطة، حيث أقدموا على بناء الكنائس، رفض هذا الأمر وهذا السلوك، واستنكر ذلك، وتزعم تيارا رافضا لهذا الوضع، وقام بقيادة حملة عسكرية لطرد اليهود والقضاء على الانحطاط والفساد،[3] فلقي معارضة من بعض العلماء والقضاة في توات، وعلى رأسهم أبو عبد الله العصنوني، قاضي توات الذي قال: «...فقد شغب علينا فيها المغيلي، وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة...»،[4] مما اضطر المغيلي إلى الاتصال بعدد من مشاهير العلماء والفقهاء ورجال الدين بتلمسان، وفاس، وتونس، فكتب في ذلك للحافظ التنسي كتابة مطولة، كما تقدم بصواب رأي المغيلي، ووافقه عليها الإمام السنوسي الذي أجابه: «... من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القاسم بن أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت... السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته وبارك في دينه ودنياه... قد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود أذلهم الله، كنيسة في بلاد الإسلام وحرصكم على هدمها، وتوقف أهل تمنطيط فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء، فبعثتم إلينا

---

1– محمد بن عبد الكريم المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001، ص11.

2– تمنطيط: عاصمة لإقليم توات ومقر لقاضي الجماعة. ينظر: بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص243.

3– بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص ص 244–245.

4– محمد بن عبد الكريم المغيلي: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، المصدر السابق، ص75.

مستنهضين همم العلماء فيه، فلم أرى من وفق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة...».[1]

وممن أجاب في المسألة الرصاع مفتي تونس، وأبو مهدي الماواسني مفتي فاس، وابن زكري مفتي تلمسان، والقاضي أبو زكرياء يحي ابن أبي البركات الغماري وعبد الرحمان بن سبع التلمسانيان.

وقد ذكر الونشريسي «... الحق الأبلج الذي لا شك فيه، ولا محيد عنه أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامية لتلول المغرب الأوسط، المختطة وراء الرمال المتهلبة التي لا تنبت زرعا ولا ضرعا بلاد إسلام باختطاط، لا تقرر للملاعين اليهود أبعدهم الله فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم...».[2]

فحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات، أمر المغيلي أتباعه بهدم كنائس اليهود وهدموها، وأمرهم بقتل من عارضهم دونها،[3] فتطهرت توات وتمنطيط نهائيا من اليهود بل وطاردهم ولاحقهم حتى تمبوكتو، وهذا ما كلفه مقتل ابنه عبد الجبار المغيلي، الذي قتله اليهود أثناء غيابه في مهمة دعوية ببلاد السودان الغربي.

عندما سمع بمقتل ابنه، اشتد غضبه، وطلب من سلطان التكرور القبض على جماعة من التواتيين بكاغو فقبض عليهم، وأنكر عليه الفقيه أبو المحاسن محمود بن عمر إساءته لهؤلاء الأبرياء، فرجع عن ذلك وأمر بإطلاقهم. ورحل لتوات واستقر بها إلى أن أدركته المنية سنة **(909هـ/1505م)**.[4]

لقد أراد المغيلي تصحيح العقيدة الإسلامية التي أخذ الفساد يدب فيها، ليصبح أحد أهم الروابط الفكرية والثقافية التي ربطت المغرب الأوسط بالسودان الغربي عن طريق منطقة

---

1- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص 576-577.

2- أحمد الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ج2، تح مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 215.

3- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 577.

4- بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 245.

توات، فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح هذا الإقليم مركزا هاما لنشر الفكر والثقافة الإسلامية بالمدن السودانية القريبة من الأطراف الجنوبية للصحراء. وكان قد سبق المغيلي بهذه الديار فقهاء وعلماء من بينهم:

الشيخ الفقيه أبو الأنوار ابن عبد الكريم التنلاني الذي استمر فترة طويلة يعمل بين الإفتاء والتدريس بتمبكتو، والشيخ سعيد البكري، والشيخ محمد بن أحمد، والشيخ النجار.[1]

وذكر التنبكتي في نيل الابتهاج مسار المغيلي في أرض السودان الغربي قائلا: « ثم دخل بلاد أمير ودخل بلاد تكده، واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به، ثم دخل بلاد كنو وكشن من بلاد السودان، واجتمع بصاحب كنو واستفاد منه، وكتب رسالة في أمور السلطة... وقدر لهم أحكام الشرع وقواعده... وصل إلى بلدة كاغو واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف، وألف له تآليفا أجابه فيها عن مسائل عدة...».[2]

لقد لخص التنبكتي رحلة المغيلي إلى بلاد السودان الغربي في هذا القول، وسنحاول أن نتتبع رحلته إلى بلاد السودان الغربي، ونورد أهم الأدوار التي قام بها. إذ رحل إلى أكدز من بلاد كانم فأقام بها، واتصل بحكّامها، وقدم لهم النصح كعادته، ومكث بها مدة تقارب السنة، فأنشأ خلالها مسجدا عرف بمسجد الكرامة، حيث أخذ يدرّس أهالي المنطقة. ومن بين الذين حضروا دروسه: الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي، المعروف بأيد أحمد والعاقب الأنصمني كما ذكرنا سالفا.[3]

وبعد أكدز أو أقدز، انتقل إلى الهوسا أين واصل نشر فكره الإصلاحي، واتصل المغيلي بأمير كانو[4] محمد زنقا بن يعقوب الذي قربه إليه. فكتب له رسالة سماها " تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" وهي عبارة عن مجموعة من النصائح والأحكام الشرعية فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام، وهي تشبه الوصية في إيجازها

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 249.

2– التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 577.

3– عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، المرجع السابق، ص 75.

4– كنو أو كانو إقليم شرقي النيجر يضم عدة شعوب، وفي وسط هذا الإقليم مدينة استمد منها اسمه، ينظر الوزان: المصدر السابق، 2 /173.

وشمولها التي بعث بها عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما. كما كتب له مجموعة أخرى في شؤون الإمارة وتنظيم الدولة وسماها: "ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة" وهي تشبه وصية الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز في وصف الإمام العادل.[1]

من هنا يتضح المنهج الذي اتبعه المغيلي ودوره الإصلاحي، حيث كان حريصا على نشر الشرع الإسلامي بين هذه الشعوب وحكامها. بهذا استطاع بشخصيته المميزة وعلمه، التأثير في أهل بلاد السودان الغربي، وبعدما لاحظ إقبال الناس عليه قام ببناء المدرسة المعروفة في مدينة كانو بمدرسة الشيخ المغيلي، وقام بالتدريس فيها ونشر فكره وقد قصدها الطلبة من جهات مختلفة من إفريقيا وغيرها، فتخرج على يده مشايخ يعدّون بالآلاف، وهم يدينون له بالولاء الفكري والأدبي، ويعترفون بفضائله على مجتمعاتهم السودانية الإسلامية، وقد اتخذه حاكم كانو، مستشارا له، وولاه القضاء والإفتاء في الفترة التي قضاها ببلاده.[2] وبعدما أنهى المغيلي دوره التعليمي والإصلاحي في بلاد كانو توجه إلى كشن[3] التي تولى الإمامة والقضاء بها، فقام بنفس ما قام به في كانو من تعليم وإرشاد وإصلاح، ثم انتقل إلى بلاد التكرور، والتقى بحاكم سنغاي محمد الكبير بغاو عاصمة الدولة، فأكرمه وكتب له سبعة أسئلة، فأجابه المغيلي عنها.[4]

وقد أشار ابن مريم (**كان حيا 1025هـ/1611م**) إلى هذا بقوله: «... ثم ارتحل إلى بلاد التكرور، فوصل إلى بلاد كانو واجتمع بسلطانها أسكيا الحاج محمد، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألف له تأليفا، فأجابه فيها عن مسائل...».[5]

---

1- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 250.

2- مقدم مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره، المرجع السابق، ص 31.

3- كشن: كاتيسنا هي مملكة مجاورة لكانو من جهة الشرق. ينظر الوزان: المصدر السابق، 173/2-174.

4- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية، المرجع السابق، ص 81.

5- ابن مريم (كان حيا 1025هـ/1611م): المصدر السابق، ص 255.

تضمنت أجوبة المغيلي الجوانب العقائدية والدينية والأحوال الاجتماعية والسياسية لبلاد السودان، ولم يترك شيئا إلا تطرق إليه بالتوضيح والتفصيل. وتتمثل أهميتها أنها تلقي الأضواء على الوضع الاجتماعي والسياسي بدولة سنغاي أثناء عهد الأسقيين،[1] وبعد غاو، انتقل الإمام المغيلي إلى تمبكتو، حيث التقى بسيدي عمر الكنتي بن علي، فلازمه وتبعه في كل جولاته الداعية إلى نشر الدين الإسلامي وتصحيح العقيدة الإسلامية، وسافر معه نحو الشرق والتقيا بالعلامة الجليل السيوطي، وكان للشيخ عمر الكنتي دور في إكمال رسالة محمد بن عبد الكريم المغيلي، وفي نشر الطريقة القادرية[2] ببلاد التكرور.

---

1– المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: المصدر السابق، ص 17.

2– الطريقة القادرية: كانت هذه الطريقة من بين الطرق الأكثر انتشارا في السودان الغربي، أسسها سيدي عبد القادر الجيلاني في العراق، ثم انتقلت إلى وسط إفريقيا في القرن الخامس عشر. ينظر الزركلي: الأعلام، 47/4. ويعد الشيخ عمر بن الشيخ أحمد البكاي أول من أوصل هذه الطريقة إلى الأطراف الشمالية للسودان الغربي. فأقبل عليها الكثير من السودانيين، وساهمت في نشر الدين والعلم، وقد حرص دعاتها على إنشاء الكثير من المدارس والمراكز في ولاية تمبكتو، التي وصلت في هذه الفترة إلى أوجٍّ قمتها الثقافية والاقتصادية والعمرانية، مما ساعد الكثير من الدعاة العرب على نشر هذه الطريقة الصوفية، وتشجيع وتحفيز الطلبة للاستزادة من العلم، والترحال من أجل طلبه في شمال إفريقيا، كالقيروان وفاس وتلمسان، وتوات، والقاهرة.... وتعد هذه الطريقة الأكثر توغلا في السودان الغربي، وأوفرها نجاحا في نشر الإسلام. ينظر نعيم قداح: المرجع السابق، ص 118.

لقد عملت الطريقة القادرية ومشايخها على استخدام وسائل الترغيب رغبة في نشر الإسلام، وابتغاء مرضاة الله وهداية الناس، فبدأت بتأسيس الزوايا كمنارات للعبادة والتعليم، والمساجد والمدارس، حتى عن طريق المصاهرة مع أهالي البلد أو شراء العبيد لتعليمهم الإسلام الحنيف ثم عتقهم، ونشر مبدأ الحرية والإخاء والعدل والمساواة.

واتسعت خريطة انتشار الطريقة القادرية في بلاد السودان على يد الشيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي أخذ عنه الطريقة سيدي اعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي أحمد الكنتي (959هـ/1552م)، وأصبحت تسمى بالبكائية التي وصلت إلى أوجها في عهد الشيخ سيدي مختار الكنتي المتوفى (1226هـ/1821م).

لقد نجحت القادرية بانضمام ملوك وأمراء السودان الغربي إليها، والذين اتخذوا من مقدمي الطريقة القادرية مستشارين لهم، فاستفادوا من خبراتهم وثقافتهم، مما سهل على الطريقة القادرية الانتشار أكثر في بلاد السودان الغربي، إذ وصلت إلى كنكاء وتمبو بجبال فوتا جالون، ومسرد وبلاد المانديغ وموطنهم على نهر جميمي في غينيا، ولقد كان للإقليم توات دور أساسي سواء في نشر القادرية أو في استقبال السودانيين لإكمال دراستهم بالمدارس التواتية ثم يعودون لبلدانهم مزودين بالعلم لينشروه، ولقد أسس التواتيون بالسودان الغربي مراكز دينية وثقافية بمختلف المدن السودانية تقوم على نشر الطريقة الصوفية القادرية التي كانت تدعو إلى التسامح والإرشاد والأخلاق الفاضلة. ينظر بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 257.

ومن هنا يتضح الدور الإيجابي الذي قامت به هذه الطريقة وعلماؤها من تعليم وتربية روحية ومحاربة البدع والخرافات.

كما كانت هناك زوايا صوفية لها طرق تتبعها متّلت رديفا للطريقة القادرية وسارت على نهجها التربوي والإصلاحي[1].

[1]– الطريقة الشاذلية: يعود تأسيس هذه الطريقة الصوفية إلى أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م)، وقد تفرعت عنها:

أ– الطريقة الناصرية: نسبة إلى الشيخ محمد بن ناصر الدرعي المتوفَّى سنة (1036هـ/1626م) أقبل عليها أهل الصحراء ومن أبرز مراكزها: –أدرار: يمثله مجموعة من المشائخ مثل سيدي عبد الله بن الحاج. –الترارزة: وتمثله أسرة حمدي بن مختار بن الطالب أجويد. – مركز تندغة: وقد عرفت هذه الطريقة عن طريق محمد فال بن متالي، وقد ساهم في نشر التعليم في مختلف المناطق المجاورة.

ب – الطريقة الغظفية: نسبة إلى الشيخ محمد الأغظف الداودي الجعفري (ت 1277هـ)، ظهرت بأدرار وهي مزيج بين الطريقتين القادرية والشاذلية. وهناك عدة طرق أخرى تفرعت عن الشاذلية وانتشرت بالمغرب لتأخذ طريقها بعد ذلك إلى السودان الغربي، منها الرازية والغازية وغيرهما من الطرق الصوفية. ظهرت هذه الطرق في الوقت الذي شهد المغرب الأوسط نشاطا فكريا خاصة خلال القرن التاسع الهجري. ولقد كان لإقليم توات أثره الفكري والثقافي على بلاد السودان الغربي، خاصة بعد ما استقر فيه العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي، والذي يعتبر أحد العلماء الذين ساهموا في تطور الحركة العلمية والفكرية في هذا الإقليم، كان وراء رحيل المغيلي إلى توات ما عاشته تلمسان من ظروف خاصة بعد اكتشاف سلطانها المتوكل على الله محاولة اغتياله فاتهم العلماء بأن لهم يدّا في ذلك وكان من بين المتهمين الونشريسي الذي تمكن من الخروج من تلمسان خفية فأخبر المغيلي بالأمر فقرر هو الآخر الخروج منها، فرحل إلى توات وبالضبط إلى تمنطيط سنة (882هـ)، واتخذها مركزا لنشاطه الفكري ومنطلقا لنشر الإسلام. حيث أسس زاويته القادرية بها، وكان لها صدى كبير عبر مناطق السودان الغربي. ينظر بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص 260. ويتجلى الفضل الكبير للزوايا التواتية في تحقيق التعريب، وبث المعرفة بين الناس، وذلك ببعث الدعاة الذين كانوا ينتشرون في الصحراء الإفريقية، فكانت توات قاعدة مهمة لنشر الثقافة العربية والإسلامية، والمساهمة في بناء المراكز الثقافية والتعليمية، ومن بين الزوايا الأولى التي كان لها دور كبير في احتواء العلماء والمتعلمين بإقليم توات نذكر:

– زاوية أولاد أوشن: أسسها مولاي سليمان بن علي سنة (593هـ). كانت مقصدا للقوافل والحجاج وطلبة العلم وكانت مركزا للعبادة والتعليم. وقد تعددت الكتب والمصنفات بها من فقه ونحو وكتب طب، وتخرج منها الكثير من الفقهاء الذين أصبحوا بدورهم دعاة للإصلاح.

– زاوية أبي يحي المنياري: يعتبر قصر تمنطيط مركزها الأصلي حيث استقر مؤسسها في بداية القرن (9هـ/15م)، فقامت بدور كبير وفعال في نشر الإسلام والإصلاح بين القبائل السودانية. وقد تخرج منها العديد من المشايخ، وساهمت الزوايا والطرق الصوفية في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية من خلال الدور الذي قامت به، متمثلا في تحفيظ القرآن للصغار والكبار في المدن والقرى، والاهتمام بتلقين الدروس في اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية، وبذلك نبغ الكثير من طلبة العلم. كما عملت على نشر الإسلام في الأقطار البعيدة عبر الصحراء خاصة في المناطق الوثنية منها. ساهمت أيضا في إرشاد حكام الممالك السودانية في كيفية إدارة الحكم وفق الشريعة الإسلامية. كما كان لها دور اجتماعي تمثل في رعاية الأيتام والفقراء والمساكين، وبهذا تكون قد شكلت جسرا من جسور التواصل الفكري والحضاري بين الشمال الإفريقي بما فيه المغرب الأوسط وجنوب الصحراء وممالك السودان الغربي. ينظر سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08–10 هجرية، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، مرقونة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 1432هـ–1433هـ/2011م–2012م، ص 58.

على غرار علماء توات الذين ساهموا في النهضة الفكرية والثقافية للسودان الغربي، حيث درجوا على الارتحال من توات إلى جنوب الصحراء، ناشرين الدين الإسلامي وما تعلق بالعلم والمعرفة. [1]

وبعد إتمام فريضة الحج، رجعا معا إلى مملكة سنغاي بأرض التكرور، ولم يمكث المغيلي طويلا حتى وصله نبأ مقتل ابنه عبد الجبار.

ومن خلال الدور الذي قام به الإمام العلامة المغيلي في بلاد السودان الغربي، يعتبر أكبر داعية إسلامي عرفه الغرب الإفريقي خلال القرن التاسع الهجري، فالعلم كان سلاحه في نشر منهجه الفكري الإصلاحي الرامي إلى تصحيح المفاهيم، سواء على مستوى العامة أو الحكام والسلاطين، ومن خلال ما قام به من أعمال، وما كتبه وألفه، نلمس أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الديني بإقليم السودان الغربي، فكان بذلك من أهم الفقهاء الذين عملوا على تصحيح العقيدة في السودان الغربي، وظل مشتغلا بالدعوة والوعظ والتدريس والقضاء والفتاوى، وطاف بعدد من عواصمها وأقاليمها. ويقول في ذلك بول مارتي: «... نحن نعلم أن الإسلام دخل بلاد "الجرما" والبلاد المجاورة إلى "تساوة" و"زندر" بواسطة الشريف الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي، أو بالأحرى بواسطة تلاميذه المباشرين في القرن الخامس عشر... ».

---

1- وكانت الرحلات العلمية التواتية إلى بلاد السودان الغربي ذات تأثير إيجابي في نشر العلم بهذه المنطقة، ومن العلماء الذين نبغوا في بلاد البرنو وأثروا في الحياة الاجتماعية والسياسية الشيخ محمد الطاهر الفلاتي التواتي الذي كان عالما بالمنقول والمعقول، صالحا تقيا ورعًا. ينظر سالمي زينب: المرجع السابق، ص 69. ومنهم العالم عبد الله البلبالي الذي يقول فيه البرتلي: «... كان من عباد الله الصالحين، هو أول من صلى بالناس بالجامع الكبير من البيض... لا يأكل إلا من عمل يده صاحب كرامات وبركات...». ينظر البرتلي: المصدر السابق، ص158.

العالم الفقيه بلقاسم بن الحسين الأوسيفي الذي يعتبر من أبرز علماء عصره وكذلك أبو القاسم التواتي الذي كان إمام المسجد الجامع في تمبكتو. وهو الذي ابتدأ قراءة الختمة بعد صلاة الجمعة. ينظر سالمي زينب: المرجع السابق، ص ص 68-69. وقد ذكره البرتلي قائلا: «... كان رحمه الله تعالى صالحا خير وكان إمام مسجد الجامع في تنبكتو... وهو الذي ابتدأ قراءة الختمة بعد صلاة الجمعة مع قراءة حرف من العشرينيات... وحبس أسكيا الحاج تابوتا فيه ستون جزءا من المصحف على ذلك الجامع لأجل تلك الختمة...» ينظر البرتلي: المصدر السابق، ص ص 69-70.

إن هؤلاء العلماء وغيرهم كانت لهم الإرادة الجامحة في تغيير الأوضاع، وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكان لهم الأثر البالغ في محاربة البدع والخرافات، وتصحيح المفاهيم، وتثبيت العقيدة الإسلامية في نفوس وقلوب السودانيين وحكامهم، فأثروا في الحياة الدينية والاجتماعية وحتى السياسية والاقتصادية في ممالك السودان الغربي ومجتمعاته.

وتتجلى هذه البصمات المغيلية في كثير من المعالم والمآثر التي تؤرخ للشيخ المغيلي في سيرته العلمية والتعليمية والإصلاحية الطويلة التي خاضها وبقيت شاهدة على ما بذله من جهد وجهاد في محاربته للجهل وتغييره للمنكر، وذوده عن الشريعة الإسلامية.[1]

لقد كان المغيلي من الدعاة المصلحين، حيث لم يكتف بالمسائل الفقهية والتعمق فيها دون النظر إلى الأوضاع السياسية الفاسدة المخالفة للشرع. لذلك اجتهد في إصلاح أوضاع المسلمين، والرجوع بهم إلى المنهج الإسلامي الصحيح. وكان رائدا في عصره. وما امتداد جهوده إلى السودان الغربي، إلا دليل على رغبته في التغيير وإصلاح العقيدة في هذا الجزء من جنوب الصحراء ليشكل بمواقفه القويمة وآرائه الحكيمة جسرا للتواصل يربط بين شمال الصحراء وجنوبها، ويكوّن علاقات في جوهرها تؤصل لقنوات تواصلية تمدّها المكونات الدينية والفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي. وهذا العمل الدعوي والإصلاحي الذي صدر عن المغيلي أسس فيما بعد لقدوم وفود العلماء والفقهاء وتقاطرهم على السودان الغربي ومن أهم الوافدين من المغرب الأوسط عامة وإقليم توات خاصة:

- أبو يحي بن محمد الميناري الذي اشتهر بالعدل والصلاح.
- الحاج عبد الرحيم الأول صاحب شهرة بالإقليم، وكان مقصدا للأعيان والضعفاء على السواء.
- محمد بن أحمد المعروف بابا حيدة الذي كان مشهورا بالعلم والولاية وله تآليف عديدة نظما ونثرا.[2]

ولم تفتر عزيمة المغيلي الذي لم تثنه العقبات عن بلوغ مقاصده، وأراد أن يكون له اليد الطولى في منطقة جنوب الصحراء، ليتخذ من إقليم توات[3] قاعدة له ينطلق منه إلى

---

1- خير الدين شترة: المرجع السابق، ص ص 313 -441.

2- ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح محمود فرج، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص ص 30-31.

3- توات: إقليم يضم أدرار، وتيميمون، وعين صالح في جنوب غرب صحراء المغرب الأوسط. ويضم من الواحات والقرى والقصور، يقع بين خطي طول 1° درجة شرقا 3° درجات غربا، وبين دائرتي عرض 20° إلى30° درجة شمالا، أي الجنوب الغربي للجزائر، ينظر: الصديق حاج أحمد آل المغيلي: التاريخ الثقافي لإقليم توات بين القرنين 11ه إلى14ه، ط2، منشورات الحبر، الجزائر، 2011، ص ص 41-42.

السودان الغربي، حيث شكّل هذا الإقليم همزة وصل بين الشمال والجنوب. وقد ذكر الرحالة العياشي (ت 1090ه) في رحلته إلى توات مدى أهميته، حيث أصبح مكانا مأهولا بالأولياء والعلماء الصالحين قائلا: «... ودخلنا أول عمالة توات... وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس... وكان وصولنا إليها ضحى يوم الخميس وأقمنا بها ستة أيام...».[1]

فقد كان المغيلي خلال أسفاره يدرس ويفتي ويعلم، لذا فإنه من الصعب على الباحث تحديد تلاميذه على سبيل الحصر. إذ تعددت حلقاته العلمية، وكثرت بمساجد توات ومنطقة السودان الغربي، على أن المؤرخين ذكروا أبرزهم وهم:

- عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي: ولد عام (865 هـ -1460م) درس في صغره على يد والده، ثم رحل إلى المغرب ومنها إلى مصر ومر بالشام وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى بلاد التكرور، والتقى خلال هذه الأسفار بالإمام المغيلي فلازمه الصحبة، وتبعه في جميع رحلاته الداعية إلى نشر الإسلام الصحيح، أدى فريضة الحج للمرة الثانية برفقته، وعند مرورهم بمصر، التقوا بالعلامة السيوطي، ولما عاد المغيلي إلى توات، كان الشيخ عمر بصحبته، فأخذ عنه علوم الحديث والفقه والعربية والسياسة الشرعية، والمنطق والفرائض، وهو الذي انتهت إليه رئاسة الطريقة القادرية في بلاد التكرور بعد وفاة المغيلي.[2]

- محمد بن عبد الجبار الفجيجي (ت 956هـ-1449): درس على يد والده عبد الجبار بفجيج وغيره من علماء المنطقة. التقى بالمغيلي في فاس، ولازمه طول وجوده بها، وأخذ عنه التصوف وعلوم الحديث والفقه والعقيدة والمنطق. ثم رجع لبلاده ليدرس هذه العلوم.[3]

---

1- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد(ت 1090ه): الرحلة العياشية (1661م-1663م)،ج1، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دط، دار السويدي، أبو ظبي، 2006، ص 79.

2- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص246.

3- ابن مريم (كان حيا 1025ه/1611م): المصدر السابق، ص287.

– ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (ت 954هـ–1447م): أكبر أبناء عبد الجبار وأغزرهم علما، درس على يد أبيه وعلماء فجيج، ثم توجه إلى فاس، فأخذ عن ابن غازي. ثم قصد تلمسان، فأخذ بها عن الإمام السنوسي، ورحل إلى المشرق، فأخذ عن السيوطي، ثم أثناء هجرته إلى السودان الغربي، التقى بالمغيلي ودرس على يديه التفسير والسياسة الشرعية والمنطق والحديث والعقيدة، ثم رافقه إلى بلاد السودان الغربي.[1]

– الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمتي المسوفي (كان حيا قرب عام 950هـ): من أهل أقدز. أخذ عن المغيلي علم التوحيد والمنطق واللغة العربية... وكان ملازما للمغيلي طيلة وجوده بالسودان الغربي حيث تأثر به.[2]

– محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي (ت ما يقارب عام 936هـ): كان ملازما للمغيلي وحضر دروسه واخذ عنه.[3]

هؤلاء كانوا من أبرز المشايخ الذين تتلمذوا على يد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فاستفادوا منه، وأصبحوا بدورهم دعاة ومصلحين. فساهموا في إثراء الحركة الفكرية وازدهار الحياة الثقافية. ولم يقتصر هذا التأثير الفكري والثقافي على هذه النخبة، بل توسع ليشمل علماء خلال هذه الفترة وبعدها.

---

1– بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 247.

2– التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، تح محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، المملكة المغربية،2000، ص 377.

3– التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 587.

كما ظهرت أسر اشتهرت بالعلم منها أسرة أقيت.[1]

---

– ظهور مجموعة من العلماء السودانيين برزوا في مختلف العلوم ومن هؤلاء نذكر:

– أبا العباس أحمد بن عمر بن أقيت: وهو الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحي الصنهاجي التمبكتي. ينظر محمد بن عمر مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، دط، القاهرة، 1349ه، ص 278. جد أحمد بابا التمبكتي، كان فاضلا صالحا متورعا محافظا على السنة معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه له دواوين كثيرة. التقى مع السيوطي (911ه/1505م) وخالد الأزهري، توفي عام (942ه/1536م). ينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 137–138.

– محمود بن عمر أقيت: ابن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي المصوفي قاضي تمبكت، عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع أبو الثناء وأبو المحاسن، اشتهر بعلمه وصلاحه، ولد عام (868ه) تولى القضاء عام (904ه) مع ملازمته للتدريس، فانتفع به البشر وأحيا العلم بتلك البلاد. وكثر طلبته ونجب منهم جماعة كثيرة كان، أكثر ما يقرؤون المدونة والرسالة ومختصر خليل الألفية والسلالجية وغيرها، حج عام (915ه)، لقي إبراهيم المقديسي الشيخ زكريا والشيخ القلقشندي وغيرهما.... رجع إلى بلاده، ولازم الإفادة والتدريس. توفي سنة (955ه). ينظر محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق (278)، والسعدي: المصدر السابق، ص 76.

– محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت: هو أبو عبد الله محمد بن محمود بن عمر أقيت ولد عام (909ه) بتمبوكتو. تولى القضاء بعد أبيه محمود بن عمر أقيت وله تعليق على رجز المغيلي في المنطق كان فهاما دراكا من دهاة الناس وعقلائهم توفي في صفر (973ه). ينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص 297.

– أبا بكر أحمد بن عمر بن محمد أقيت: ولد عام (932ه) هو عم أحمد بابا التمبكتي عرف بالصلاح والتقوى حج وسكن المدينة المنورة، كان خيرا ورعا وزاهدا تقيا وبقي، حتى توفي في فاتح (991ه) يقول السعدي: «هو أول من قرأت عليه علم النحو فنلت بركته ففتح الله لي فيه في مدة قريبة بلا عناء له أحوال جليلة». ينظر السعدي: المصدر السابق، ص 41. ومحمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص286.

– العاقب بن محمود بن عمر بن أقيت: ولد سنة (913ه) كان إماما فاضلا وقاضيا عادلا، أخذ العلم عن أبيه وعمه ورحل للمشرق ولقي الشيخ عبد السلام أحمد بابا الأسمر، قال عنه التنبكي:«... ولقي الناصر اللقاني وأبا الحسن البكري والشيخ البسكري، أجازه اللقاني جميع ما يجوز له عنه وأجازني هو كذلك، توفي الحادي عشر رجب عام (991ه)... ».

– أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت: الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي والد أحمد بابا التنبكتي ولد عام (929ه)، ذو رأي متفنن محدث أصولي بياني منطقي مشارك في فنون من العلم، كان عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس، يغلظ على الملوك فينقادون له أعظم انقياد ويزورونه في داره، وكان السلطان الأعظم أسقيا داود يأتي إليه. كان بارعا في الأدب درس وشرح مخمسات العشرينيات الفزازية في مدائح النبي صلى الله عليه وسلم، وشرح منظومة المغيلي في المنطق شرحا حسنا، وشرح جمل الخونجي، وألف في الأصول. توفي ليلة الاثنين السابع والعشرين من شعبان عام (991ه). ينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص 554. ومحمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 286. والسعدي: المصدر السابق ص 42. البرتلي: المصدر السابق، ص ص 29–30.

– عبد الله بن عمر بن محمد أقيت: هو عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي. ولد سنة (866ه)، كان في غاية الزهد والورع، قوي الحفظ، وكان فقيها درّس بولاتن توفي سنة (929ه). ينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص235.

– عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت: أخذ العلم عن والده، تولى القضاء في تنبكتو سنة (993ه) بعد أن ألح عليه الأسقيا محمد الثالث. توفي عام (1003ه). ينظر البرتلي: المصدر السابق، ص 178.

– أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي التكروري التنبكي: عرف بالحاج بابا التنبكتي، غلبت نسبة التنبكتي عليه فكانت أكثر النسب استعمالا. هو أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي بن كذالة بن مكي بن نبق بن لف بن يحي بن تشت بن تنفر بن حيراي بن النجر بن نصر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسي السوداني، يعرف ببابا صاحب نيل الابتهاج ذيل الديباج، وقد ترجم نفسه في آخرها فقال مولدي كما وجد بخط والدي ليلة الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام (963ه). ينظر ابو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، 12/1.

كما ظهرت مجموعة من العلماء السودانيين برزوا في مختلف العلوم، وصار لهم صولتهم على سلاطين المماليك السودانية، ونالوا عندهم الحظوة، وتبوأوا عند أهل العلم في الأقطار الإسلامية منزلة العاملين لما كان منهم من الزهد والورع.[1]

كما أدرك هؤلاء العلماء حاجة السودان الغربي في أن يكون له قدم راسخة في الفكر والتحضّر ولا يتأتّى ذلك إلا بتصدر أهل الدراية بالنقل والعقل للمناصب التي فيها معاش الناس وميعادهم فاشتغل منهم في القضاء.

---

1- محمد بن أحمد بن أبي محمّد التازختي: عرف بأيد أحمد بهمزة مفتوحة وياء ساكنة فدال مفتوحة مضاف لاسم أحمد معناه ابن، كان فقيها عالما فهاما محدثا حسن الفهم، قرأ ببلاده على الفقيه الحاج – جدّه- أحمد بن عمر وعلى الفقيه علي خاله، لقي بتكدة الإمام المغيلي وحضر دروسه فسار للمشرق ولقي مجموعة من العلماء كالشيخ زكرياء والقلقشندي وابن أبي الشريف وعبد الحق السنباطي فأخذ عنهم الحديث، أجازه من مكة أبو البركات النويري، وغيره ورجع إلى السودان وتوطّن كشن وتولى فيها القضاء، وكان مدرسا، توفي عام (936ه) عن عمر يناهز نيف وستين سنة. ينظر السعدي: المصدر السابق، ص 39-40.

– الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الونكري: عرف ببغيغ ولد عام (930ه)، تحدث عنه التنبكتي فقال:«... من خيار عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين... كان له صبر عظيم على التعليم أناء النهار... فنفع الله به كثيرا... أفنى عمره مع تشبثه بحواج العامة وأمور القضاء... وبالجملة فهو شيخي وأستاذي، ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه... توفي بتنبكت يوم الجمعة من شوال في عام (1002ه)...». ينظر التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 600-603. وقال عنه السعدي: «... الفقيه العالم المتفنن الصالح العابد الناسك... بذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لهم...». ينظر السعدي: المصدر السابق، ص 43-44.

– الفقيه صديق تعلي: هو من كابرا وجنجوي المولد كان إماما للمسجد الكبير بتمبكتو، وصفه السعدي بأنه كان عالما فقيها فاضلا خبيرا صالحا، وهو من علماء وفقهاء قرية جنش القريبة من تمبكتو وكان قد رحل إلى المشرق، وأدى فريضة الحج، والتقى بكثير من العلماء في مصر والحجاز، ومنهم الشيخ البكري الصديقي. ينظر بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 218.

– الشيخ المخلوف بن علي بن صالح البلبالي: فقيه حافظ اشتغل بالعلم، درس بولاتن، سافر للغرب وأخذ عن ابن غازي وغيره، ثم رجع إلى السودان ودخل بلاد كَكَنو وكشن وغيرهما، وقرأ هناك وجرى له أبحاث في نوازل مع الفقيه العاقب الأنصمني، ثم دخل تمبكتو، وأقرأ بها ثم رجع للغرب فدرّس بمراكش، وسم هناك فمرض فرجع لبلده وتوفي عام (940ه). ينظر السعدي: مصدر السابق، ص39. وينظر أيضا. التنبكتي: نيل الابتهاج. المصدر السابق، ص608.

– الفقيه مورمغ كنكي: أصله من قرية تاي بين بيغ وكوكو، كان فقيها عالما صالحا، عابدا، وكان يدرس فيأتيه الطلبة وفي نصف الليل يخرج إليهم فيجلسون حوله إلى إقامة صلاة الصبح، ثم يعودون إليه بعد الصلاة إلى الزوال وفيها يرجع لداره، ثم بعد صلاة الظهر كذلك إلى العصر هكذا عادته. ينظر السعدي: المصدر السابق، ص 16. وقال عنه السعدي أيضا: كان يدرس بجني بالمسجد الجامع بانتظام دائم، ولقد كان لهذا العالم دور كبير في نشر الثقافة العربية ونمو الحركة الفكرية في البلاد، وأثر في حياة جني العلمية تأثيرا قويا. ولا يزال ذكره عالقا في أذهان أهالي المنطقة. ينظر بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 226.

والفُتية وصار لهم باع في التراجم وكتابة التاريخ.[1]

1- القاضي أحمد ترف: هو القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف الجنّوي الأصل والبلد، كان خطيبا ثم جُعل إماما ثم قاضيا فجمع المراتب الثلاث، ثم سافر للحج وتوفي هناك. وقد ذكر التنبكتي في آخر كتابه كفاية المحتاج أنه نشأ في طلب العلم. قال: فحفظت بعض الأمهات وقرأت النحو على عمي أبي بكر الرجل الصالح، والتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والتصوف وغيرها على شيخنا العلامة محمد بغيغ، وأخذت عن والدي الحديث سماعا والمنطق، وقرأت الرسالة ومقامات الحريري تفقها على غيرهم. ارتحل إلى المشرق الإسلامي وحج عام (990هـ)، ولقي العالم الجليل جلال الدين السيوطي (911هـ/1505م)، وخالد الأزهري والإمام النحوي وغيرهم، ثم رجع ودخل كانو واشتغل بالتدريس وانتفع به خلق كثير من طلاب العلم منهم: أخوه الفقيه محمود قرأ عليه المدونة وغيرها. ينظر السعدي: المصدر السابق، ص 19. أمر السلطان المغربي المنصور عامله محمود بالقبض على آل أقيت تخوفا منهم، وكان أبو العباس أحمد بابا من بينهم، وأُخِذُوا إلى مراكش، ثم أطلق سراحه على أن يبقى في مراكش، وتصدر لنشر العلم وهرع الناس إليه، ولم يزل كذلك إلى أن مات المنصور، وبعد ما تولى زيدان بن المنصور الحكم أذن لهم في الرجوع إلى بلادهم بعد أن مات جماعة منهم بمراكش.وقد لقيه المقري بمراكش فأخبر عنه قائلا: «... لقيته بمراكش... وانتفعت به واستفدت منه، وكنت كثيرا ما أذهب معه إلى زيارة الصالحين بحضرة الإمامة مصحوبين بجملة أعلام فنتذاكر في طريقنا فنونا جمة، وأعارني جملة من الكتب من خزائنه الفريدة... وأجازني جميع تآليفه المفيدة... فمن تآليفه شرحه مختصر خليل، لم يكمل رأيته من الزكاة إلى النكاح... النكت الوفية لشروح الألفية... ومنها نيل الأمل في تفضيل النية على العمل... واختصار شرح صغرى السنوسي ومنها اختصار ترجمة السنوسي، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج ». وقد قال عنه السعدي في تاريخ السودان أنه بارع في كل فن من فنون العلم، وأنه اجتهد في بداية أمره بخدمة العلم حتى برع عن جميع معاصريه وفاق عليهم حدا. وفي الغرب، اشتهر أمره وانتشر ذكره وسلم له علماء الأمصار في الفتوى وكان وقافا على الحق ولا يداهن فيه ولو السلاطين. توفي في شعبان سنة (1036هـ)، مخلفا إنتاجا فكريا وفيرا ومصنفات عديدة ذكر منها أكثر من ستين، ولعل أهمها "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" و"كفاية المحتاج لمعرفة من لبس الديباج" و"معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود"، الذي يعتبر من كتب النوازل، وهي أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، حيث يقدم فيها معلومات مفصلة عن بلاد السودان وتاريخ انتشار الإسلام بها والشعوب الساكنة فيها والخصائص الدينية لمختلف هذه الشعوب، وهي تشكل نصا مؤسسا في الفقه المالكي، ومصدرا أساسيا من تاريخ بلاد السودان. ينظر أحمد بابا التنبكتي: معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق فاطمة الحراق، جون هانويك، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، دط، الرباط، 2000م، ص ص 13-14.

- القاضي محمود كعت: هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني دارا والتمبكتي مسكنا الوعكي أصلا. ولد في منطقة كورما غرب مدينة غاو عام (872هـ/1468م). أخذ العلم عن علماء تمبكتو، وبرع في الأدب والفقه وتقلد منصب القضاء وعاصر أسقيا الحاج محمد الكبير (493هـ/1528م). ينظر بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 219. تقلد مناصب عديدة كالقضاء وكان مستشار الأسقيا، سافر إلى مصر وحضر حلقات العلم بالأزهر. ثم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وبعدها رجع إلى تمبكتو لتدريس الفقه والحديث والمنطق والتاريخ. تخرج على يده العديد من العلماء ومن بينهم أحمد بابا التنمبكتي. خلف أبناء كانت لهم أدوارا جسيمة في تطور الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان، وهم القاضي الفقيه إسماعيل بن محمود كعت، ويوسف بن محمود كعت، ومحمد الأمين بن محمود كعت وحفيده المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت. ينظر بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 220.

- عبد الرحمان السعدي: هو عبد الرحمان بن عمران بن عامر السعيدي التنبكتي، ولد ليلة الأربعاء عام (1004هـ). ينظر البرتلي: المصدر السابق، ص 146. حفظ القرآن، ثم درس في تمبكتو تتلمذ على يد أحمد بابا التنمبكتي وغيره من العلماء. ينظر يحي بوعزيز: تاريخ أفريقيا الغربية، المرجع السابق، ص 207. تولى إمامة مسجد سنكري في (1036هـ). ينظر البرتلي: المصدر السابق، ص 146. وتقلب في مناصب مختلفة بالسودان. من تصانيفه "تاريخ السودان" الذي تحدث فيه عن الممالك الإسلامية في السودان الغربي وأخبارها وذكر فيه العلماء والقضاة والأمراء وأئمة المساجد. ويعتبر هذا المُؤَلَفْ أيضا مصدرا مهما من مصادر تاريخ السودان، توفي سنة (1066هـ/1656م). ينظر محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 309.

# خاتمة

بعد هذه الإضاءة البحثية التي وصَّفت ما كان من إشعاع حضاري للمغرب الأوسط، بما تحمله كلمة حضارة من دلالات تلقي بظلالها على الرقي والازدهار، تشهد له مظاهر الحياة المختلفة. ونخلص إلى أن المغرب الأوسط بسط حضارته على رقعة جغرافية شملت السودان الغربي، مما جعل هذا الأخير يتأثر بذلك الانعتاق الحضاري للمغرب الأوسط. ولم تكن معادلة التأثير والتأثر لحظة عابرة في تاريخ المغرب الأوسط وتواصله مع ما جاوره من الأقطار، وذلك بالنظر إلى التراكم الفكري والثقافي الذي شهده العقل الإسلامي بكل قومياته أدى إلى تخصيب هذا العقل الذي ظهرت منجزاته في فضاءات عدة.

ولعلّ ما يظهر جليا في العلاقات التي ربطت بين المغرب الأوسط والسودان الغربي الجانب الفكري والثقافي الذي يدخل ضمن المساقات الحضارية، وهي علاقات قديمة من حيث بداياتها. إذْ كانت أولوياتها مع ظهور الدويلات بالمغرب الأوسط، والحراك التجاري الذي شهدته هاته المرحلة التاريخية. فقد عرفت هذه العلاقات ازدهارا خاصة ما بين القرنين (**7هـ - 9هـ/13م - 15م**) والتي اقترنت بالحكم الزياني في ظل القطبية الحضارية لمدينة تلمسان، حاضرة المغرب الأوسط. فقد استوت على سوق التحضر آنذاك حتى صارت جوهرة الفن والفكر والثقافة، ومعدن الأصالة والتمدن، ومهبط العلم والعلماء، يشهد لها بذلك القاصي والداني. فكم من فقيه عانق مجالسها، وكم من لغوي تروى من رحيق علمائها، وكم من سالك ارتقى في مقامات الولاية ونال المقام بها.

والحق أن هذا الرقي الحضاري بما فيه الفكر والثقافة الذي شهده المغرب الأوسط، شكلته روافد مشرقية وأخرى أندلسية متضافرة مع البيئة المغربية الأصيلة في تكوين صورة المشهد الحضاري الذي بسط قوته على حواضر المغرب الأوسط التي برزت كنماذج تستحق الصدارة في الفكر والثقافة، وبالفعل، فقد

استطاعت أن تؤثر بعلاقاتها في محيطها، ومن أهم الروافد:

1- الهجرات الأندلسية المتوالية اتجاه (المغرب الأوسط)، خاصة في ظل ما عاشه الأندلسيون من اضطهاد وتنكيل شنّه ضدهم الإسبان، لتتخذ هذه الهجرات المغربَ الأوسط مستقرا لها، مما جعل هؤلاء المهجّرين يساهمون في النقلة الحضارية للمغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصا، ولقد كان فيهم العلماء والحرفيون والصناع.

2- اهتمام سلاطين الزيانيين ورعايتهم للعلم والعلماء وهذا ما جعلهم ينشئون المساجد والكتاتيب والمدارس والمعاهد العلمية. كما عملوا على استجلاب العلماء، بل والأفذاذ منهم ليكونوا وقفا لنشر العلم وتخريج الطلبة وتعليم الناس.

3- وجود علاقات حسنة بين بني عبد الواد وبين بني نصر، أفرزت نوعا من الاستقرار النسبي الذي هيأ لقيام حضارة على أسس وقواعد، عكسها العمران والتمدن الذي وصلت إليه مدينة تلمسان.

وفي سياق الرقي الحضاري للمغرب الأوسط، نلاحظ نجد تأثر السودان الغربي بالمغرب الأوسط من انتشار للإسلام بين ربوعه وتناقل أهل السودان الغربي، تعاليم الشريعة الإسلامية ومتعلقاتها من فقه وأصول وعقيدة ...إلخ، كما امتد التيار الصوفي متمثلا في الزوايا التي عنيت بالقرآن الكريم.

وقد برز في هذه الفترة إقليم توات، باعتباره همزة وصل بين شمال المغرب الإسلامي والسودان الغربي؛ إذ عزز هذه الواسطة التفاعل الذي ظهر فيه دور التجار جليا من حيث نقلهم لمبادئ الدين الإسلامي السمح، وحملهم للفكر والثقافة كونهم أفرادا ينتمون لرقعة جغرافية متمثلة في المغرب الأوسط، إضافة إلى الإفرازات الفكرية والثقافية التي كانت نتيجة لهذا التفاعل، ويتجلّى العمل الذي قامت به الطرق الصوفية، وعلى رأسها الطريقة القادرية التي انتشرت بفضل جهود الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (**ت909هـ/ 1503م**)، الذي أدخل طريقته إلى توات وعمل على نشرها في بلاد السودان الغربي، وقام بمهمة التعليم. والإرشاد

وتصحيح المفاهيم، خاصة فيما يتعلق بجانب العقيدة الإسلامية على مستوى العامة من خلال تصدُّره للدعوة والتعليم. فتخرَّج على يده علماء من المغرب الأوسط وعلماء من السودان الغربي كان لهم دور في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي، بل وحملوا لواء نشر الدين الإسلامي والعلوم في تلك المنطقة، هذا بالإضافة إلى الطريقة الشاذلية، فقد قامت بدور كبير في نشر العلم والمعرفة، ولم تأخذ هذه الزوايا على عاتقها التعليم والتدريس فقط وإنما كانت منارات للعبادة ومراكز لإقامة الطلبة وعابري السبيل ومأوى للفقراء والمساكين والأيتام.

وما سهّل انتشار العلم والمعرفة في السودان الغربي، هو رغبة السودانيين أنفسهم في الاستزادة من العلم وإقبالهم عليه، مما حفزهم على إقامة المساجد والكتاتيب والمكتبات والمعاهد، كما حفظوا مكانة العلماء، واعتنوا بطلبة العلم حكاماً وعامةً.

وإجمالا فالسودان الغربي يدين للمغرب الأوسط بالأثر الإيجابي في الجانب الفكري والثقافي بصفة خاصة، والحضاري بصفة عامة، الذي انعكس على التراث المادي بتجلياته المعمارية المجسدة في حواضر السودان الغربي كتنبكتو وجني وغاو.... فكانت اللمسة المعمارية المغربية حاضرة في المساجد والمنازل والقصور السودانية بغالبيتها.

كل هذه المعطيات جعلت بيئة السودان الغربي بيئة مشجعة للتواصل الحضاري مع المغرب الأوسط.

# قائمة المصادر والمراجع

*** المصادر:**


**1.** ابن أبي زرع علي الفاسي (ت بعد 712-1312): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، دط، الرباط 1973.

**2.** ابن الحائك أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داوود الشهير بالهمذاني (ت 334هـ/945م):صفة جزيرة العرب، دط، مطبعة بريل، ليدن، 1884م.

**3.** ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين ت (776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ.

**4.** ---------- تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعمال في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ- ليفي بروفنسال ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956.

**5.** ابن الفقيه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت 365هـ/975م): البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1996.

**6.** ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي المعري ثم الحلبي (ت 852هـ) المنسوب خطأ للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القريشي: فريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمد زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية/ ط1، القاهرة، 2008.

**7.** ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله المتوفى (ت 779هـ/1377م): رحلة بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج4، أكاديمية المملكة المغربية، دط، الرباط، 1417هـ.

**8.** ابن حوقل: صورة الأرض، ج1، دط، منشورات دار أفست ليدن، بيروت، لبنان، 1938.

**9.** ابن حيان القرطبي، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء أبو مروان (ت469هـ)، تحقيق محمود علي مكي، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية دط، القاهرة، 1390هـ.

**10.** ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت280هـ/893م) المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، دط، بيروت، 1889.

**11.** ابن خلدون يحيى أبو زكريا بن محمد بن محمد (ت 780هـ): بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، م1، مطبعة بيارفونطانا، ط1، الجزائر، 1903.

**12.** ابن عبد ربه الحفيد: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دط، در الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1985.

**13.** ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة ج.س كولان، أليقي يروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت 1983.

**14.** ابن عساكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب بين مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977.

**15.** ابن مرزوق محمد التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانى أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوسي بيغير، دط، عاصمة الثقافة، تلمسان، 2011.

**16.** ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني، (كان حيا 1025هـ/1611م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، 1336هـ– 1908م.

**17.** ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (متوفى:711هـ)، لسان العرب، ج3، ط3، دار صادر، بيروت 1414هـ.

**18.** الإدريسي حمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المتوفى (ت 560هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، ط1، عالم الكتاب، بيروت، 1994.

**19.** الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت346هـ/957م): المسالك والممالك، دط، دار صادر، بيروت، 2004.

**20.** البرتلي الولاتي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

**21.** البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

**22.** التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، تحقيق الأستاذ محمد مطيع، دط، مطبعة نضالة، المغرب، 2000.

**23.** ----------: معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق فاطمة الحراق، جون هانويك، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، دط، الرباط، 2000.

**24.** ----------: نيل الابتهاج لتطريز الديباج، ج1، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989.

**25.** ----------: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، المملكة المغربية، 2000،

**26.** التنسي محمد عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر العقبان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود آغا بوعياد، دط، المؤسسة الوطنية للفنون والطباعة، الجزائر، 2011.

**27.** حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم الحاج خليفة (ت1067ه)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، دط، مكتبة المثنى، بغداد، 1941.

**28.** الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626ه)، معجم البلدان، ج4، دار صادر، ط2، بيروت، 1995.

**29.** الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900ه/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، 1980.

**30.** الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت748: سير أعلام النبلاء، ج15، دط،، دار الحديث القاهرة.

**31.** السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر: تاريخ السودان، مطبعة بردين، باريس، 1981.

**32.** السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق علي سامي النشار، ط2، دار النهضة، القاهرة، 1970.

**33.** الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ): تاريخ الرسل والملوك، ج9، ط2، دار التراث، بيروت، 1987.

**34.** العدوي أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي العمري، شهاب الدين (ت749هـ): مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ج5، المجتهد الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1423هـ.

**35.** العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد (1661-1663)، ج1، ت سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دط، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006.

**36.** الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (644هـ/714هـ): عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2 منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.

**37.** القزويني زكريا بن محمد بن محمود (682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دط، بيروت.

**38.** القلصادي أبو الحسن علي: رحلة القلصادي (ت891هـ)، دط، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978.

**39.** القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى، ج5، دار الكتاب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

**40.** القيرواني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (المعروف بـــ: ابن أبي دينار القيرواني): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ.

**41.** المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي محي الدين (ت647ه/1250م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تحقيق صلاح الدين الموارثي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

**42.** المغيلي محمد بن عبد الكريم: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط1،، دار بن حزم بيروت، 1994.

**43.** ----------: شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي (تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي) دراسة وتحقيق الدكتور علال بوربيق، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، طبعة خاصة، الجزائر، 2013.

**44.** ----------: مدونة نازلة يهود توات، مج5، دط، تحقيق مقدم مبروك، تقديم بو عبد الله غلام الله دار القدس العربي، وهران، 2011.

**45.** ----------: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ط1، تحقيق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

**46.** المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة منبولي، القاهرة، 1991.

**47.** المقرزي تقي الدين أحمد بن علي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 2000.

**48.** المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، دط، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

**49.** ----------: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1983.

**50.** المنجم إسحاق بن الحسين (ت القرن 4 ه): أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1408ه.

**51.** المهلبي الحسن بن أحمد العزيزي المتوفى (ت 380ه/990م)، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، **ج1**، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه تيسير خلف.

**52.** الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، ج5، تحقيق وتعليق جعفر الناصري– محمد الناصري، دار الكتاب دط، الدار البيضاء، 1997.

**53.** الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983.

**54.** الونشريسي أحمد: المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ج2، تحقيق مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

**55.** اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي: البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422ه

## * المراجع:

**1.** ابن بابا حيدة ابن عبد الرحيم: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود خرج، دط، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.

**2.** أبو مصطفى كمال السيد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، من خلال نوازل وفتاوى، مركز الاسكندرية للكتاب، دط، الاسكنديرية، 1996.

**3.** أحمد أبا الصافي جعفري: حوار الإمام المغيلي (ت909ه/1503م) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، كتاب تاريخ توات (أبحاث في التراث)، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2008.

**4.** أرسلان شكيب: خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، دط، مطبعة المنار، مصر، 1925.

**5.** ألفرد بال: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تقديم عبد الرحمان البدوي، ط، دار الغرب الإسلامي2، بيروت لبنان، 1981.

**6.** البكري عبد الحميد: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 ه إلى القرن 14ه، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

**7.** بلولة إبراهيم محمد أحمد: الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، دراسات دعوية، العدد 9 فبراير2005.

**8.** بن قربة صالح وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

**9.** بن نادر الطيب: الجزائر حضارة وتاريخ (الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف)، دار الهدى، دط، الجزائر، 2008.

**10.** بوعزيز يحي: تاريخ إفريقية الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2001.

**11.** --------: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

**12.** الثعالبي عبد العزيز: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1990.

**13.** الجمل شوقي عطا الله: الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988.

**14.** الجمل شوقي عطاء الله، عبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، القاهرة، 1996.

**15.** الحاج محمد رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005

**16.** حاجيات عبد الحميد وآخرون: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007

**17.** حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، ج2، (الأحوال الاقتصادية والثقافية)، ط1، دار الحضارة الجزائر، 2007.

**18.** حمد سعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، معجم الأسرار الحاكمة، ج1، دار المعارف، دط، مصر، 1969.

**19.** الخلف سالم عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية،، السعودية، 2003.

**20.** خلفات مفتاح: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دط، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2011.

**21.** الدالي الهادي مبروك: آفات لأدب إفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، دار حنين للطباعة والنشر، بيروت، 1996.

**22.** رزوق محمد: الأندلسيون وهجرانهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17، ط3، أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، 1998م.

**23.** زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأورزي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989

**24.** الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002

**25.** سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، مؤسسة كتاب الجامعة والأوقاف، الجزائر، 2006.

**26.** سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دط، دار البصائر، الجزائر، 2007.

**27.** ----------: تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

**28.** السعدي عثمان: الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954، دط، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.

**29.** سعيدوني ناصر الدين: التجربة الأندلسية بالجزائر، ندوة الأندلس، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1، الرياض، 1996.

**30.** سيدي موسى محمد الشريف: مدينة بجاية الناصرية (دراسة في الحياة الاجتماعية الفكرية)، دط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

**31.** شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج2، دار العلم للملاين، ط1، بيروت، 1993

**32.** شترة خير الدين: الفكر الإصلاحي والدعوة عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، طبعة خاصة الجزائر، 2013.

**33.** شكري أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1230–1430)، منشورات المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1999.

**34.** شلبي أحمد: موسوعة التاريخ (الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن)، ج6، مكتبة النهضة المصرية، ط6، مصر 1966.

**35.** الصلابي علي محمد: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي (فقه التمكين دولة المرابطين)، ج2، د ط، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003.

**36.** العبادي أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دط، دار النهضة العربية، بيروت، دت.

**37.** عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

**38.** عبدلي لخضر: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط1، ابن النديم للنشر، وهران، 2011.

**39.** العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1983.

**40.** العفيفي عبد الحكيم، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة والتوزيع، بيروت، 2000.

**41.** عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962: ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

**42.** عنان محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

**43.** الغنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة المغرب العربي مج، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994.

**44.** الفاروقي إسماعيل راجي، لوس لمياء الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مراجعة رياض نور الله، مكتبة العبيكان، ط1 الرياض، 1998.

**45.** الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام) دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1998

**46.** فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 2002.

**47.** قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

**48.** قربان عبد الجليل: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.

**49.** ك.مادهوبابيكار: الوثنية والإسلام (تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية)، ترجمة وتحقيق أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة (مشروع قومي للترجمة)، ط2، 1998.

**50.** كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968.

**51.** الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي: تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت 2003.

**52.** لرمبار مولريس: الإسلام في مجده الأول من القرن (3هـ إلى5هـ)، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ط1، منشورات دار الوفاق الجديدة، المغرب، 1990.

**53.** لقبال موسى وآخرون: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العثماني، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

**54.** لوثروي ستوارد: حاضر العالم الإسلامي، ج2، ط3 تحقيق شكيب أرسلان، عادل نويهض، دار الفكر، القاهرة، 1971.

**55.** الماحي عبد الرحمان عمر: الدعوة الإسلامية في إفريقيا (الواقع والمستقبل)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1989.

**56.** ----------: الدعوة الإسلامية في إفريقيا (الواقع والمستقبل)، دط، دي وان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

**57.** مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية العالمية، ج8، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999.

**58.** مخلوف محمد بن عمر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، دط، القاهرة، 1349هـ.

**59.** المطوي محمد العروسي: السلطة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

**60.** موسى عز الدين عمر: دراسات إسلامية غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 2003.

**61.** الميلي مبارك محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، دط، مطابع بدران وشركاءه، بيروت، لبنان، 1964.

**62.** هرامة عبد الحميد: تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ع 041، كلية الدعوة الإسلامية الليبية، طرابلس، 1987.

**63.** هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإعلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، دط، المؤسسة الوطنية للقنوات المطبعية، الجزائر، 1988.

**64.** ياغي إسماعيل، محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ، دط، الرياض، 1993.

**65.** يحي جلال: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، دط، الإسكندرية، 1999.

**66.** يونس محمد مبروك: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العرقية الإفريقية (1952-1977)، ط، دار الكتب الوطنية1، طرابلس، 1988.

*** رسائل جامعية:**

**1.** ابن داود نصر الدين: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن (7-10هـ/13/16م)، رسالة دكتوراه دولة مرقونة، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان (1430-1431هـ/2009-2010)

**2.** بوحسون عبد القادر: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، (633-961هـ/1235-1554م)، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (1428-1429/2007-2008م).

**3.** بوشقيف محمد: العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9 هـ/15م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران،2003-2004.

**4.** خشاب صادق: تأثيرات الفن الأندلسي على نظيره المغاربي (نموذج تلمسان)، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان،2001.

**5.** سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، مرقونة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 1432هـ-1433هـ/2011-2012.

**6.** شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ،667هـ /1126م،1268)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر،2008.

**7.** شقدان بسام كمال عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة النجاح الوطنية فلسطين، 1422هـ/2002.

**8.** مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه دولة، مرقونة، في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1426-1427هـ/2005-2007م.

***المجلات العلمية:**

**1.** بشاري لطيفة: إسهامات التلمسانيون في المجالين الاقتصادي والديني بالسودان الغربي، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان، أيام 3-4-5 أكتوبر 2011، كتاب تلمسان الإسلامية عن التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج2، دط، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011.

**2.** الجلالي سلطاني: الحركة الفكرية والثقافية في عصر المرابطين بالمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية ع:01، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، 1993.

**3.** حاجيات عبد الحميد: تلمسان مركز إشعاع حضاري، مجلة الدراسات التاريخية، ع10، جامعة الجزائر، 1997/1417.

**4.** زبادية عبد القادر: التلمساني محمد بن محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض أثاره وأعماله في الجنوب الجزائر وبلاد السودان، مجلة الأصالة، ع26، السنة الرابعة، شعبان 1395، جويلية/أوت 1975، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2012.

**5.** مبخوت بودواية: أعلام السودان الغربي ما بين القرنين التاسع والعاشر الهجري: حولية المؤرخ: ع: 06، اتحاد المؤرخين الجزائريين، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، جويلية، 2005.

*** المواقع الإلكترونية:**

**1.** شقرون الجيلاني: تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، قسم التاريخ من الموقع: www. Majahh new.ma

**2.** ناعوس يحي بن الطاهر: سيرة محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ص03، مأخوذة من موقع: http://www.alukah.net/culture/0/22525/page consultée le 05/08/2015

**3.** الودغيري عبد العلي: ملامح من التأثير المغربي في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدد عثمان بن فودي مجلة التاريخ العربي، ع50، 1996، منقولة من موقع:
http:/www.attarikh-a la rabi.ma/html/a dad 11 parti6.htm

## * المراجع الأجنبية:

1- Said Bouterfa:"Les manuscrits du Tauat "le sud Algérien، collection Kitb Tabulae $n^0$1، Edition Barzakh،2005.

2- Oskar Lenz، TOMBAUCTAU Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan،2Tome Libraire،Hachette bette، Paris، 1887.

# الملاحق

محمد بن عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص292.

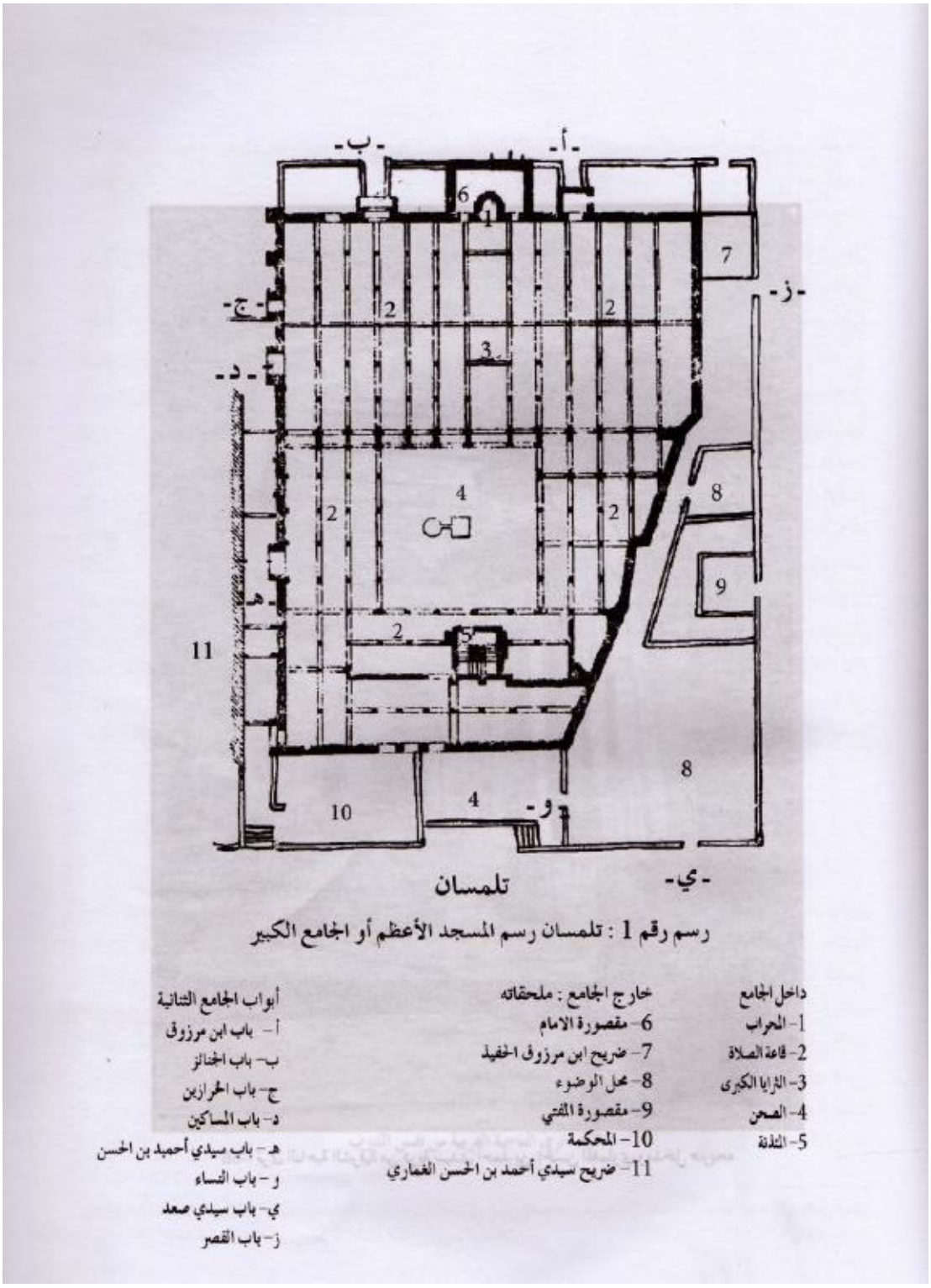


رسم رقم 1 : تلمسان رسم المسجد الأعظم أو الجامع الكبير

الحاج محمد رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، دط، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 2011م، ص173

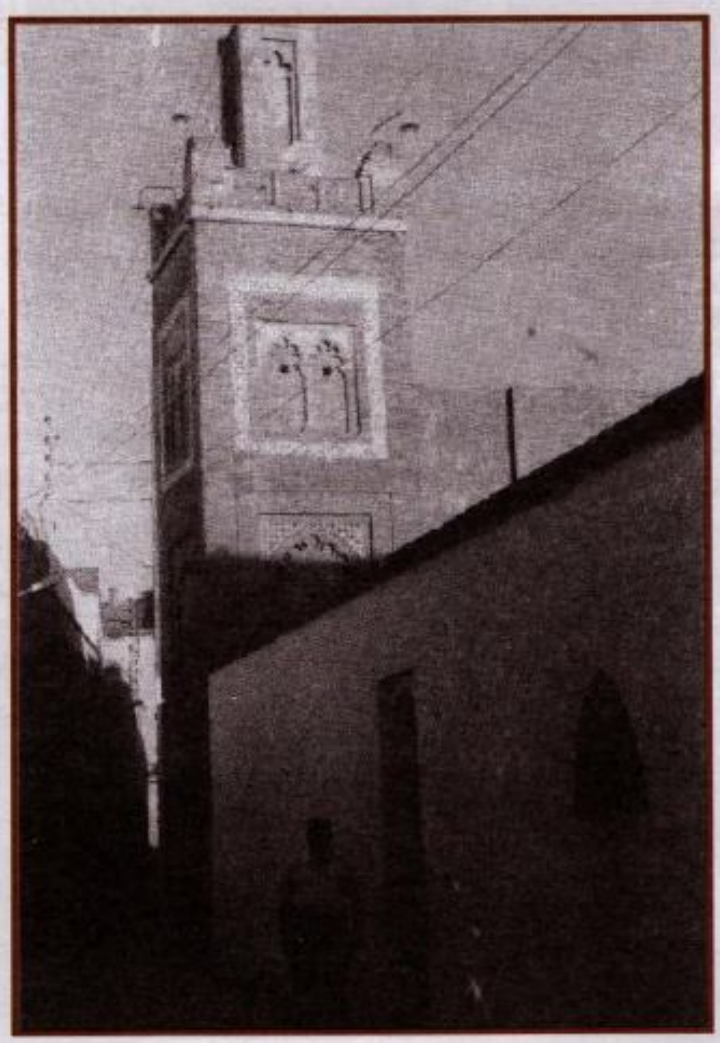

140 – مسجد أولاد الإمام

الحاج محمد رمضان شاوش: المرجع السابق، ص197.

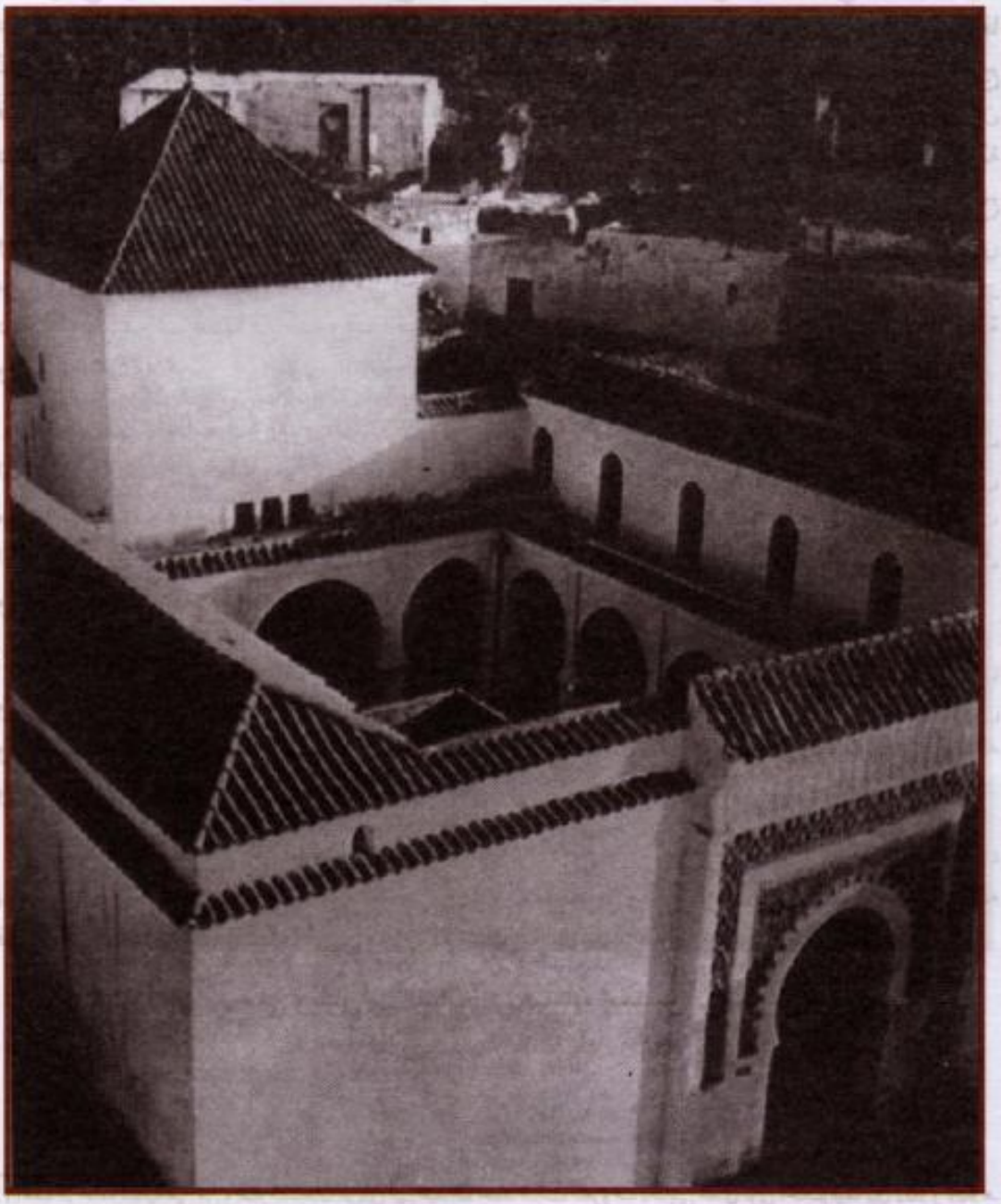

115 – مدرسة سيدي أبي مدين:
الباب، الصحن، البيوت وقاعة الصلاة. وإلى جانب كونها مكانا للعبادة كانت
كذلك مركزا لتكوين العلماء المتصوفين ورجال الثقافة

الحاج محمد رمضان شاوش: المرجع السابق، ص248.

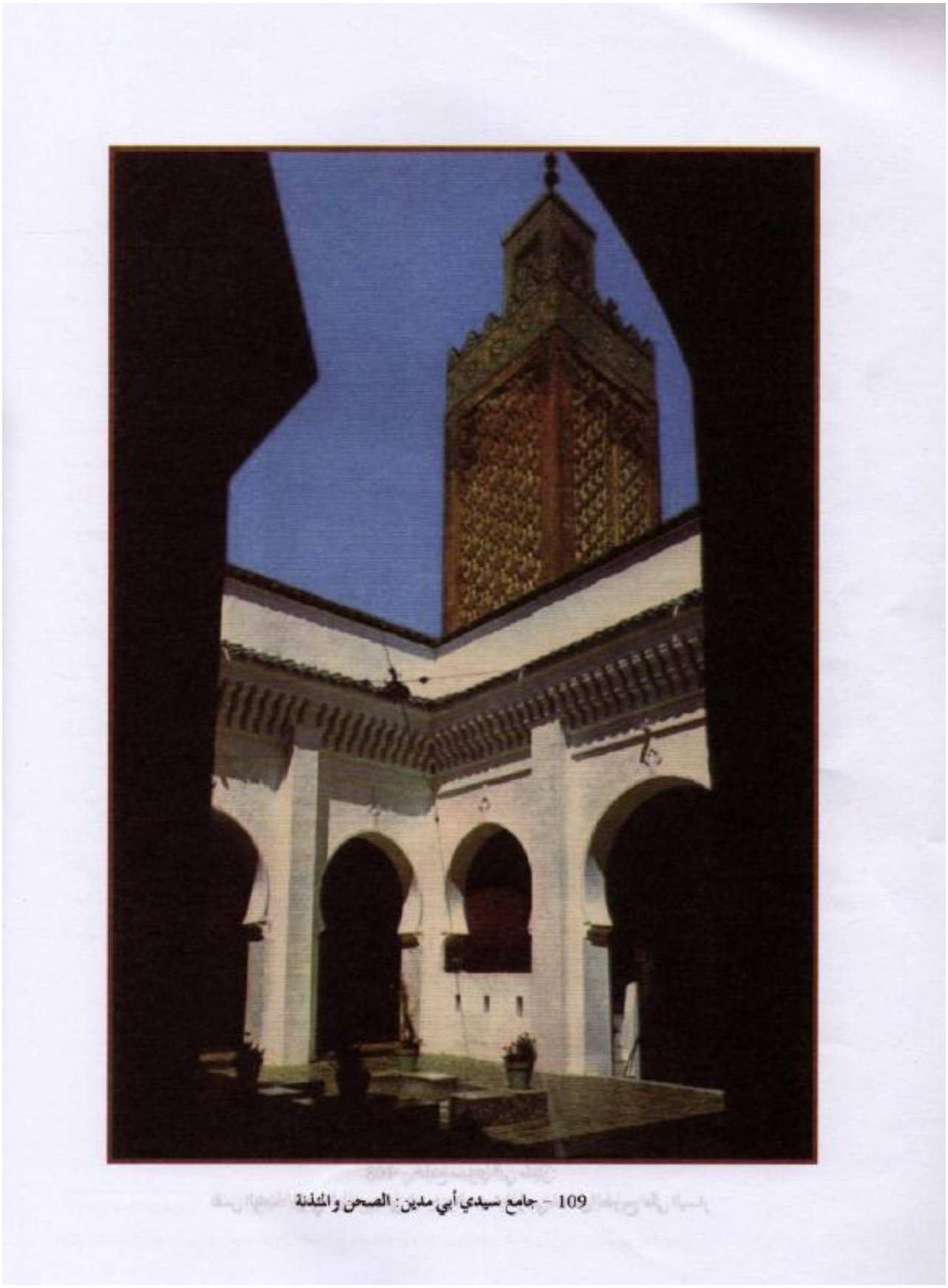

109 - جامع سيدي أبي مدين: الصحن والمئذنة

الحاج محمد رمضان شاوش: المرجع السابق، ص256.

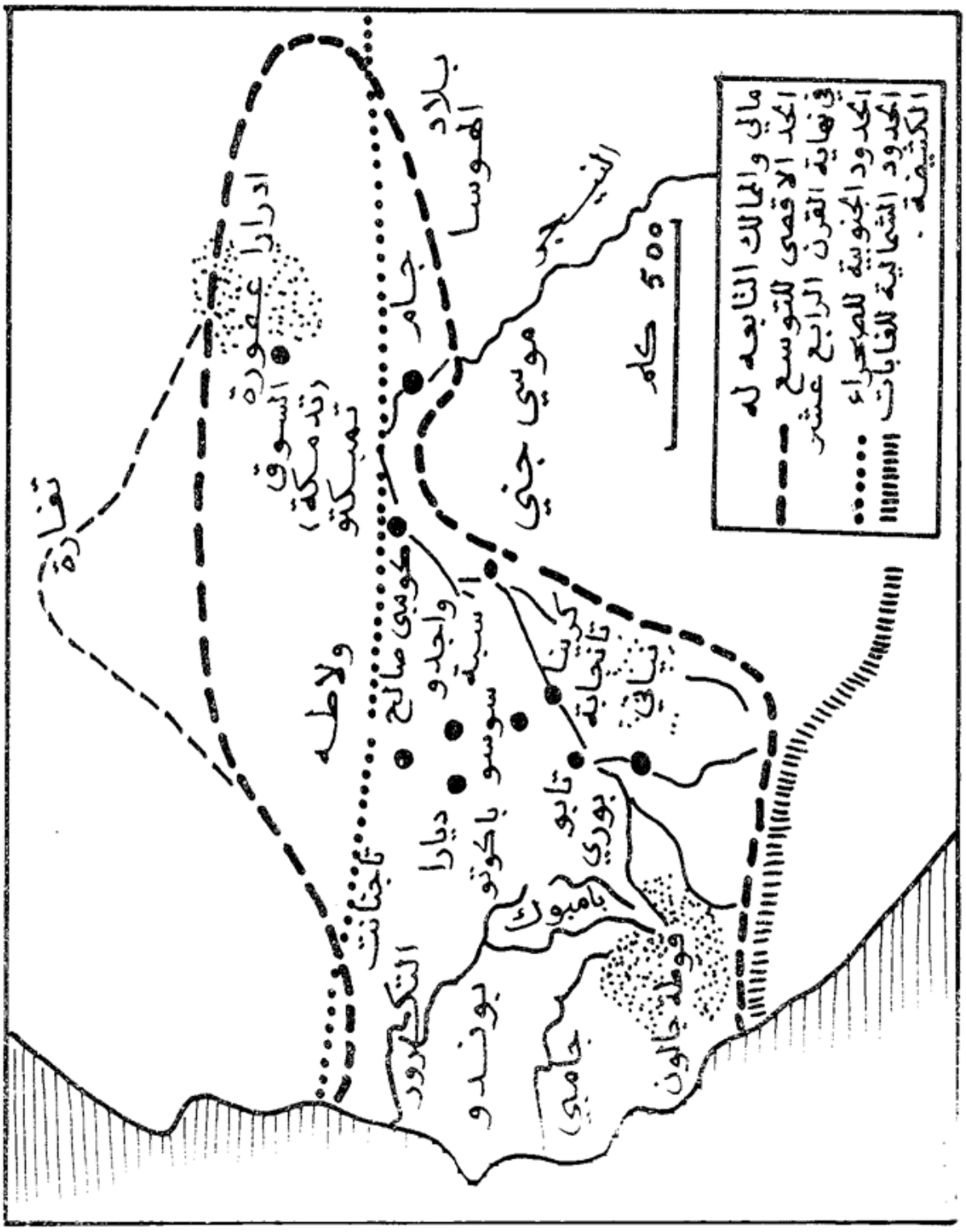


إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، الجزائر، 1983،ص 392.

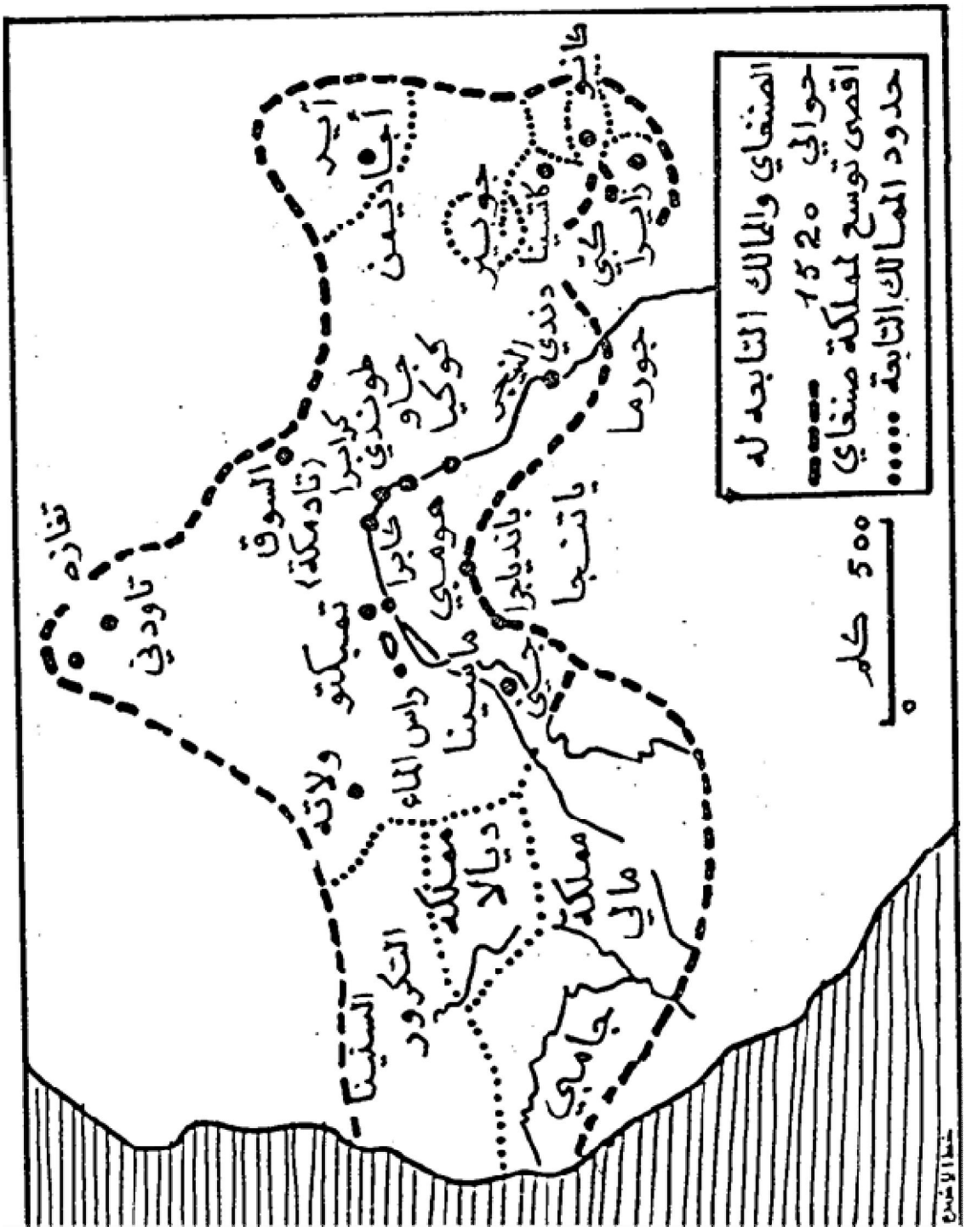


إسماعيل العربي : مرجع سابق، ص 393.

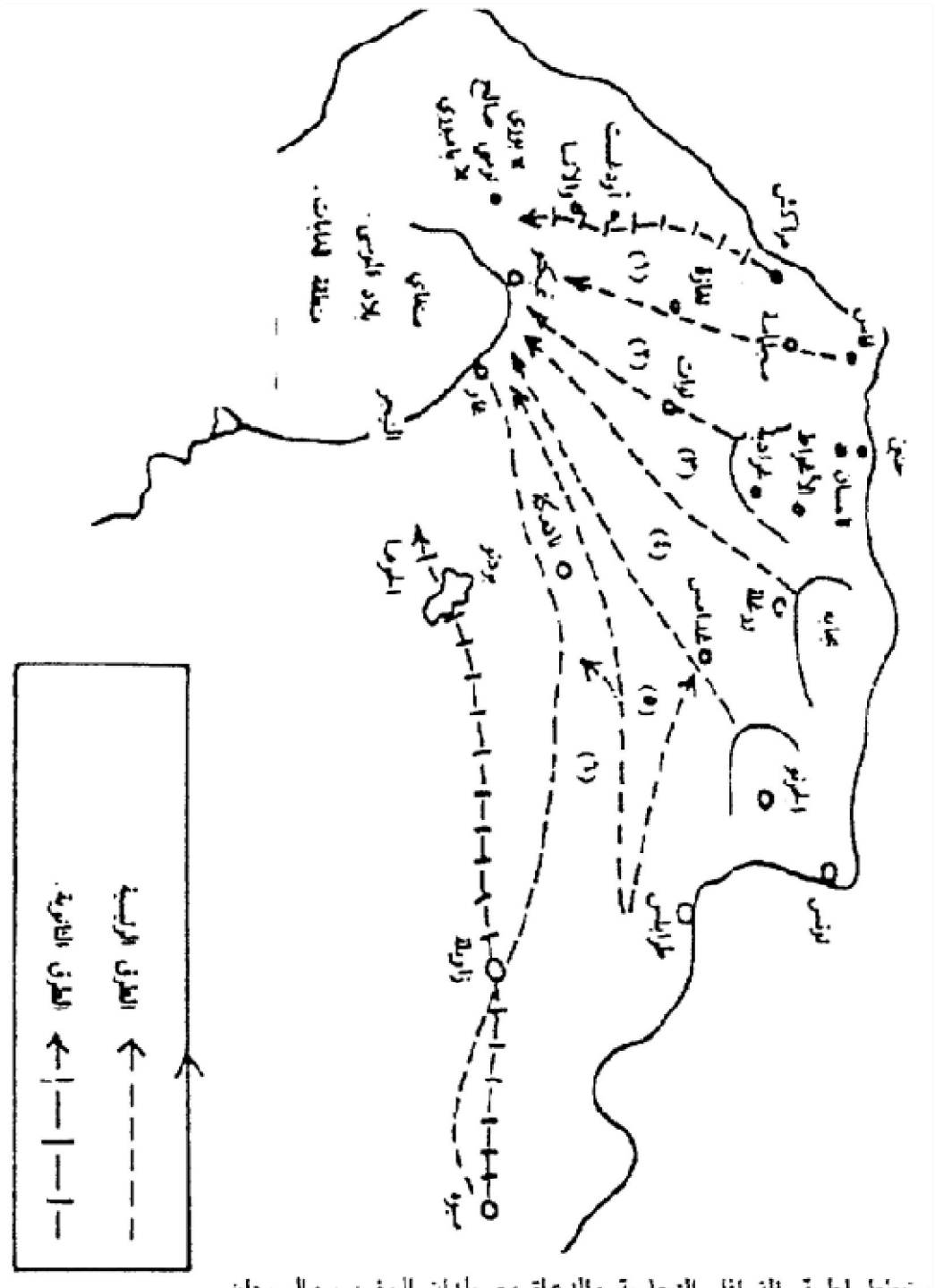


مخطط لطرق القوافل التجارية والدعاة مع بلدان المغرب والسودان الغربي في عهد إمبراطورية سنغاي

خيرالدين شترة : الفكر الإصلاحي والدعوي عند الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر،2013،ص 460.

توضيح بعض أماكن دعوة المنبلي الإصلاحية في السودان الغربي
[كانو، كاتسينا، غادمس، تاكدة، غار دعاصمة الإمبراطورية]

إمبراطورية السنغاي الإسلامية في غرب أفريقية في القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي)

خيرالدين شترة مرجع سابق، ص 461.

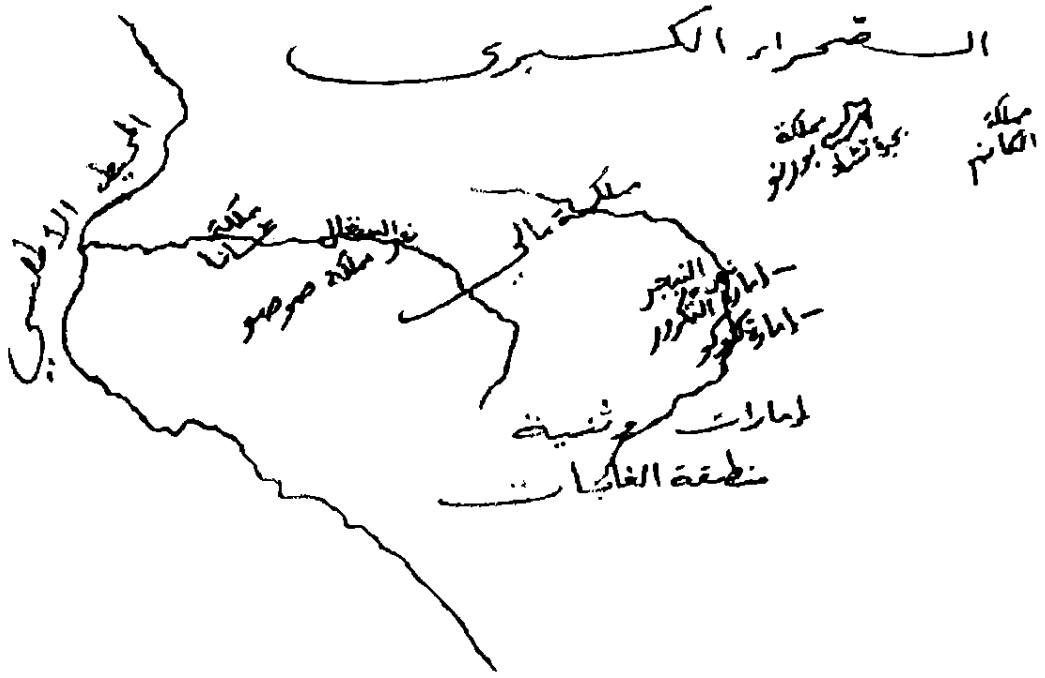


المماليك الإسلامية في السودانيين الغربي والأوسط حسب القلقشندي (القرن 15م)

## الفتوحات في غرب إفريقيا حتى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م

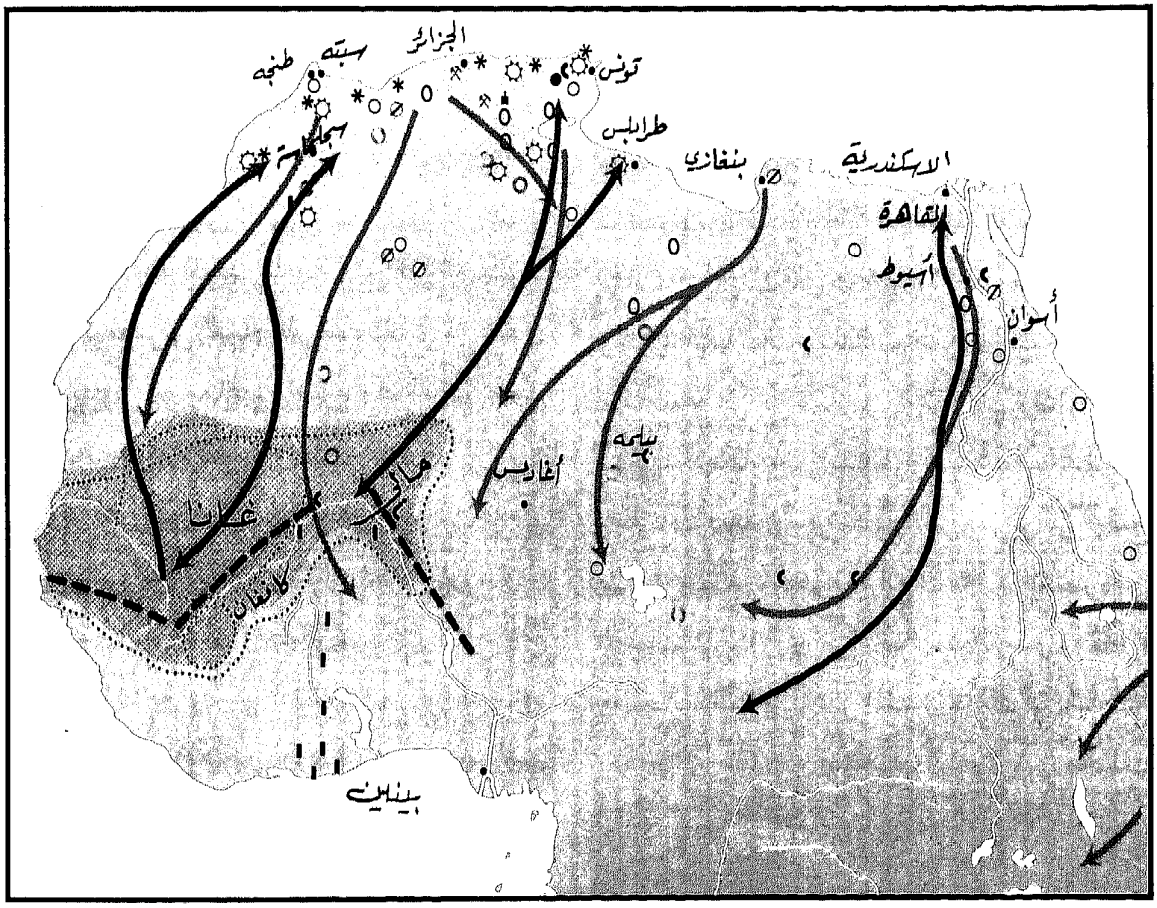


طرق سلكها الإسلام

طرق تجارية عبر الصحراء

طرق نهرية

أوائل مراكز النشاط الإسلامي

بضائع الإنتاج والتجارة :

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| زيتون * | معدن الحديد | رصاص | نحاس ● | ذهب ▮ |
| صوف ⌀ | قطن | عاج | فواكه / أطعمة ○ | |
| | تمور ○ | نفط وقار ▮ | | جلود ◎ |

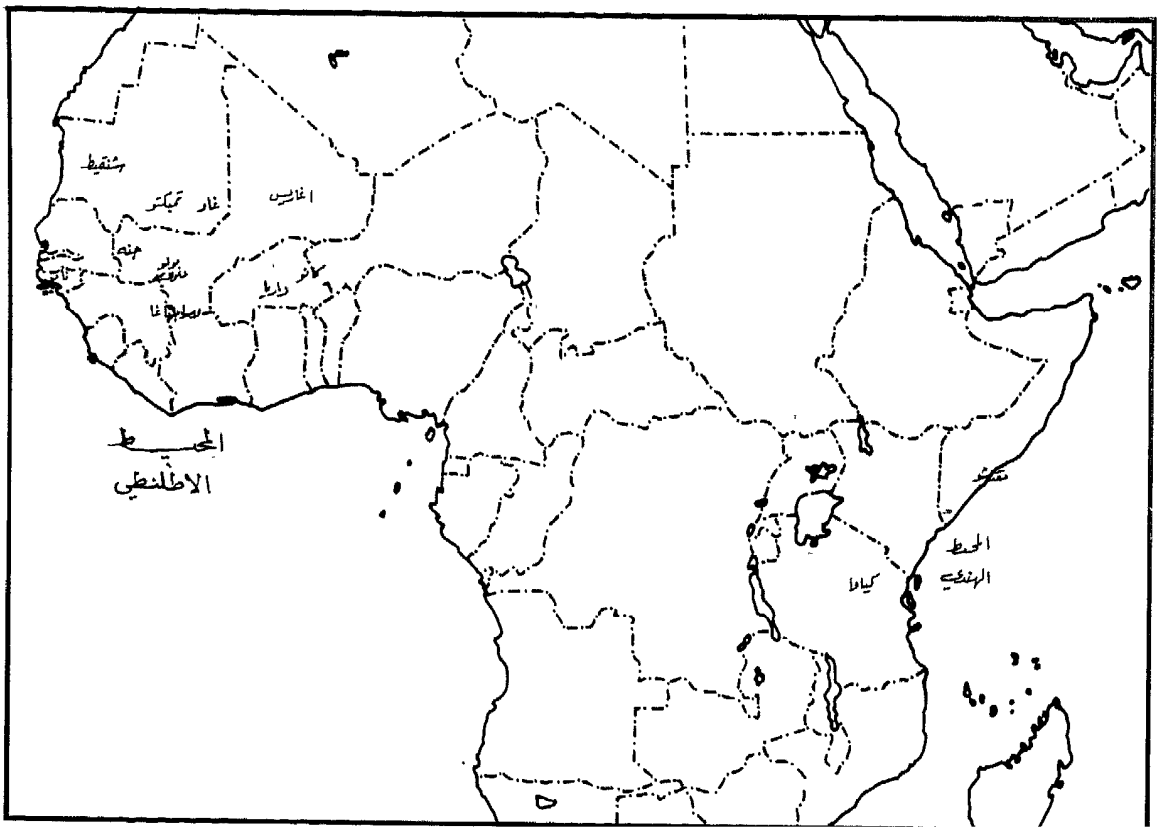


**المنطقة ٢ :** **قاعة ذات سقف مُعمّد**

| | |
|---|---|
| كيلوا – تنزانيا | الجامع الكبير ( القرن ١٥م) |
| آگاديز | الجامع الكبير ( القرن ١٦ – ١٩م) |
| بوبو – ديولاسّو | المسجد الجامع (القرن ١٩م) |
| شينگيتي [ شنقيط] | الجامع الكبير ( القرن ١٣ – ١٥م) |
| جينّي | الجامع الكبير ( القرن ١٤ – ٢٠م) |
| گاو | آسكيا الحج - ١٣٢٥م) |
| كانو | المسجد الجامع ( القرن ١٥– ١٩م) |
| لارابانگا | المسجد الجامع ( القرن ١٧ – ١٩م) |
| ماسكا | المسجد الجامع ( القرن ١٩م) |
| موگاديش [ مقديشو] | فخر الدين ( القرن ١٣م) |
| تمبكتو | الجامع الكبير ( ١٣٢٥م) |
| | جامع سنكور ( القرن ١٤ – ١٥م) |
| زاريا | المسجد الجامع ( القرن ١٩م) |

**وحدات مقبّبة**

| | |
|---|---|
| كيلوا | مسجد صغير مقبب ( القرن ١٥م) |

**ذو قبة مركزية**

| | |
|---|---|
| نامو | المسجد الجامع ( القرن ١٨ – ١٩م) |

المستعملة في فنون المكان يتطابق كذلك مع ما سبق الكلام عليه بخصوص فنون الزخرفة، وذلك بعدم التركيز على القيمة الجمالية للخصائص الطبيعية للمواد المستعملة ، ويُوجّه اهتمام الناظر عوضا عن

# فهرس الأعلام


إبراهيم الزلفي، 84

إبراهيم المصمودي، 69،73

ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي،119 120

ابن أبي عبد الله الشوذي، 69،74

ابن الأثير، 29

ابن الحاجب، 63،65،94،104

ابن الخطيب، 26، 28

ابن الفقيه، 36

ابن بطوطة، 7، 82، 88، 95

ابن حوقل، 40، 47

ابن خرداذبة، 36

ابن خلدون، 6، 8، 17، 21، 26، 27، 33، 35، 36، 50، 52، 62، 64، 66

ابن رشد، 105

ابن زكري، 112

ابن عاشر الفاسي، 105

ابن عاشور، 66

ابن عبد ربه الحفيد، 17، 29، 45

ابن عذارى، 23

ابن غازي، 9، 120

ابن كحيل، 64

ابن مريم، 6، 16، 114، 64، 70، 99، 100، 105، 110

ابن مريم المديوني التلمساني، 6

ابن هشام، 105

ابني الإمام، 68، 73

أبو إسحاق إبراهيم التَّنَسي، 64

أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، 61، 68

أبو إسحاق الساحلي، 84

أبو الأنوار ابن عبد الكريم التنلاني، 113

أبو الحسن المريني، 74، 75

أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، 69، 74

أبو العباس أحمد العاقل، 62، 74

أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الله بن ابي يعقوب، 98

أبو العباس أحمد بن عمر بن أقيت، 113

أبو العباس إدريس الواثق بالله المعتمد عليه، 31، 32

أبو الفداء، 27

أبو المحاسن محمود بن عمر، 112

أبو بكر أحمد بن عمر بن محمد أقيت، 99، 104
أبو بكر بن أحمد بير، 86
أبو بكر دادو، 55
أبو حجلة، 65
أبو حفص عمر بن أحمد أقيت، 99
أبو حمو الثاني، 33
أبو حمو موسى الأول، 33، 73
أبو حمو موسى الثاني، 61، 69، 73، 78
أبو زكرياء يحي ابن أبي البركات الغماري، 71، 112
أبو زيان، 78
أبو زيان محمد الثاني، 61، 78
أبو سعيد عثمان الأول، 68
أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني، 73
أبو عبد الله التنسي، 61
أبو عبد الله الشيعي، 21، 24
أبو عبد الله العصنوني، 111
أبو عبد الله أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي، 86، 98، 100
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، 64، 66
أبو علي ناصر الدين المشدّالي، 63، 64
أبو عنان فارس المريني، 69
أبو مهدي الماواسني، 112
أبو موسى عمران المشدالي، 63، 73
أبو يحي بن محمد الميناري، 118
أبوعبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكتي، 99
أبي الإمام، 64
أبي البهار، 26
أبي الحسن بن يخلف التنسي، 68
أبي الدبوس، 31، 32
أبي العباس أحمد بن البناء الأزدي، 103
أبي العباس بن البناء، 65
أبي الفضل عياض، 61، 104
أبي تاشفين، 27
أبي تاشفين الأول، 73
أبي حمو موسى الثاني، 61، 69
أبي زيد عبد الرحمان، 73
أبي عبد الله الشريف، 64
أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي، 69، 74
أبي عبد الله الشيعي، 20
أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي، 56
أبي عبد الله بن يعقوب، 101
أبي عبيدالله ابن عبد العزيز البكري، 7

أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، 22
أبي على الحسن بن مخلوف، 62، 74
أبي عنان المريني، 68
أبي عنان فارس المريني، 69، 74
أبي مدين شعيب، 71، 74
أبي موسى الأشعري، 114
أبي موسى عمران المشدالي البجائي، 73
أبي موسى عيسى، 73
أحمد البكاي، 119
أحمد الذهبي المنصور، 56
أحمد العاقل، 74
أحمد الغماري، 71
أحمد الكنتي، 115، 119
أحمد المقري، 74
أحمد الونشريسي، 112
أحمد بابا التبكتي، 80، 88، 94، 99، 101
أحمد بغيغ، 81
أحمد بن إبراهيم الآبلي، 66
أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، 99
أحمد بن الإمام صديق، 85
أحمد بن الحاج أحمد بن محمد أقيت، 104
أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنبكتي، 86
أحمد بن يحي الونشريسي، 9
أسقيا الحاج محمد، 86، 87، 101
أسقيا داود، 56، 87، 91
أسكيا الحاج محمد، 114
أقيت، 121
آل ضياء، 55، 82
الإدريسي، 28، 35، 40
الأسقيا محمد الأول، 56
الأسقيا محمد الثالث، 56
الأسقيا محمد الثاني، 56
الأسقيا محمد الكبير، 86، 101
الإصطخري، 37، 39
الإمام أفلح، 22
الباغانا، 43
البامبر، 43
البامبرا، 42
البربر، 16، 17، 18، 20، 35، 38، 43، 48، 50
البرتلي، 07، 16، 23، 24، 40، 44، 45
البكري، 48، 54
التاجوري، 103، 105

التازي، 71، 104
التوبو، 43
الحبش، 36
الحريري، 105
الحسن البصري، 114
الحسن الوزان، 7، 52، 70، 72، 75، 82، 84
الحسن بن مخلوف أبركان، 62، 74
الحلوي، 64، 66، 67، 68، 69، 71، 72، 74
الحموي، 43
الحميري، 46، 55
الروم، 29، 39
السامانكي، 42
السركلي، 42
السعدي، 9، 44، 80، 81، 85، 88، 104
السنوسي، 9، 71، 102، 105، 111، 112، 120
السوتنكي، 55
السوننكي، 42
السيوطي، 81، 82، 115، 119، 120
الشريف الحسني، 73
الصافي جعفري، 11
الصالح طبرس، 64
العاقب، 113، 120
العاقب الأنصمني، 104
العاقب بن القاضي محمود، 85، 87
العباس كنت الجندي، 81
الفولاني، 43، 97
الفوللا، 42
القاسم بن أندرس، 111
القاضي محمود كعت، 80، 88
القزويني، 38
القلقشندي، 17
المالنكي، 42
الماندي، 42
الماندينجو، 42
الماندينغ، 51، 52
المجراد السلوي، 105
المختار بن أبداه، 100
المختار بن القاضي أندغ محمد، 98، 100
المستنصر، 31
المعزُ لدين الله، 25، 26
المعز لدين الله الفاطمي، 24
المنجم، 37
المنصور بلكين، 26

الميرون، 43
الناصر بن علناس، 27
النجار، 113
النَّجَاشِيُّ، 39
النحوي، 86، 98
النوبة، 36، 37، 100
الهمذاني، 36
الهوسا، 42، 43، 89، 104
الواكوري، 42
الولوف، 42، 53
الولي دادة، 71
أندغ محمد، 86، 98، 106
بابا كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين، 100
باديس، 25
باديس الزيري، 26
بنو العباس، 32
بنو القاسم، 32، 33
بنو زيان، 31، 72
بنو عبد الواد (بني عبد الواد)، 6، 16، 17، 31، 32، 33، 59، 126
بنو ورسطيف، 32
بنو ولّلوا، 32
بنو ياتكين، 32
بني الأحمر، 34
بني أمية، 20
بني رستم، 24
بني زيري، 25
بني مادين، 17
بني مرين، 30، 32، 69، 74
بني مزغنة، 16
بني نصر، 126
بني وماتوا، 17
بني يفرن، 17
بني يلمومي، 17
تاشفين، 26، 29، 30، 68، 73
حماد، 26، 27، 28
خليل، 63، 94، 95، 102، 104
خليل بن إسحاق، 63
خودي محمد سانو الونكري، 81
زيري بن مناد، 25
ساسكي محمد الحاج، 113
سراج الدين الحلبي، 39، 46
سعيد البكري، 113
سيدي إبراهيم التازي، 71
سيدي الهواري، 71
سيدي يحي التادلي، 100
شعب الهوسا، 42، 43، 48، 96

شهاب الدين العمري، 51
شهاب الدين القرشي، 38
صديق بن محمد تغل، 85
عبد الجبار المغيلي، 112
عبد الجبار تشغيبا، 111
عبد الرحمان التاجوري، 103، 104
عبد الرحمان الثعالبي، 71
عبد الرحمان السعدي، 10، 44، 80، 81، 85، 88، 98، 104
عبد الرحمان بن الفقيه محمود، 36، 86
عبد الرحمان بن رستم، 21
عبد الرحمان بن سبع، 112
عبد الرحيم الأول، 118
عبد القادر الجيلالي، 71
عبد الكريم المغيلي، 1، 2، 4، 9، 10، 56، 81، 83، 87، 90، 95، 96، 101، 102، 103، 104، 107، 108، 110، 112، 113، 114، 115، 117، 118، 119، 120
عبد الله الكومي، 84
عبد الله المقري، 74، 78، 105
عبد الله المهدي، 24
عبد الله بن ياسين، 49، 50
عبد المؤمن، 31
عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي، 111
عثمان بن الحسن بن الحاج التشيتي، 85
عقبة ابن نافع الفهري، 19
علي الجزولي، 85
علي بن أبي طالب، 33
علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، 27، 28، 29، 30، 68، 73
علي كلن، 55
عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي، 119
عمر الكنتي بن علي، 115
عمر بن الخطاب، 114
عمر بن عبد العزيز، 114
عمر بن محمد نض، 102
عمر نض، 103
عمرو بن العاص، 19
قبائل دماندينكو، 48
قبيلة جدّالة، 38، 43، 48
قبيلة صنهاجة، 29، 49، 50
قبيلة فُلْبي، 48
قبيلة لمطة، 43، 50
قبيلة مسوفة، 43
قبيلة نفوسة، 21

كنكاي موسى، 53
لسان الدين بن الخطيب، 26، 38
محمد الفزاني، 86
محمد الفيلالي، 82
محمد الكبير، 86، 101
محمد المتوكل، 8
محمد بغيغ، 81
أحمد بغيغ، 81
محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، 10
محمد بن أبي بكر بن أكداد الفلاني، 85
محمد بن أحمد الونكري، 87
محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي، 113، 120
محمد بن اسماعيل بن جعفر، 24
محمد بن سعيد أحمد، 86
محمد بن سليمان الجزولي، 105
محمد بن صالح، 119
محمد بن عبد الجبار الفجيجي، 119، 120
محمد بن علي، 87
محمد بن محمود التنبكتي، 102
محمد زنقا بن يعقوب، 113
محمد كعت، 55
محمود بن أبي بكر بغيغ، 81
محمود بن عمر، 99، 112
محمود بن عمر أقيت، 103
محمود بن محمد الزعراني التنبكتي، 87
محمود بن محمد الكابري، 100
محمود كعت، 80، 88
مختار الكنتي، 115، 119
منسى موسى (منسا موسى) 83، 84، 91، 96، 105
منصور الفزاني، 84، 86
ليون الإفريقي، 7
ناصر الدين المشدّالي، 63، 64، 73، 77
يحيى التادلسي، 81
يطوفت، 26
يغمراسن بن زيان، 32، 33، 60، 61، 70

# فهرس الأماكن


آبلة، 64

إشبيلية، 66، 74

أشير، 16، 26

إفريقيا، 1، 7، 10، 11، 23، 42، 43، 47، 49، 50، 54، 82، 86، 97، 98، 114

إفريقيا الغربية، 42

إفريقية، 7، 8، 11، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 26، 35، 44، 51، 55، 61، 76، 104

إفريقية الشمالية، 45

أقدز، 87، 99، 113، 120

إقليم كاغو، 52، 112، 113

اكجوجت، 47

أكدز، 113

الأزهر، 89، 103

الإسكندرية، 29

الأندلس، 2، 9، 29، 30، 31، 59، 65، 66، 67، 69، 70، 77، 86، 104

البحر الأبيض المتوسط،2

البحر الأحمر، 41

البحر الحلو، 46

البحر الرومي، 17

البحر المتوسط، 25، 34

البحر المحيط، 37، 38، 40، 50، 51

البصرة، 36

البيرة، 65

التكرور، 10، 42، 51، 52، 53، 112، 113، 114، 117، 119

الجزائر، 16، 69، 70، 71، 75، 76

الحبشة، 36، 38، 39، 40، 50

الحجاز، 35

الدولة الأغلبية، 20

الدولة الأموية، 20

الدولة الحفصية، 33

الدولة الحمادية، 28

الدولة الرستمية، 06، 11، 16، 21، 22، 32، 33، 34، 35، 60، 61، 62، 69، 70، 72، 75

الدولة الزيانية، 6، 11، 32

الدولة الزيرية، 16، 24

الدولة الفاطمية، 24، 25
الروم، 29
الزاب، 21، 25
الزقاق، 105
السنيغال، 42، 43، 51
السودان، 10، 11، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 48، 49، 50، 52، 56، 57، 87، 94، 96، 97، 103
السودان الأوسط، 40
السودان الشرقي، 40
السودان الغربي، 1، 2، 3، 4، 6، 7، 9، 10، 11، 14، 33، 38، 39، 40، 41، 43، 48، 51، 53، 55، 73، 76، 77، 79، 81، 82، 83، 85، 87، 88، 89، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 114، 115، 116، 117
الشام، 29، 64، 119
الشلف، 64
الصحراء الغربية، 47، 48
الصحراء الكبرى، 40، 41، 43، 47، 50،
الصين، 29
القادسية، 41
القاهرة، 25، 64، 65، 83
القلعة، 4، 26، 27، 28
القيروان، 16، 24، 26، 76، 79، 80
المحيط الأطلسي، 41، 43، 53
المحيط الهندي، 41
المدية، 70
المدينة المنورة، 64
المسيلة، 25، 26
المشرق الأقصى، 37
المغرب، 8، 13، 17، 18، 19، 20، 23، 24، 28، 29، 34، 35، 36، 38، 43، 44، 46، 47، 59، 60، 63، 64، 68، 71، 73، 76، 83، 101، 103، 107، 110، 114
المغرب الأدنى، 16
المغرب الأقصى، 1، 4، 13، 14، 15، 16، 19، 24، 37، 61، 67، 70، 80
المغرب الأوسط، 1، 2، 3، 4، 6، 10، 13، 15، 16، 17، 19، 20، 21،

29، 31، 39، 53، 55، 60، 61،
62، 63، 64، 66، 67، 69، 70،
73، 76، 82، 84، 85، 87، 88،
89، 91، 93، 94، 95، 96، 97،
98، 100، 103، 107، 109، 115،
116، 117
المغرب المتوسط، 14
المغيلي، 4، 11، 81، 94، 95، 96،
98، 99، 100، 101، 102، 103،
104، 105، 106، 107، 108،
109، 110، 111، 114
المفازة، 38
المملكة الفاطمية، 24
المهدية، 16، 24
الناصرية، 25، 27
النيجر، 41، 42، 51، 52، 55
النيجر الأدنى، 54
النيجر الأوسط، 54
النيل، 38، 39، 40، 41، 52
الهند، 29، 36، 41
اليمن، 29، 35
أودغست، 41، 50
أوروبا، 21
أوليل، 35، 41
أولينى، 39
باب أبي قرّة، 16
باب الحمام، 16
باب الخوخة، 16
باب الرقادة، 24
باب العقبة، 16
باب وهب، 16
بجاية، 04، 27، 28، 29، 59، 63، 86
بحر الأوقيانوس الغربي، 38
بحر الروم، 17
بحر الظلمات، 35
بحر العرب، 37
بحر القلزم، 37
بحر فارس، 41
بحيرة تشاد، 43
برقة، 19، 50
بريسي، 35
بغداد، 22، 23
بلاد البربر، 35، 50
بلاد الروم، 29
بلاد الزناتة، 33
بلاد الزنج، 36، 42
بلاد السودان، 33، 35، 43، 44، 47،
بلاد السودان الغربية، 40

بلاد الكانم، 43
بلاد المغرب، 17، 18، 20، 40، 45، 59، 63، 70، 78، 79
بلاد النوبة، 37، 40
بلاد الهند، 36
بلاد اليمن، 29، 35
بلد الدمدم، 45
بلنسية، 66
تادمكة، 54
تازا، 17
تاهرت، 22، 23
تكرور، 10، 38، 42، 51، 53، 116
تلمسان، 2، 6، 8، 11، 13، 14، 15، 16، 20، 30، 31، 32، 33، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 70، 72، 73، 74، 75، 79، 82، 85، 92، 95، 102، 103، 106، 107، 110، 115، 116
تمبكتو، 48، 52، 53، 54، 80، 81، 82، 86، 88، 90، 99، 104، 113، 114
تمبوكتو، 4، 43، 112
تمنطيط، 111، 112
تنبكتو، 80، 82، 84، 86، 87، 126
تنبوكتو، 1
تنزل، 16
تنس، 61، 64، 65
توات، 11، 87، 90، 111، 112، 117، 118، 119، 125
تونس، 16، 31، 64، 66، 68، 111، 112
جامع الزيتونة، 68
جامع العباد، 74
جامع القرويين، 68
جامع المنصورة، 69
جاو، 54، 82
جبل المعاضيد، 26
جبل نفوسة، 21
جدالة، 38، 43
جزائر بني مزغنة، 16
جنوب السنيغال، 42
جني، 1، 51، 82، 92، 96، 113، 117
جيني، 48
حوض السنغال، 49
حوض السنيغال، 42
خليج سرت، 26

داكار، 42
داندي، 43
داهومي، 43
دمدم، 45
دمشق، 65
دندن، 82
دندي، 54
دولة آل زيري، 26
دولة الحماديين، 27
دولة المرابطين، 27، 29، 30
دولة الموحدين، 31، 33
دولة بني العباس، 20
دولة بني حماد، 26، 27
دولة بني رستم، 22
دولة بني زيان، 2، 34، 59
دولة بني عبد الواد، 16، 32، 33
دوموراً، 51
رعوين، 46
زافون، 51
زاوية عين الحوت، 71
زغا، 51
زغاوة، 50
زناتة، 16، 17، 32، 33
زندر، 117
زويلة، 19
سجلماسة، 1، 36، 50
سَلاَ، 35
سنغانة، 151
سنغاي، 53، 54، 55، 56، 80، 82، 86، 91، 101، 114، 115، 116
سنكري، 85، 98، 104
سينغاي، 10
شبه جزيرة إيبريا، 39
صلي، 39
صنغانة، 38
صنغاي، 43
صنهاجة، 29، 49، 50
صوصو، 52، 53
طرابلس، 25، 26، 50، 55، 86
غامبيا، 42
غانا، 40
غانة، 22، 35، 36، 40، 43، 44، 45، 46، 48، 49، 50، 53، 90
غاو، 50، 51، 52، 76، 82، 89، 96، 105، 114، 117
غدامس، 50
غرناطة، 31، 32، 61، 63
غسط، 35

غياروا، 43
غينيا، 40، 106
غينيا العليا، 50
فاس، 60، 64، 65، 75، 79، 80، 86
فجيج، 119
فزان، 87
فندا، 54
فوتا السنيغالية، 42
فولتا العليا، 43، 54
قاليسي، 50
قرطبة، 22، 23، 65
قرية العباد، 69، 72
قلعة بني حماد، 26
كاشنة، 82
كاغو، 103، 112، 113
كانم، 43، 113
كانو، 82، 99، 100، 114
كذالة، 50
كشن، 113، 114
كنو، 113
كوار، 43
كوكو، 53، 54، 55
كومبي صالح، 49، 89
كومية، 17
لبنة، 87
لمتونة، 29، 43، 48، 49، 50
لمطة، 43، 50
لملم، 51
مازونة، 75، 76
مالي، 1، 40، 41، 50، 51، 52، 53، 54، 56، 84، 91، 96
مدينة جني، 81
مدينة غانة، 37، 48، 53
مدينة كوكو، 37، 54، 55،
مديونة، 17
مراكش، 29، 75، 86
مرسى الحجاج، 65
مرسية، 66
مستغانم، 70
مصر، 19، 25، 29، 36، 37، 81، 102، 103، 119
مطغرة، 17
مطماطة، 17
مغرارة، 39
مغراوة، 17، 61
مغيلية، 118
مقزارة السودان، 35
مليانة، 17، 64

مليلة، 17
مملكة الماندينغ، 51
مملكة سنغاي، 54، 55، 56
مملكة غانة، 45، 46، 48، 49، 50، 52
مملكة مالي، 48
مملكة مالي الكبرى، 52
مملكة موشي، 44
موريتانيا، 50
ندرومة، 70
نهر السنغال، 41
نهر النيجر، 41، 42، 54
نهر النيجر الأعلى، 52
نهر النيل، 41
نهر ملوية، 16
نيجيريا، 42، 43، 54
واد عامر، 36
واد مجمع، 17
ودّاي، 97
ولاته، 53
وهران، 8، 14، 17، 30، 65، 66، 70، 71، 76
يوغندا، 97

# فهرس المحتويات

مقدمة.....01
الفصل الأول: الموقع الجغرافي والسياق التاريخي للمغرب الأوسط والسودان الغربي .....13
أولاــ المغرب الأوسط:..... 14
1 – الحدود والمجال:..... 14
2 – السياق التاريخي والحضاري:..... 18
ثانيا – السودان الغربي:..... 35
1 – الحدود والمجال:..... 35
2 – السياق التاريخي والحضاري:..... 41
الفصل الثاني: عوامل الاتصال الفكري والثقافي بين المغرب الأوسط والسودان الغربي .....59
أولا – روافد الحركة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط: ..... 59
1– الرّوافد البشرية: ..... 60
أ– اهتمام الحكام بالعلم والعلماء: ..... 60
ب– الرحلة في طلب العلم: ..... 62
ج– الهجرة الأندلسية:..... 65
2– الروافد المادية: ..... 67
أ– المساجد: ..... 67
ب– الكتاتيب:..... 70
ج– الزوايا:..... 71
د– المدارس: ..... 72
هـ– المكتبات: ..... 77
ثانيا – الحاضنة الفكرية والثقافية بالسودان الغربي:..... 79
1– مراكز النشاط الفكري والثقافي بالسودان الغربي:..... 79

أ- الحواضر: ..... 79
ب- المؤسسات التعليمية والثقافية: ..... 83
2- استقطاب سلاطين السودان الغربي للعلماء وتشجيعهم: ..... 91
الفصل الثالث: تجليات التأثير الفكري والثقافي للمغرب الأوسط في السودان الغربي .....94
أولا – العلوم: ..... 94
1 – العلوم الدينية (النقلية): ..... 94
2 – العلوم اللّسانية: ..... 95
3 – العلوم العقلية:.....101
ثانيا – مساهمة الإمام المغيلي (ت 909هـ/ 1503م) في النهضة الفكرية والثقافية في السودان الغربي: .....107
خاتمة.....124
قائمة المصادر والمراجع .....127
الملاحق .....142
فهرس الأعلام .....154
فهرس الأماكن .....161
جدول المحتويات .....168

# الملخص

# ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى رصد العلاقات الفكرية الثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين (7–9هـ/13–15م)، حيث تم التعريف بالمنطقتين جغرافيا وتاريخيا، مبرزة الأقاليم التي كان لها دور أساسي في التواصل الحضاري، ومحاولة تسليط الضوء على العوامل المتحكمة في هذا الاتصال الحضاري من خلال إظهار الأثر الفكري الثقافي الذي انعكس على بيئة السودان الغربي في شتى مجالات الحياة، والذي بدوره كان بيئة مشجعة لهذا التواصل.

كما تعرضت لدور أهم علماء المغرب الأوسط في تأطير الحركة الفكرية الثقافية بالسودان الغربي، وأثرهم على المنطقة وميادين الحراك الثقافي من خلال نشر اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي السمح ومختلف العلوم النقلية والعقلية، وتكوين علماء من السودان الغربي، لتخلص في الأخير أن العلاقات الفكرية الثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في هذه الفترة كانت إيجابية في جميع المجالات.

# Résumé

Cette étude met en exergue les relations intellectuelles et culturelles entre le Maghreb central et le Soudan occidental pendant la période (7-9ème siècle de l'Hégire / XIII-XVème siècle après Jésus). Elle traite géographiquement et historiquement ces deux territoires mettant en évidence les régions qui ont un rôle capital dans les échanges culturels‹ en essayant ensuite de mettre en valeur les facteurs influençant les échanges civilisationnels en montrant l'impact culturel et intellectuel sur l'environnement du Soudan occidental dans divers domaines de la vie qui était à son tour un environnement favorisant les échanges culturels.

En outre‹ elle évoque le rôle des savants du Maghreb central dans l'élaboration du mouvement intellectuel dans le Soudan occidental marquant ainsi‹ les oulémas les plus éminents et leur impact culturel et intellectuel sur la région et les champs du mouvement culturel à travers le déploiement de la langue arabe‹ la religion islamique et les diverses sciences cognitives et religieuses ainsi la formation des savants soudanais. Pour conclure‹ les relations intellectuelles et culturelles entre le Maroc central et le Soudan occidental pendant la période séparant les deux siècles (7-9/13-15) ont eu des effets positifs dans tous les domaines notamment le côté culturel et intellectuel du Soudan.

Mots clés : les relations intellectuelles - les relations culturelles - le Maghreb central - le Soudan occidental - la période (7-9ème siècle de l'Hégire/XIII-XVème siècle après Jésus).

# Abstract

This study aims at monitoring the intellectual and cultural relations between the Middle Maghreb and the Western Sudan during the period extended between the centuries (VII-IX H / XIII-XV G), where the two regions were defined geographically and historically, as well as highlighting the regions which had a fundamental role in the cultural interaction. This study also attempted to highlight the controlling factors in this civilized connection by demonstrating the intellectual and cultural impact reflected in the Western Sudan environment in various spheres of life, which in turn was an encouraging environment for this communication.

This study has also dealt with the role of the most important Middle Maghreb scientists in framing the intellectual cultural movement in Western Sudan, and their impact on the region and the fields of the cultural movement through the dissemination of the Arabic language and the principles of the tolerant religion of Islam, in addition to the various transcribed and mental Sciences. Furthermore, the formation of scientists from the Western udan , to come to the end that the intellectual and cultural relations between Middle Maghreb and Western Sudan in this period was positive in all areas.



**Key words** **الكلمات المفتاحية**

العلاقات الفكرية، العلاقات الثقافية، المغرب الأوسط، السودان الغربي، الفترة( 7- 9هـ/ 13- 15 م).

Intellectual relations, cultural relations, Middle Maghreb, Western Sudan, the period (VII-IX H / XIII-XV G).

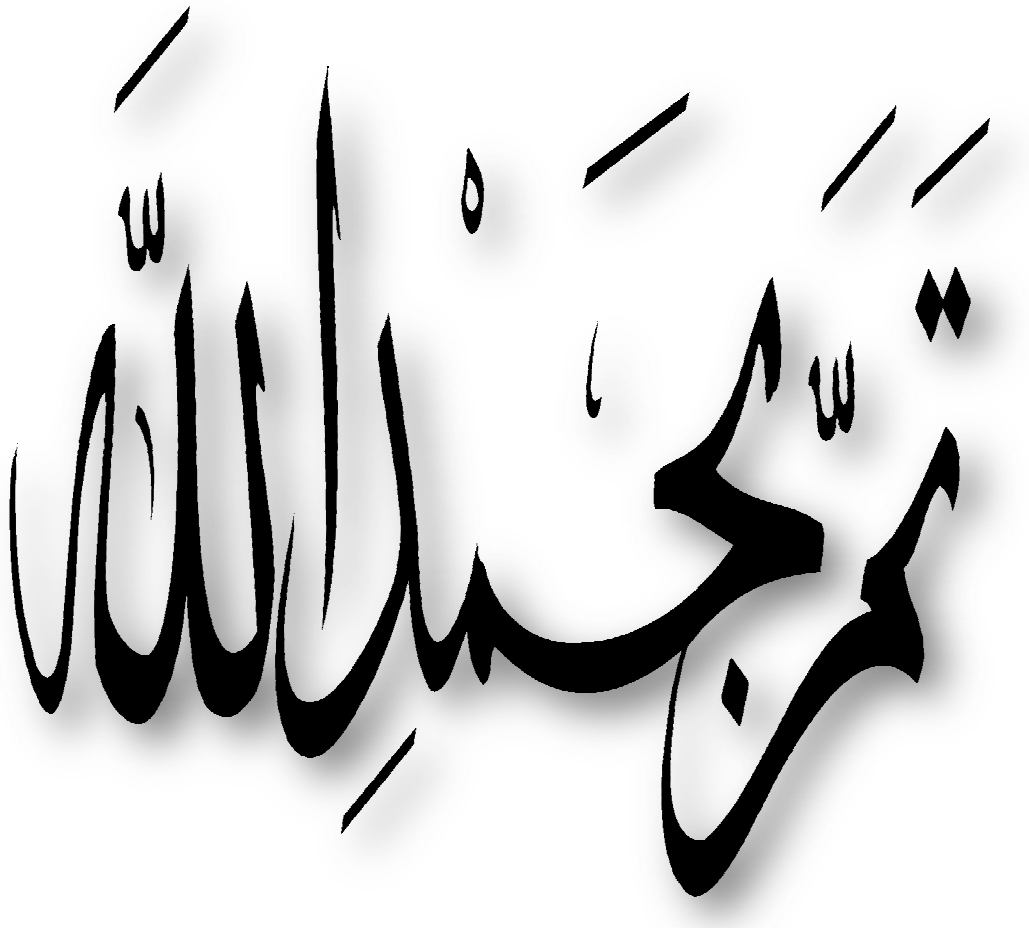
تم بحمد الله